

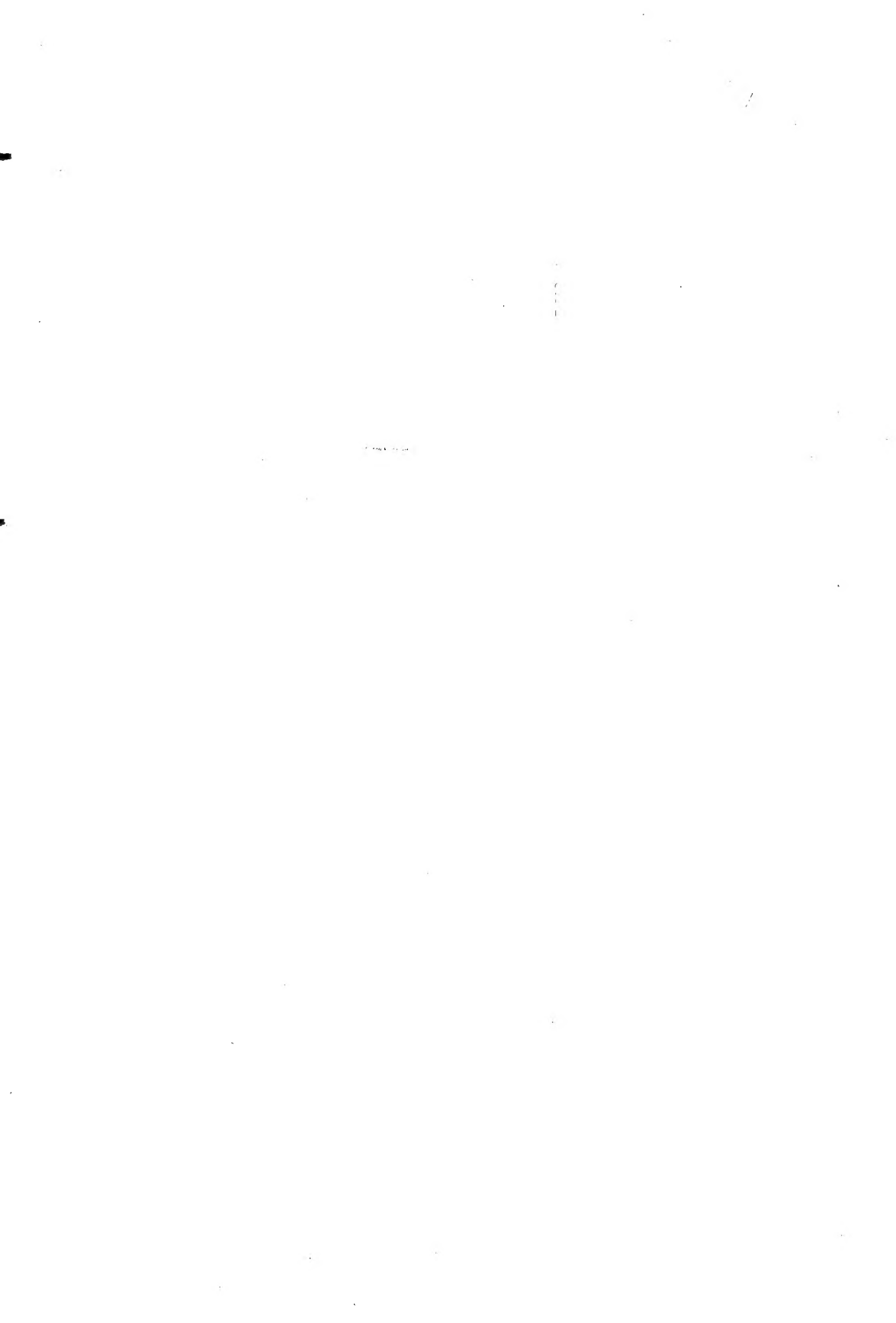
عائق بن غيث البلادي

عَلَى طَرِيقِ الْهَجْرَةِ

(رحلات في قلب الحجاز)

دار مكتبة

للنشر والتوزيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

اللهم إني أحمدك حمد العارف بفضلك المحتاج إلى عونك ، فانه لا يسير إلا ما يسرت ، ولا صعب مع تيسرك وتوفيقك .

وصلّ وسلم على خير من مشى على وجه هذه الأرض ، الهادي الصادق الأمين : نبيك وحبيبك محمد بن عبد الله ، النبي التهامي القرشي الهاشمي .

أما بعد : فان أرض الحجاز قد حباها الله - دون بقاع المعمورة أجمع - بنور من نوره ، وفضل من فضله ، فأنزل فيها خير الحديث كتاباً ، وأرسل به خير البشر نبياً ، ونشر منها خير أمة أخرجت للناس ، واختارها لبيته مبعوثاً ، ولآخر كتبه منزلاً .

ففيها جاهد محمد والذين آمنوا معه ، لتكون كلمة الله هي العليا ، وفيها خاض كل غزواته لمحو الشرك وتحطيم الأوثان ونشر الاسلام ، ليكون الدين كله لله .

من هنا اكتسبت - أرض الحجاز - صفة خاصة لم تكن لغيرها من بقاع الدنيا ، وقداسة لا تنافسها فيها بقعة من بقاع المعمورة قاطبة .

لهذه الخصائص اعتنى بها السلف - رحمهم الله - دراسة

جغرافية ، وأدبية ، وتاريخية ، وان لم يوفوها حقها فما غمطوها شيئاً يعلمونه . غير أن معالم كثير ظلت مجهولة ، وبعضها قد تغير مع الزمن ، وبعضها لم يهتد إليه من سبقنا .

وقد انجب الحجاز عدداً من الجغرافيين الأفذاذ ، كان بعضهم في درجة العلماء ، منهم : الشريف علي بن وهاس العلوي، وعراًم بن الأصبغ وغيرهما .

ومع هذا ظلت جوانب عديدة تحتاج إلى الدراسة والتحديد ، وظلت أحداث تاريخية مظورة بين ثنايا أمهات المراجع .

وقد اندثرت - في هذا الاقليم - مدن وقرى ، وقامت أخرى ، وتغيرت بعض الطرق والمسالك ، ورحل سكان أو امتزجوا بغيرهم ، ودخل سكان آخرون .

كل هذا حدث خلال أربعة عشر قرناً مرت على البعثة الشريفة .

ومع هذا ظل الدارسون والباحثون يجترون تلك المعلومات ، فلا مجدد ، ولا مصحح ، ولا منبه إلى ما تغير أو اندثر .

فقد انقطعت ريادة البادية ، وخمدت الهمم ، وتعتست الوسائل ، وساء الأمن .

وعندما بدأت أمارس البحث ، وشرعت في تأليف كتابي (معجم معالم الحجاز) هالنتني الحالة التي عليها مراجعنا عن هذا الاقليم المقدس ، فكل متأخر عوّل على سابقه ، ونقل عنه ، وتضاعفت التصحيفات ، وكثر التحريف .

والخلاصة : إن الساكن في مكة ما كان يستطيع تحديد الأثرة ، ولا

يعرف أين يقع سرف أو مر الظهران - مثلاً - وإن الساكن في المدينة لا يعرف أين تقع حمراء الأسد أو ثور .

من هنا كان عزمي على القيام بهذه الرحلات خلال ست سنوات مضت ، شاهدت فيها معظم المنطقة المعروفة بالوَسَيْط (بين مكة والمدينة) وما حولها . فحددت الأماكن التاريخية التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي حدثت فيها الحوادث أو وردت في شعر الشعراء ، ثم تابعت الطرق والمسالك والمحطات ، ففصلتها تفصيلاً أرجو أن أكون قد وفقت فيه ، فهذا كتاب مشاهدة مقرونة بما خف من النصوص والشواهد ، مركزاً فيه على الأماكن التاريخية والإسلامية خاصة ، مبيناً الأخطاء التي وقع فيها من سبقني .

وعززت الكثير منها بمخططات توضيحية أما استيفاء النصوص فمكانه (معجم معالم الحجاز) فانظره .

وبذلت جهدي - بعد المشاهدة - في تحديد طريق الهجرة بما لم يتعرض له أحد قبلي ، فقد تابعت متابعة من يقص الأثر ويقتفي الضالة ، فعابنت المسالك والمخارج التي يمكن أن يسلكها مهاجر يتخفى عن أعين الناس ، ويحتاج إلى السير ليلاً ، وإلى مناهل المياه المستورة والطرق البعيدة عن أعين الرقباء والطامعين في الجائزة المبدولة لمن يقبض على محمد .

وهذا الكتاب متمم - إن شاء الله - لمعجم معالم الحجاز ، ومعجم قبائل الحجاز ، وغيرهما ، فتكون - في مجموعها دراسة كاملة شاملة عن جغرافية الحجاز ، ولمحات من تاريخه ، ونبدأ طيبة من آدابه .

والله أسأل أن ينفع به ويشيني عليه ، بمنه وكرمه ، أنه نعم المولى ونعم النصير . وقبيل إرسال هذا الكتاب إلى المطبعة أهدي إليّ الأستاذ

عبد القدوس الأنصاري كتابه (طريق الهجرة النبوية) فوجدته ذا قيمة تاريخية ، جمع فيه معظم النصوص عن الهجرة ومناسباتها ، وقارىء كتابي هذا سيستفيد كثيراً لو عطف على كتاب الأستاذ الأنصاري ، فهما متممان لبعضهما جغرافية وتاريخاً في كل ما يتعلق بالهجرة النبوية الشريفة ودرب الأنبياء (١) .

مكة المكرمة في الأول من ذي القعدة سنة ١٣٩٨ هـ

المؤلف

(١) انظر ثلاثة كتب أخرى عن رحلاتي هي: في شمال الحجاز والأردن الرحلة النجدية ، وهما مطبوعان . والحجاز اليماني تحت التدوين .

الرحلة الأولى

الاعداد للرحلة :

في اليوم الخامس عشر من محرم ١٣٩٣ هـ الموافق ١٨ شباط ، فبراير سنة ١٩٧٣ ميلادية ، بدأت الاعداد للرحلة ، وذلك بتقديم اجازة لمدة عشرة أيام ، ثم اتصلت بأحد التجار في جدة ، فأرسل إلي أربع عجلات لسيارتي (الجيب) تصلح للسير على جميع الأراضي ، ورغم ارتفاع قيمتها فقد سررت بها ، فالمهم عندي انجاح هذه الرحلة ، وقد رصدت لها مبلغ (٣٠٠٠) ريال .

وفي يوم ١٩ محرم أشعرت بالموافقة على الاجازة ، فذهبت الى أحد مصلحي السيارات في مكة لاجراء الكشف الضروري على سيارة الرحلة ، فتم ذلك بما يشكر عليه ذلك الأخ .

وفي يوم السبت (٢٢ محرم) قابلت رئيس ديوان امارة منطقة مكة المكرمة ، طالباً منه بعض التوصيات لامراء النواحي التي في طريقي ، لبذل المساعدة في التعرف على المواقع التاريخية والأثرية ، غير أنه اعتذر عن ذلك ، وقال : إن أمراءنا لا يحتاجون الى توصية ! وأنت ابن البلاد ومعروف لدى الكثيرين هناك .

وفي يوم الأربعاء الموافق ٢٦ محرم تكرمت قيادة منطقة مكة فمنحتني راحة يوم الخميس استعداداً للسفر .

بدء الرحلة :

ما أن غابت شمس يوم الجمعة الموافق ٢٧ محرم سنة ١٣٩٣ هـ ، ٢ آذار - مارس - ١٩٧٣ م ، (١١) الحوت ١٣٥١ شمسية ، حتى كان

كل شيء قد أعد ، فالفرش محزوم ، والأدوات في الصناديق والماء
محقون ... الخ .

شيء واحد تجاهلته ، ذلك هو الرفيق ، فأنا - خلاف كل الناس
أو أغلبهم - أتجنب قدر امكاني مصاحبة الناس في السفر ، لعدة
أسباب من أهمها : قطعه علي خيوط التفكير التي هي متعتي أثناء السفر،
ثم منازعة الرأي ومخالفة الأمر فإن أردت المبيت أراد الشرى ، وإن
أردت التبكير تباطأ وتثاقل ؛ وبناء على ذلك فقد اعتمدت على الله
عز وجل ، ثم على هذا الرفيق (الجيب الأستن) الذي طالما رافقني خلال
رحلات عديدة فلم يخذلني مرة واحدة ، بل ظل دائماً طوع أمري يسير
متى شئت ، ويقف متى شئت !

اليوم الأول للرحلة

في الساعة السادسة صباح السبت الموافق ٢٨ محرم الثالث آذار
والثاني عشر من الحوت ، تحركت بسيارتي من منزلي بساحة إسلام بمكة
المكرمة ، وكانت الشمس لما تشرق بعد ، والجو بديع والنسمات علية ،
فهذا هو أول فصل الربيع ، وأول فصل الربيع في تهامة جميل جداً تظل
الغيوم تتكاثر فيه أكثر أيامه ، ونسيمه معتدل ، فهذا هو أنسب
الأوقات للرحلات في هذا الاقليم .

الزاهر

ومررت بالزاهر : ذلك الحي الجميل من أحياء مكة المشرفة ، وكنت
لا أزال أحتاج الى نور السيارة ؛ وعند عمرة التنعيم - على خمسة
أكيال من المسجد الحرام - أخذ الصبح ينبج ، وهذا المكان يعد
عن المدينة المنورة (٤٥٥) كيلاً . وبعد التنعيم بخمسة أكيال مررت

فوق جسر وادي ياجج ، وقد وضحت الرؤيا ، فكان يميني البساتين الصغيرة المنتشرة في الوادي ، وعن يساري على بعد خذقة حجر (بئر مئيت) ، ثم مقهى في مستوى من الأرض ، وهو المكان الذي صلب فيه الصحابي الجليل خُبَيْب بن عدي رضي الله عنه ، أحد الصحابة الذين أوقعت بهم بنو لحيان في الرجيع •

وكانت تظهر في السماء الغيوم الخفيفة المنخفضة ، وكان الهواء بارداً حتى أغلقت زجاج السيارة •

ثم هبطت منخفضاً لشعيب يرفد وادي ياجج من أسفله ؛ وهذه الأرض - بين مكة ومر الظهران - تسمى للحيانية ، نسبة الى أهلها قبيلة لحيان من هذيل •

سرف

ثم هبطت وادي سرف ، فترأت لي عن يميني قرية هي إحدى قرأتي لحيان بسرف ، وبجانب الخط منهل النوارية ، به مدرسة سرف ، وبه حانوت ، وعن يساري مباشرة جبل النوارية الذي كان يستخرج منه حجر النورة ، وعلى مد البصر غرباً الى الشمال قرية لحيان الثانية في سرف ؛ وبعد كيل وشيء يسير خرجت من وادي سرف الى ريع قد سهّل حتى لم يعد ريعاً •

أم المؤمنين

وبسفع جبل هذا الريع وعن يسار الطريق ترقد السيدة الطاهرة : أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث تجاور قبرها ثلاث آبار عن يمين الخط ويساره ، وكان على ضريحها بنيان ، وكان يزار ، وهذه الآبار لسقي الزوار ومن كان يسكن هنا لخدمتهم ، ثم هدم ذلك البنيان ، وهجر المكان تماماً فهو خرائب اليوم ، وآباره جافة قد غار ماؤها ؛ ويبعد هذا

المكان ستة عشر كيلاً عن المسجد الحرام ، وأحد عشر كيلاً من عمرة التنعيم ؛ هذه مشاهداتي أثناء الرحلة ، وقد رزت المكان وأنا أنقح هذا الكتاب وأعده للطبع فوجدت ضريح السيدة قد أحيط بحائط من الطوب الاسمنتي ، وجعلت له شبايك الى الطريق ، ورغم أن هذا الحائط من النوع الذي لا يصمد كثيراً غير أنه خير مما كان .

ويقال : إن العمرة كانت في هذا المكان ، وإن المكين يعتقدون أنه حدود الحرم ، ثم غيرت العمره عندما اختل الأمن خوفاً على الحجاج والمعتمرين . والقول انه حدود الحرم — إذا صح — له معقولة ، ذلك أن حدود الحرم من كل اتجاه تبعد عن المسجد الحرام بما لا يقل عن عشرين كيلاً ، إلا من جهة التنعيم ، فهي خمسة أكيال فقط ، وهو أمر فيه نظر ، غير أن العلماء اتخذوا هذه العمرة للرواية القائلة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أمر عبد الرحمن بن أبي بكر بأن يعمر عائشة رضي الله عنها من التنعيم .

زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بميمونة

وهنا نسيت الساعة ونسيت عداد السيارة اللذين أديمت التطلع اليهما ، وسرح فكري بل قل شرد أو قام برحلة عبر القرون الخوالي ، فتصورت — في هذا الوادي المجدب (سرف) — زواجاً يقيمهما محمد صلى الله عليه وسلم ، على ميمونة يكون منتهى سعادتها ، فقد قالت عندما تناهت اليها خطبته صلى الله عليه وسلم ، وكانت راكبة جملاً :
الجميل ومن عليه الله ورسوله ! ثم تدور السنون فاذا هي تموت بنفس المكان الذي بنت فيه سعادتها ، وترقد راضية قريرة العين بما وهب الله الأنبياء والصالحين . ولكن الناس لم يتركوها وهذه الرقدة الهائبة البعيدة عن الضجيج ومشاكل الحياة ، فيسرعون يبنون عليها بنياناً لو كانت تحدثهم لرفضته ، ثم يأتي آخرون يهدمونه ، ثم يعودون فيبنون عليها حائطاً ! وإلى جوار القبر من الشمال (أضأة بني غفار) .

وادي الضيق

وبعد هذه الخرجة أو السرحة الفكرية تنبّهت فإذا السيارة تهبط وادي الضيق ، على ٢٢ كيلاً من مكة ، ذلك المكان الذي حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبا سفيان عنده يوم الفتح ليرى جنود الله المدمجة بالسلاح ؛

ومرة أخرى سرح فكري - وما أكثر ما يسرح - فتصورت - وأنا العسكري بطبعي - تلك القوات المسلحة بالايمان قبل كل شيء ، قبائل في أشكال كتائب ، يحمل لواء كل قبيلة صحابي من الأطهار ، وعظيم مكة (أبو سفيان) ينظر إليها بعين الصاغر الدليل . وهذا محمد القائد العام لقوات الفتح يحمل - رغم انتصاره - قلباً رحيماً يسع محسن أهل مكة ومسيئهم ، يخفض رأسه تواضعاً لله ، وما أن يدخل المسجد الحرام ويحطم ما فيه من الأوثان ، حتى يقول لأهل مكة : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم يجعل الله من هؤلاء الطلقاء ونسلهم قادة فاتحين ، وأمراء ، وعلماء ، ولقد أعز الله بهذا الدين أقواماً ، وأهان به آخرين ، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

مرّ الظهران

ثم هبطت السيارة وادي فاطمة ، المعروف قديماً بمر الظهران ، فقرأت لي يميناً وشمالاً بعض بساتين قليلة ، فلم يعد مر الظهران الوادي الأخضر كما كان يسمى ، بل أصبح وادياً أغبر بعد أن جفت عيونه في السبعينات من هذا القرن^(١) .

ومر الطريق فوق جسر ضخّم يمر تحته سيل هذا الوادي الفحل ،

(١) انظر عن هذا الموضوع كتابي (معجم معالم الحجاز) .

ثم شق الطريق قرية الجموم قاعدة مر الظهران الواقعة على طرف ذلك
الجسر من الشمال •

وهي قرية كانت تقوم على عين الجموم كمحطة للقوافل بين مكة
وعسفان ، فهي المرحلة الأولى من مكة ، وتبعد عنها (٢٥) كيلاً •

يسكنها في الأصل ذوو حسين : بطن من ذوي بركات الأشراف
الحسينيين ، أما اليوم فقد كثر فيها السكان ومعظمهم من قبائل حرب التي
هبطت من ديارها إبان الحرب العالمية الثانية ، وما بعدها •

وفي الجموم امارة معظم الوادي ، وبها مركز للتنمية الاجتماعية ،
ومحكمة شرعية ، ومركز شرطة ، وفيها محطة لبيع المحروقات تابعة
للجمعية التعاونية ، كما أن بها مدارس للبنين والبنات بين الابتدائي
والثانوي •

كانت الساعة السابعة إلا ثلاثاً ، فلم أتوقف هنا ، وكان النسيم
عليلاً شمالياً الى درجة البرودة ، مما أعطى السيارة ضمناً ضد السخونة !

وصف الأرض من الجموم

تقع الجموم في نهى واسع يجري فيه وادي مر الظهران من
الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ، ويشرف عليها من الغرب يكاد
يظللها العشي جبل سدر : أسمر شامخ • ومن الشمال أضلع صغار
تضرب الى الحمرة تسمى موقدات ، ومن الشمال الشرقي حرة النهمية :
حرة سوداء مظلمة تمتد من الشرق الى الغرب ، يصفق سيل مر الظهران
في جانبها الجنوبي ، تقابلها من الجنوب بينهما وادي مر الظهران حرة
تسمى العجيفاء ، وهي من الجموم مطلع شمس ، تقع بسفح العجيفاء
الغربي (عين شمس) : أراض من المدر كانت لها عين فانقطعت ، كانت
ملك الملك حسين بن علي ، قائد الثورة العربية الكبرى •

ويجلب اليوم منها المدر الى مكة لعمل الآجر الأحمر، ومن العجيفاء هذه وجنوب تقع هضيبات وسهول تسمى (الهضاب) وتميز عن غيرها بهضاب لحيان ، فهي جزء من اللحيانية •

أما في الجنوب من الجموم فسلسلة جبلية واطيئة ، هي امتداد اللحيانية الآتفة الذكر ، ثم فهوة وادي مر الظهران التي لا ترى لها نهاية في الجنوب الغربي •

والبلدة آخذة في التقدم ، ونظراً لقربها من مكة فقد أخذت أمانة العاصمة وامارة مكة تقطعان الناس فيها ، اعداداً لتكون مدينة تخفف الضغط السكاني عن مكة ، غير أن الاقبال عليها لم يبلغ ما يراد •

جغرافية مر الظهران

وادي مر الظهران من الأودية الفحول في الحجاز ، وكان من أغزرها ميهاً ، حتى قيل إن ثلاثمائة عين كانت تجري فيه ؛ وأدركت أنا فيه ستاً وثلاثين عيناً لم يعد يجري منها اليوم غير خمس عشرة عيناً ، ولا تقطعها خبر أوردته في « معجزة معالم الحجاز » • وهو من أطول أودية الحجاز أيضاً باستثناء إضَم ، فهو ينبع من السفوح الشرقية لجبال هدأة الطائف ، ويأخذ كل مياه الهدأة حيث تكون هناك منابع النخلتين ، وهما أعظم روافده على الإطلاق ، فالأولى تسيل من غرب الطائف على أحد عشر كيلاً فقط ، فتسمى وادي الغديرين ، ثم وادي المحرم ، ثم قرن ، ثم السيل الكبير ، ثم وادي بعج ، ثم وادي حرّاض ، ثم وادي الليمون أو المضيق ، كل هذه أجزاء من نخلة الشامية ، ثم تلتقي بنخلة اليمانية ، فيسمى الوادي وادي الزبارة ، ثم وادي الريان ، ثم وادي القشاشية ، ثم وادي فاطمة فوق الجموم الى حدّاء ، ثم يبحر جنوب جدّة على قرابة خمسة وعشرين كيلاً •

أما نخلة اليمانية ، فتأخذ كل مياه هدأة الطائف ، فإذا اجتمعت
مياه الهدأة سمي وادي الأغراف ، ثم تضاع أو الشَّرْقَة ، ثم الكفؤ ،
وهذا أعظم روافده ، وأطول من الوادي نفسه ، أما رأس نخلة اليمانية
فهو البَوابة غرب السَّيْل الكبير عن قرب ، وتعرف اليوم باسم
(البُهيَّنة) لأن أرضها دأث بصعود ، فهي تبتهت السائر فيها .

الأصافر

ومن الجموم أو من مر الظهران خرج الطريق شمالاً عدلاً ، وأخذ
يصعد صحاصيح يميل لونها الى الحمرة ، ثم دخلت بين أضلع ضعاضع
على شكل سلسلة مقاطعة للطريق ، هذه الأضلع تسمى موقدات ،
ووردت في كتب بعض المتقدمين باسم الأصافر ، وهي غير أصافر هرثي ،
وغير أصافر وادي الصفراء ، وتتخلل هذه الأضلع أشعب صغار يقال لها:
العزّازي ، واحدها عَزْزِيَّة ، والعزْزِيَّة: الملعقة ، ولا مناسبة بين الاسمين .
ولجبال موقدات أسطورة في الأدب الحجازي ؛ تقول هذه الاسطورة:
إن الكفار طاردوا الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل بين هذه
الأضلع وتجاوزها أوقدها الله ناراً على الكفار ، فلم يستطيعوا ملاحقته!
وليس لها أساس تأريخي .

سهل الهدّة الواسع

لم ألبث أن خرجت من هذه الأصافر أو موقدات كما تسمى اليوم ،
فهي ليست عريضة ، فهبطت في منحدر سهل الدَّشْعِيَّة ، فانبسطت
الأرض أمامي حتى لا يكاد يجد النظر ما يحده .

هذا المتسع الفسيح هو سهل الهدّة الواسع ، الذي يمتد الى

عسفان على بعد (٥٥) كيلاً من هنا ، ومن جبال الخشاش التي ظهرت في الغرب ، الى حرة الرّزن التي ظهرت في الشرق ، بطول يقرب من أربعين كيلاً ليس فيه من الحِتر سوى حرة ضَجْنان التي ظهرت أمامي ممتدة من الشرق الى الغرب ، بشكل طرف المسطرة ، يمر الطريق بلصقها من الغرب ، وسهل الهدّة يحيط بها ، فهي منقطعة عما حولها من الحرار بين شعبتي الهدّة : الشامية ، والقفرة •

وتحيط الجبال والحرار بهذا السهل من جميع جوانبه ، حتى تجعله كالروضة بينها ؛ فخلي الى اليسار جبل سِدْر الذي يظلل الجموم عشيّاً ، يليه من الغرب جبلاً مُكسّر وضاف على التوالي ، بينهما فج الكريمي (ثنية المزارق قديماً) •

هذه الجبال الثلاثة تشكل سلسلة من الشرق الى الغرب ، تبدأ عند الجموم وتنتهي مكنعة في خبت جدّة من الشرق ؛ وتلتقي بها من الشمال وتشكل معها ضلع مثلث قائم الزاوية في التقائهما سلسلة أخرى تذهب شمالاً حتى تشرف على عسفان ، هذه السلسلة تسمى (الخشاش) ، تشرف على جدّة من الشمال الشرقي ، وقد تناوش عمران جدّة نعوفها الغربية ؛ وأبرز ما يظهر من قناتها من هنا : جبل قَنْط ، وجبل القمّي ، وجبل أبي الرّيحان •

يفصل بين هذه السلسلة وبين الطريق المتجه الى المدينة في موازاة لهما وادي الصّغثو : وادٍ خصب التربة قليل المياه ، كان يوجد بالحجب والدخن ، ولا يزال •

أما من الشرق فيحف بهذا السهل حرار: الرّزن ، والمُسْهَل ، يفصل بينهما وادي الهدّة : وادٍ فحل كثير المياه عيوناً وبئاراً ، يأتي من حرة الروقة الطرف الجنوبي لحرة الحجاز العظيمة ، ثم يغمر سيّله معظم السهل الذي تحدثنا عنه آنفاً ، ولو سد هذا الوادي ككثير من أودية

الحجاز الأخرى لتغير وجه الأرض هنا جزئياً • ويتصل بحرة المسهل من الغرب حرة الجابرية ثم حرة غرب ، حافة هذا السهل من الشمال مشرفة على عسفان من الشرق ، فتكون بهذا قد اكتملت الحلقة الجبلية حول هذا السهل الواسع الذي تبلغ مساحة الأرض التي تمكن زراعتها قرابة أربعمئة كيل مربع بواقع ٢٠٪ من مجموع مساحة هذا السهل ، وتجري فيه أودية بين كبير وصغير لو سُدَّتْ أمكن زراعة مساحة ثمانين كيلاً مربعاً ريثاً دائماً بواسطة الأبار ، وهذه المساحة تتسع لما لا يقل عن مائة ألف نسمة ، وتعرف فائدة هذه النظرية لو طبقت إذا علمت أن كل سكانه اليوم لا يزيدون عن خمسمائة نسمة •

الجو

منذ أن صعدت ثنايا موقدات ظهرت في السماء السحب الداكنة ، وهذا النوع من السحب إذا خالطته الرياح غالباً ما يمطر ، فإذا لم يبلغ هذه الدرجة هطل رذاذاً مما يجعل الجو ممتعاً والنسيم عليلًا منعشاً ، فإذا هبت عليه الأزيز تكاثف بسرعة وزبدته تزييداً ، فتراكم وتلأل برقة وزمجر رعدة فتصبح هذه الأودية خطرة مخيفة ، وكم قافلة جرفها السيل بأكملها ، وكم نزلة لم يصبح لها أثر على وجه الأرض •

وادي مَدَسُوس

انحدرت في السهل الأنف الذكر فعبرت جسر مدسوس : وادٍ صغير يأتي من اليمين من حرة الرُّزْن ، ورد اسمه في بعض كتب الرحلات باسم (مَسْدُوس) • يبعد هذا الجسر (٤٤) كيلاً من مكة ، وكانت على جانبي الجسر الى مد النظر تظهر زراعة حجب بدا عليها أثر الهزال والذبول ، ولا غرو فهذه السنة من سنين المحل والجذب في الحجاز ، فلم تهطل الأمطار إلا قليلاً بعيد شهر رمضان ، وكان من أثرها

هذه الزراعة الضعيفة ، وبعده بكيل واحد فرق يميناً طريق الهدة ، وكتبت عليه لوحة بهذا اللفظ (هدى الشام) ، وسبب ذلك أن شهرة هداة الطائف طغت على اسم الهدة الذي كان هو المعروف بهذا اللفظ في الحجاز ، حدث هذا بعد شقّ طريق كرا وأخذ الناس يرتادون هداة الطائف لجوها الجميل ؛ وهذا الطريق ترابي ليس فيه أثر للإصلاح ، تبعد الهدة من هنا قرابة خمسة عشر كيلاً ، فيها أربع عيون وعديد من الأبار الزراعية .

وسكانها خليط من الأشراف ذوي عمرو والشيوخ -حي يتسبون الى الأنصار - ومُعَبَّد من حرب . أما المنطقة الواقعة بين مر الظهران الى عسفان على جانبي الطريق فسكانها قبيلة بشر من بني عمرو من حرب ، ولذا حدد شاعرهم هذه الأرض ناسباً إياها إلى محبوبته فقال :
سيدي مرايته من حوز الرقاب ليام جرقان°
من بير محسن ليا الوطيه° ليا برقا الغميم
وليا تشامل° يردته° علي ييار عسفان

وليا تيا من يردّه° فج ابن عبد الكريم^(١)

ومن مدسوس استقل الطريق على صمود (القمرة) فأخذ اتجاه الشمال العدل ، وكانت الأرض جرداء مغبرة لما أصابها من المحل . ولا زال الجو غائماً جزئياً مائلاً الى البرودة شمالي الرياح . وأخذت سرعة السيارة في تزايد ملحوظ لا اعتدال الطريق ، وخلوه ، وعامل كسب الوقت .

بئر النخسنية

وعند الكيل ٥٤ من مكة ، كان على يساري رأي العين نفريستقون

(١) جميع المعالم الواردة في هذه الرحلة محددة في كتابي (معجم معالم الحجاز) وقد طبعت أجزاء منه .

من بئر المحسنية ، وهي البئر الوحيدة في هذه المفازة القاحلة ، حفرها الشريف محسن بن حسين بن حسن بن أبي نُمَيٍّ أمير مكة من سنة ١٠٣٤ - سنة ١٠٣٧ هـ المتوفى بصنعاء سنة ١٠٣٨ هـ وكان من المشهورين بأعمال الخير ، وله سبل في طريق الحاج غيرها •

ثم التصق الطريق بخشم حرة المحسنية ، وهو اسم يطلق على حرة ضجنان هنا ، نسبة الى تلك البئر المشار اليها •

ثم لم يلبث الطريق أن تجانف يساراً الى الشمال الغربي ، وظهرت الى اليمين كراع الغميم ، على مرأى من الطريق ، ويطلق اليوم عليها برقاء الغميم ، وهو اسم واقعي أصدق من الكراع ، ذلك أنها نعف حرة من ضجنان يكسوها الرمل السائب ، فهي برقاء متميزة أما الأكراع إذا أريد بها نعوف الجبال فهي لا تحصى ولا تعد في الحجاز ، وتبعد برقاء الغميم ١٦ كيلاً من عسفان جنوباً شرقياً •

شامية ابن حمادي

وبلصق كراع الغميم فرق الى اليمين شمالاً طريق الشامية ، ويميزونها بشامية ابن حمادي ، وذلك تمييزاً لها عن شامية نخلة ، أما ابن حمادي هذا فهو محمد بن حمادي البشيري ، شيخ قبيلة بشر القاطنة في هذه الديار كما تقدم ، وهو كريم جواد طبقت شهرته الحجاز ونجداً في الكرم ، ويبعد هذا المفرق (٦٤) كيلاً عن مكة ، و (١٦) كيلاً عن عسفان ، وهو طريق ترابي أيضاً ، يوصلك الى الشامية المذكورة حيث هناك مزارع وقرية ، وليس بعيداً عنها (الرّجيع) ويسمى اليوم الوطية ، ومن أساطيرهم إنه وطاة ناقته صلى الله عليه وسلم • والمكان على قرابة عشرة أكيال من هنا في لحف حرة الجابرية ، غدير دائم لا ينضب أبداً • وبعد يسير من هذا المكان زاد انحراف الطريق الى اليسار ، حتى صار يجري غرباً بين سهل الصغفو في اليسار وحرة غرب في اليمين •

عُسفان

لقد ذكرتني عن حُبَابِ حَمَامَةٍ ، بعُسفان ، أهلي فالفؤاد حزينٌ
فَوَيْحُكَ كم ذكرتني اليوم أَرْضَنَا ! لَعَلَّ حَمَامِي بالحجازِ يكونُ

وقيل وصولي إلى عُسفان اعتدل الطريق إلى اليمين ، فصار
يجري شمالاً عدلاً ، وكانت الأرض مخضرة ، وبها ييوت شَعَرٌ
للبادية مما يدل على أن سحابة مرت هنا قبل مدة . ثم ظهرت في حزم
فَيْدَةٍ على عُسفان ، هذه البلدة ذات الماضي الطويل ، والعمران القليل ؛
وهي المرحلة الثانية من مكة ، والتاسعة من المدينة على نظام القوافل
القديم . ظلت محطة على هذا الطريق من زمن لانستطيع تحديده ، غير
أنه موغل في القدم كما يغال درب الأنبياء الذي تقع عليه هذه البلدة .

كان أهلها في فجر الاسلام ، خزاعة ، ثم تملكها قبيلة حرب منذ
القرن السادس تقريباً ، وهي اليوم مركز امارة تابعة لامارة الجموم ،
وفيها مدرسة ابتدائية ، ومركز شرطة .

وعسفان تقع على مجرى وادي فيدة ، وتكتنفها الحرار من معظم
جهااتها ، وبعدها بقليل في الغرب إلى الجنوب يجتمع وادي الصغثو
وفَيْدَةٍ ، فيكُونان وادي الغَوْلَاءِ ، الذي يستمر حتى يمر بذهبان
على (٥٥) كيلاً شمال جُدَّة على طريق المدينة ، ثم يدفع في البحر ،
وماء عُسفان عذب نير ، وفيه مقام يرتادها المسافرون ، وفيه بئر
التَّفَلَّة المشهورة بعذوبة مائها ، وعذاها ، ويقال : إن الرسول صلى الله
عليه وسلم عندما ورد عُسفان بجيش الفتح ثقل فيها ودعا لها بالبركة ،
ذلك أنها كانت وبيئة وأن جميع الأبار نصب ماؤها ماعداها ، فأخبر أن
من شرب منها لا يسلم ، ففعل ذلك ، ومن يومها قل أن يوجد أعذب من
مائها وأعذى منه ، ومن الناس من يتزود منه إذا مر على عُسفان ، ويهديه
لمن يحب .

ثم عبرت الطريق جسر فيدة في عسفان ، على جانبه لوحة كتب عليها (مكة ٨٠ كم) ، وهو قياس من المسجد الحرام •

وادي فيدة

هو ما تسميه العامة وادي عسفان ، كقولهم وادي بدر ووادي الجموم الخ :

وادي من الأودية قصيرة المدى إذا قيس بالهدية أو أمج - مثلاً - يأتي من الشرق بين الحرار السود ضيقاً شحيح الماء ، فيه نخل يرى أدناه من على الطريق •

ويمكن توفير الماء في هذا الوادي لو سُدَّ في أعلاه ، وقد وجد المنقبون المياه غزيرة في عسفان الذي يجري فيه هذا الوادي ، ولكنها على عمق لا يتيسر وصوله لأهل البلاد •

والسدود في هذه الأراضي من أوجب واجبات الخدمة للقطاع الزراعي ، فالظاهرة المميزة لأودية تهامة هي إن بعض الأودية يسيل في بعض السنين ما يزيد عشرين سيلة ، تذهب مياهها هدرًا إلى البحر ، بل تجرف معها كثيراً من التربة النافعة ؛ ثم قد تظل الأودية سنين محلاً فتجف الأبار وتتوقف الزراعة في كثير منها ، وفي كلتا الحالتين ضرر كبير •

وكثيراً ما قامت الدولة بدفع تعويضات للأهالي عن أضرار السيول ، وكم اضطرت إلى تقديم العون عند الجفاف ، وكلتا الحالتين يمكن تلافيهما بعمل سدود لحفظ هذه الثروة المائية الهائلة الضائعة ! •

غير أن الغريب حقاً أن بعض أهل هذه الديار يعارضون - لجهلهم - مشاريع السدود ، فهم يظنون أنها تحجب الماء نهائياً عن أراضيهم ، وهم يعتمدون كثيراً على زراعة البعل ، وهي زراعة تدر - أحياناً - غللاً

خيالية ، فقد حصل أحدهم في بعض السنين على مبلغ ستين ألفاً من الريالات من مزرعة صغيرة للحبج ، وليس هذا نادراً ، بل كثير الحدوث مما جعل بعضهم يعتمد كلية على الزراعة العثرية ويراهها أرباحاً كثيراً من زراعة الري •

ثنية غزال

ومن عسفان يخرج الطريق في ثنية بين الحرار تقع على خمسة أكيال شمال عسفان ، وتعتبر بوابة في وسط الحجاز ، ليس غيرها طريق إلا الساحل ، ولذا قال جعدة بن عبد الله الخزاعي :

ونحن الأولى سَدَّتْ غزال خيولنا ولفناً سددناه وفج ضلاح

وكان كُثِيرَ عَزَّةٍ قد مر هنا - قبل ثلاثة عشر قرناً - في رحلة خيالية ، أو رحلة تخيلها لمحبوته ، فصورها في لاميته التي سارت على هذا الطريق الى ما وراء المدينة المنورة حيث قال :

دارسات المقام مذ أحوال	ماعناك الغداة من أطلال
غير رسم كعصبة الأغيال	بادي الربع والمعارف منها
قربها غير رابدات الرئال	ما ترى العين حولها من أنيس
سبقت لمح طرفها بانهمال	يا خليلي الغداة إن دموعي
هل ترى بالغميم من أجمال	قم تأمل فأنت أبصر مني ^(١)
وطواف وموقف بالجبال	قاضيات لبانة من مناخ
طالعات عشيّة من غزال	قلن عسفان ثم رحن سراعاً
كل وادي الجحوف بالائقال	قارضات الكد يد مجتزعات
كالعدولتي ^(٢) لاحقات التوالي	قصد لفتٍ وهن متسقات

(١) في الديوان وانت أبصر مني . وهذا أجود .

(٢) نوع من السفن .

حين وركنَ دَوْءَ يمين
جزن وادي المياه محتضرات
والعُبَّلاء منهم يسار
طالعات الغَميس من عَبْثُود
وطوت جانبي كنانة طيًّا
فسقى الله متسوى أم عمرو
وشرير البُضيع ذات الشمال
مدرج العرج سالكات الخلال
وتركنَ العقيق ذات النصال
سالكات الخَوْى من أملال
فجنوب الحمى فذات النصال
حيث أمتَّ به صدور الرجال^(١)

وقد أتيت على شرح هذه القصيدة وتحديد الأماكن الواردة فيها ،
في « مجلة المنهل » خلال سنة ١٣٩٨ هـ . وهي واردة إن شاء الله في هذه
الرحلة تباعاً •

والطريق يصعد في ثنية غزال بين حرتين : حرة صَوَيْك في اليمين
وحرة موقلة في اليسار ، وكانت الثنية ضيقة تحف بالدرب الضفائر
من الجانبين لحماية القوافل في الماضي ؛ وعندما مهد الطريق وبعد أزيل
معظم تلك الضفائر ، فتوسع كثيراً •

وادي غران

علوت هذه الثنية ، ولما أشرفت منها فإذا أمامي سهل يشبه السهل
السابق اتساعاً ، ولكنه يختلف عنه في الخصوبة وال عمران ووفرة المياه •
هذا هو وادي غران الخصيب المتصل شمالاً بوادي خَلِيس
الأخصب منه ، فظهرت النخيل من وراء الأشجار الحرجية التي تكثر في
هذه الأودية الريانة ، وهي أنواع كثيرة من السلم والمرخ والسمر ،
وغيرها ، تشكل غابات يضل فيها الغريب •

(١) ديوان كثير من ٣٩٥ - ٣٩٨ •

يأتي وادي غران عن يمين المشرف عليه من الثنية ، ثم لا يلبث أن ينحرف شمالاً ، حيث يسمى الحمض ، وهو ما كان يعرف بالكدريد ، سمي الحمض لكثرة ما به من شجر العصلاء ، وهي نوع من الحمض ؛ ثم يتصل بسهل خُلَيْص الواسع الخصيب الوفير المياه ، وهو ما كان يسمى (أمَج) ، ويظن من يراهما أنهما وادٍ واحد لا متزاجهما •

ويعتبر غران - في العرف الجغرافي - رافداً من روافد أمَج ، رغم كبره ومطاولته أمَج على طوله •

وغران يسيل من حرة الحجاز العظيمة من قسمها الجنوبي ، فيسمى رهاطاً • وادٍ خصب فيه عيون جارية وآبار زراعية غزيرة المياه ، وسكانه الروقة من عَتِيبة ثم مُعَبَّد من حرب ، فاذا انحدر الوادي إلى (البرزة) المنطقة الزراعية المشهورة سمي غراناً إلى أن يجتمع بأمَج • وفي غران كانت غزوة بني لحيان لرسول الله ﷺ •

المنظر العام من ثنية غزال

من اليمين : تمتد حرة صويك مشرقة كحد السيف ، حيث يرى أعلى وادي غران ضيقاً بين الجبال أتياً من مطلع الشمس ، وفي هذا المضيق تقع أم الجِرْم : أرض زراعية ، فيها عين وآبار تسقي مزارع كثيرة هناك ، وسكانها المصاييح من الشيوخ ، وهم منتشرون في الحجاز ، ويتسبون إلى الأنصار ، والله أعلم •

ثم تحف بگران من الشمال الحمراء : هضبة حمراء ، تكنع في سيل الوادي ؛ وهذه بداية ديار مُعَبَّد من بني عمرو من حرب ، وتمتد ديارهم شرقاً على جانبي غران إلى رهاط ، وجنوباً إلى مكدركة : صدر وادي الهدة الذي تحدثنا عنه آنفاً ؛ ثم تبدأ ديار الروقة من عَتِيبة على نواشغ غران العلى ؛ يلي الحمراء من الشمال ضعاضع أجبل تسمى

الهضاب ، تشترك فيها قبيلتا مُعَبَّد والبِلَادِيَّة (بلادِيَّة اليمن) قوم صاحب هذه الرحلة ؛ ثم يظهر بعد الهضاب فجوة وادي أبي حليفاء ، منساباً بين المهاد ، ثم جبال البلدية المشرفة على خَلِيس من الشرق ، فاصلة بينه وبين الخوار القرية العامرة من وادي أمج ، أما وراء أبي حليفاء فإذا كان الجو صحواً فبإمكانك رؤية شَمَنْصِير ، ذلك العلم الشامخ ، ويسمى هنا ضلع سليم ، يبعد من هذه الثنية قرابة أربعين كيلاً شمالاً شرقياً .

كل هذه المعالم من الجنوب الى الشمال مما يلي الشرق على نسق،
تحد هذا السهل الواسع من الشرق .

أما من الشمال فتظهر حرة الخَلِيسية - نسبة إلى خَلِيس - مستطيلة من الشرق الى الغرب ، وهي تحد هذا السهل من الشمال دون أن تترك له أية فجوات كما هي الحال في الجبال التي تتخللها الأودية ، وتبعد هذه الحرة من هنا قرابة خمسة وعشرين كيلاً ، وهو عرض السهل مدار البحث .

واذا نظرت يسارك رأيت الحرار تماشيك غرباً شمالياً : حرة
نِقْرَى ، التي يقول فيها عَمِير ابن الجعد القهدي في يوم حشاش^(١):

لَمَّا رَأَيْتُهُمْ كَأَن نَبَاهِمُ ، بالجزع من تقرى نجا^(٢) خريف
وعرفت أَن من يثقفوه يتركوا للضبع أو يصطف بشر مصيف
أيقنت أَن لاشيء ينجي منهم إِلَّا تَعَاوَتْ جَمَّ كل وظيف

(١) قريب من تقرى تلعة تسمى حشاشة ، وربما هي حشاش .

(٢) وردت تقرى هنا بالتحريك، والمسموع اليوم بكسر النون وسكون القاف ، مقصور ، والنجا : المطر .

رفعتُ ساقاً لا أخاف عثارها ، ونجوتُ من كُثْبِ نِجاء خذوف
واذا أرى شخصاً أمامي خلته رجلاً فملت كميلاً الخذروف^(١)

وقال مالك بن خالد الخناعي الهذلي :

لما رأوا نَقْرَى تسيل إكامها بأرعنَ إجلال وحامية غلب

وقال أبو صخر الهذلي أيضاً :

فلما تغشى نقریات سحيله ودافعه من شامه بالرواجب
وحلّت عراه بين نقرى ومنشد^(٢) وبُعْج كَلَف الحنتم المتراكب

ثم حرة عويجاء - تصغير عوجاء - : حرة تجد نعوفها أمامك على
الطريق بعد ثمانية أكيال تقريباً ، ثم تتجه غرباً فتكنع في الساحل بين
جبلي الأخلّ وجُمْدان ، ثم جبلا جُمْدان شمال حرة عويجاء تجدهما
يسار الطريق بعد اثني عشر كيلاً ، تكون قد مررت - قبلهما - بحريرة
سويداء فيها بياض طيني ، هذه تسمى (الشفّر) وهو في لغتهم المغر ،
وهو ما تعمل منه الطباشير وتمحى به ألواح الكتابة أيام المعلّيمات .

هذه حدود هذا السهل الذي يبلغ من الشمال الى الجنوب خمسة
وعشرين كيلاً ، ومن الشرق - عند جبال البلادية - الى الغرب عند
جمدان قرابة عشرين كيلاً .

وهذا السهل كله صالح للزراعة ، والمياه متوفرة في معظمه ، ولكن

(١) عن « معجم البلدان » شخص : أي خيال . الخذروف : لعله
ما يعرف اليوم بالتخروف : اناء يصنع من سعف النخيل .

(٢) ولا تصح هنا نقرى الا بتسكين القاف كما في شعر الخناعي ،
وهذا يؤيد ما هي عليه اليوم ، والتصحيح في الكتب القديمة معروف .
ومنشد ليس من ديار خزاعة واطنه مقحم هنا .

المزروع منه لا يزيد على ٢٥٪ من هذه المساحة المقدرة بـ (٥٠٠) كم^٢
لأسباب ، من أهمها :

١ - يسيل وادي خليص وكذلك غران - وهما قوام هذا السهل -
في بعض السنين عدة مرات مما يحدث خراباً في الأراضي ، ثم يطفو الماء
حتى يصبح على نزعة أو نزعتين في كثير من الأماكن ، ثم تأتي سنين
جذب ، ومنها هذه السنة فتغور المياه وتتوقف آلات الضخ ، إلا لمن
استطاع تعميق بئرهِ كأصحاب المزارع الكبيرة .

٢ - كثير من الملاك ليست لديهم القدرة على تحويل أراضيهم
الى مزارع دائمة لضيق ما في أيديهم ، لذا باع الكثيرون منهم أراضي
على أهل جدة ومكة فأنشأوا المزارع ذات الأشجار المثمرة ، بينما ضلت
الأرض التي يتمسك بها أهلها بؤراً .

٣ - عدم وجود ارشاد منظم ، وعدم عناية المكتب الزراعي
الموجود ، فالحشرات تقتك بالمزروعات حتى بعد أن يحين حصادها .

٤ - بعد الحرب العالمية الثانية بدأت في الجزيرة موجة الهجرة الى
المدن ، حيث تتوفر الأعمال والخدمات المغرية ، مثل الكهرباء والماء
والمواصلات ، فهجر الكثيرون أرضهم فارت .

ووداي خليص (أمج) بالذات يسيل في سنين الرجوع أزيد من
عشرين سيلة ، تذهب هدرأ الى البحر ، بل تجرف معها ما على الأرض
من مدر يصلح للزراعة فتترك كثيراً منها شاقّة جرعاء ، فيجأ الأهالي
بالشكوى فترسل هيئة ، يكون قراره دائماً - كالشريط المسجل -
معاوضة الأهالي عن هذه الخسائر ! ولا تتعمق تلك الهيئات - لقلّة
خبرة أكثر أعضائها - إلى ما وراء ذلك ، كدراسة المسببات ، وعلاج
هذه الحالات مستقبلاً . والعلاج الذي ننادي به دائماً هو (السدود)

سدود لهذه الأودية شديدة الانحدار ، وقد سمعت هنا أن النية تتجه
الى سد وادي خُلَيْص • فاذا صح فسيغير وجه الأرض •

مشاهدات

أكتب كل هذا وأنا أقف في رأس ثنية عسفان أو غزال ، كما هو
اسمها القديم ، ويتراى لي من الشرق من وراء الحدود التي حددتها
لذلك السهل ، جبل ضفد أو جبل معبد كما يسمى أحياناً : وهو جبل
أسمر مستطيل من الجنوب الغربي - حيث يقرب من غران - الى الشمال
الشرقي حيث يتعد كثيراً الى جهات (نبط) ، وأرى وراءه بعيداً - عليه
العسام - جبل شمنصير أو ضلع سليم ، المار ذكره آنفاً ، وهذا الجبل
من أعظم مصادر وادي أمج التي تغذيه بالمياه •

ثم أرى في الشمال الشرق جبال بعيدة متقاطرة من الشرق الى
الغرب كالأنياب : أحدهما جبل عمدان : جبل له ثلاثة رؤوس في جسم
جبل يسيل مأؤه في ساية من صدر أمج • ثم أبا النَعْر : بالتحريك :
يلبي عمدان من الغرب ، وهو ضلع طويل محدد الرأس يسيل مأؤه في
وادي مسر من صدر الخريق (وادي الأخرم قديماً) وسيمر معنا بعد
حين

ثم القنعاء : هضبة ملمومة الرأس ذات فرعة مستدير ، يسيل مأؤها
في مسر الشمالي ، وهي منبع هذا الوادي ، وهي التي يقول فيها والد
صاحب الرحلة :

أنا هيَض عليه يوم أنا في المرقب العالي

موايق في حجا القنعا لعل الغيث يستقيها

من قصيدة رويتها في (الأدب الشعبي في الحجاز) وفي كتاب
(نسب حرب) •

ثم ظهر في الشمال العدل - من موقفي هذا - رأس جبل من وراء حرة الخليصية كأنه غرس في وسقها ، بينما هو يبعد وراءها بأزيد من ثلاثين كيلاً تقريباً ، ويبعد عن مكاني هذا بستين كيلاً تقريباً بالمسافة التسامنية ، ذلك أو تلك هي هضبة (الوَشْحَاء) التي تقع في طرف وادي قثيد من الجنوب ، وسوف نمر بها بعد ساعات ، إن شاء الله •

افتراق الطرق

ومن موقفي هذا افتרכת الطرق الى ثلاث شعب :

١ - طريق أخذت يمينا ، وهي غير معبدة ، وكانت هذه الطريق هي الموصلة بين المهد (مهد الذهب) وبين جُدَّة ، عندما كان يستخرج الذهب من ذلك المعدن الذي كان يعرف قديماً بمعدن بني سليم ، أما الآن فانه مسلك سكان القرى التي بأعلى غران، مثل: المعارج ، والبرزة ورهاط ، وغيرها •

٢ - طريق تأخذ شمالاً ، وهي ترائية أيضاً ، غير أن مصلحة الطرق تعني بمسحها بين حين وآخر ، وهي طريق ساية ونواحيها من ديار بني سليم ، وعلمت هنا أنه قد شق منه طرق يصل حرة ذرّة بساية ، وهذه الطريق تجزع وادي غرّان على مرأى من هنا بين القرى والنخيل فاذا خرجت من غران فرقت منها شعبة الى صدر خُلَيْص الواقع شمالنا من هنا •

٣ - أما الطريق الثالثة فتتحرف يساراً غرباً : هذه الجادة العظمى ، وهي درب الأنبياء ، وطريق مهاجرته ، **وَبَيْتُهُ** ، وهي الطريق المؤدية الى المدينة المنورة ، طريق معبدة تعبيداً حسناً ، وهي طريق رحلتنا •

استئناف السير

كانت الساعة الثامنة صباحاً ، وكيل السيارة يشير الى (٨٥) من مكة ، وخمسة فقط من عسفان • والجو غائماً ، وقد ترى على زجاج السيارة بعض نقيطات صغيرة لبعض الرذاذ ، والرياح رخاء محركاً للسحب ، ولذا فقد ترى زرقة السماء بين حين وآخر لتماوج هذه السحب تحت جذب الرياح الشمالية •

تحركت على طريق الاسفلت ، وقد وصفت لك كل الأرض المحيطة بطريقي على مد النظر ، والى مسافة تقرب من ثلاثين كيلاً الى الأمام • ولكن لن نعدم ما يستحق التعليق مما لم يظهر أثناء المشاهدة •

ثم مررت بصمد مرتفع يسمى صمد المغربي ، يبعد عن عسفان (١٢) كيلاً شمالاً ، تقسمه الجادة قسماً ، ثم مررت بعد ذلك بما يقرب من كيلين بطرف الحمض (الكديد قديماً) وهذه النقطة بالذات هي المعنية بالأقوال الواردة في الكديد •

جاء في الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صام ، حتى إذا بلغ الكديد أفطر ، فأفطر الناس •

وقال البكري : انه كانت بالكديد عين جارية • ولكن اليوم لا يوجد فيه أثر للحياة •

وفي الكديد يوم بين بني سليم ، وبني فراس من كنانة •

قتل فيه ربيعة بن مكدّم الملقب بحامي الطعينة ، كان فارس بني فراس بن غنم ، وكلهم فارس ، ولشجاعة بني فراس ، قال علي كرم الله وجهه ، لجيشه يوم صفين : وددتُ والله أن لي بكم ألفاً من بني فراس بن غنم ، صرف الدينار بالدرهم •

وكان جيشه يومذاك عشرة آلاف مقاتل ، وقيل أكثر بكثير •

ومن طرف الكديد كانت على يساري كراع حرة يكاد يلامس الجادة ، به بياض يسمى النشعر ، وله شهرة مكانية في الاسترشاد عند أهل البلاد ، والنعر كما قدمنا نوع من التربة يستعمل لصنع الطباشير •

جمدان والدف

وهنا اقتربت من جبل جمدان ، ومن الدف ، وعلى كيل واحد من النشعر توجد محطة أقامها أحد الأهالي ، وهي مكونة من : مقهى صالح للجلوس في هذه الأرض الجرداء ، ومحطة محروقات • والأرض المحيطة بها بياض جرداء تنكفىء من جبل جمدان ، منحدره شرقاً الى الحمض ، بميلان منتظم غير حاد ، ولقربها من الدف (دف جمدان) سميت قهوة الدف ، والدف القديم يبعد عنها بأربعة أكيال ، وسيمر ذكره لاحقاً •

ومنذ أن جاوزت صمد المغربي الى قهوة الدف كانت مزارع الحبوب العشرية منتشرة ، وخاصة الجانب الأيسر الذي تنحدر منه سيول التلاع الآتية من حرة عويجاء أو حرة نقرى ، مثل تلاع : أم السكلم ، وحشاشة ، وغيرها •

وهذا يحيل هذه الأرض الجرداء الى خضرة قد تدوم أربعة أشهر أو نحوها ، فإذا جاء الحميم واحتر الجو ييس الشرى وابتضت الأرض •

كانت الساعة الثامنة وعشرين دقيقة ، وقد لحقني الريق ، لأنني لم أفطر بعد ، وقد غاض خزان السيارة بما يقرب من عشرين لتراً من الوقود •

توقفت أمام المقهى فتوجهت الى داخله ، وكان رواده قليل ، لأن الناس الذين يرودونه هم في هذا الوقت منصرفون الى أعمالهم ، وكان يعمل فيه رجل أسود ، وهو غير نظيف ألبتة ، ولكن كما يقولون في أمثالهم : (أدنات ما جزى البعير المسافر !) والمحطة على (٩٦) كيلاً من مكة ، والدف هو المرحلة الثالثة من مكة أيضاً ، والثامنة من المدينة على نظام قوافل الجمال •

والدف يقرن دائماً بجمدان ، فهو سفح رملي من جمدان يكاد يشمل كل سفحه الشرقي ، وكل سفح جبل رملي يسمى دَفّاً ، مثل : دَفّ زيني ودَفّ خزاعة ودَفّ شُلَيْتة ، وكلها بمر الظهران ؛ والدف محطة تاريخية على مر الزمن بين مكة والمدينة ، ولها خبر في قصة تَبَع وغزوة البيت الحرام ^(١) .

وعندما جلست في المقهى كانت الأرض التي أمامي غرباً الى سفح جمدان قرابة ٤٠٠ متر مزروعة شرياً ، يظهر فيه الجبجب كأنه أحجار سود تناثرت من جبل جمدان .

ثم أخذ بعض الرواد يتوافدون ، كان معظمهم سائقي سيارات كتب على بعضها : نقل الرخام السعودي . واخرى كتب عليها : العين العزيزية . وأردت أن اختبر صاحب المقهى ، وهو من أهل هذه البلاد فأشرت الى جبل جمدان فسألته عن اسمه - وهي عادتني مع من أريد أن أخذ عنه الأخبار - فقال : حرة خُلَيْص ! فعرفت أنه أما كذاب أو جاهل ، فلم أسأله عن غيرها . وهكذا فإن أكثر أخطاء الذين يمشون بهذه الأرض ناتج عن سؤال مثل هؤلاء الجهلة الذين لا يعرف أحدهم حتى المكان الذي يقيم فيه ، ولكن الباحث يظن أن كل أهل مكة أدري بشعابها .

ذكريات

وبعد أن تناولت طعام الافطار - الذي أحضرته معي - طلبت برّاداً من الشاي ، هكذا نسمي اليوم الوعاء الذي يحضر فيه الشاي ، ولا أدري كيف يكون برّاداً وهو حار ! المهم هذا هو اسمه وكفى ؛ وذكرت وأنا أشرب الشاي كيف كنا نقف قريباً من هنا عندما كنت في السابعة من عمري ، وكنا نتفرج على قوافل الجمال التي لا نرى أولها ولا آخرها ،

(١) للتوسع في هذه المعالم كلها يراجع « معجم معالم الحجاز » .

تحمل الشقائف ، ومن فوهاتنا يطل بعض الحجاج برؤوسهم على نعمات
الأطفال يقولون :

سلامات سلامات حجاج بيت الله . . . وكلمات حلوة أخرى لم
أعد أذكرها ، غير أن اللحن كان ينبعث من أفواههم حلواً شجياً ، وكان
يستهوئ بعض الحجاج فيبتسم لهم في حنان و إعجاب ، كيف لا ، وهو
لحن يغنيه أبناء الحجاز ، وكثير منهم من سلالة الصحابة والأنصار ، وهذا
حاج يرى القداسة في كل ذرة على هذا الطريق ، فهو درب الأنبياء
والصالحين والأتقياء على مر الأزمان ؛ كانت القافلة الواحدة تعد بعشرات
الجمال ، مربوط كل جمل في مؤخرة سابقه وهي تسير في هدوء وتؤدة
لا يقطع السكون سوى صرير أخشاب الشقائف ، وتلك النعمات التي
يردها الصغار ، والجملالة يسرون على جانبي هذه السلسلة البديعة ،
فلا يميل شقاف حتى يسرعوا إليه ، وان انقطع خطام بعير اسرعوا
يربطونه ، وهم مع ذلك أمناء على أموال الحجاج وكل ما حرم الله عليهم ،
يؤدون واجبهم في شمم ونخوة وأمانة وشهامة ، هي خصائص العربي
ومميزاته .

تذكرت هذا وتذكرت كم كانت المسافة من هنا الى مكة تستلزم
من الزمن للمسافر ؟ .

ورأيت السيارات تمر من أمامي تنهب الأرض نهبا وكأنها في عجلة
من الأمر ! رغم أنه قطع ثلاث مراحل في ساعة واحدة ، كان أبأوه
يقطعونها في ثلاثة أيام بلياليها .

كانت هذه الذكريات تعود الى نيف وثلاثين سنة ، وقد تقدمنا
خلالها تقدما فاق الحلم ، ولم نكن آن ذاك نتصوره أو نفهم كيف هذا
الوضع الذي نحن فيه الآن ! .

واذا كان الطريق أمامنا لا يزال طويلاً فانه يجب أن نعرف قيمة
ما أنجزنا ، ومن ثم نستعد لمواصلة السير في طرق مدروسة مخططة .

لقد خرجت كثيراً عن الموضوع ، ولكنها شردت ذهن وذكريات
يعجز الانسان عن طردها ، ومما قد يؤخذ علي هنا هو أن الوصف
الطوبوغرافي يفرض علي نفسه حتى لاأستطيع الا أن أقدمه لك ، وكأني
أقدمه الي مجموعة تستعد للهجوم ! وهذا تأثر بجيأتي العسكرية ، وعلى
العموم فهو جزء من الجغرافية الوصفية بل يعتبر خلاصتها .

وادي خُلَيْص

تحركت من محطة الدف أو محطة خليص كما كتب على لوحتها ،
وكانت الساعة (٩٤٠) متجهاً شمالاً على الطريق العامة ، فكان عن يميني
امتداد سهل خُلَيْص الخصيب ذي الشجر الكثيف والغابات المدلهمة
وظهرت سوادة أشجار الحمضيات كقطع من الليل ، غير أن أكثر مايشوب
الوادي كثرة غابات الأثل والطرفاء في هذه الأرض الخصبة وفيرة المياه في
معظم الأوقات ، فالوادي ليس مستصلحا كله للزراعة ، ولا يزال مايقرب
من ٤٠٪ من أرضه بوراً ، لها ملاءك وليس لها زُرْعاع ، ومع ذلك ففيه
خمسمائة بئر زراعية ، ويبلغ عدد سكانه (٣٠) ألفاً وظهر في طرف
خُلَيْص من الشمال حصن خليص المشهور ، يتربع على رأس مجمر
(قارة سوداء) بظله من الغرب مقر امارة خليص التي تتبعها خمس
وثلاثون قرية ، كلها لقبيلة حرب .

وادي أمج

ووداي خليص هذا هو وادي أمج قديماً ، أو هو الجزء الهام منه
فوادي أمج ينحدر من حرة الحجاز العظيمة التي كانت تعرف بحرة بني
سُلَيْم ، وله منها روافد عديدة وبعض هذه الروافد من جبل شمنصير
المتقدم ذكره ، كل ذلك لبني سليم بن منصور القبيلة التي توجد اليوم في
جزء ضيق من ديارها الأصلية ، وأسفله خُلَيْص لبني حرب القبيلة

الخولانية التي نزلت هذه الديار في أول القرن الثاني الهجري ، فما لبثت أن استولت على جل ديار خزاعة وكنانة ومُزَينة وعَنْزَة وبني سُلَيم^(١) وقد روي أن سبعين أو تسعين عيناً جارية كانت بأمعج، أما اليوم فمجموع العيون في هذا الوادي لا تزيد عن عشر ، سحبت منها خمس الى جُدَّة.

جبلًا جَمْدَان

بينما كان عن يميني وادي خليص كان عن يساري جبلا جمدان ، وهما جبلان في شكل سلسلة تسائر الطريق من الجنوب الى الشمال ، يفصل بينهما فج واسع يسمى فج العشار ، وهي الابل اللقح ، وقد تكون غير ذلك ، وهما يميلان الى السواد ، ويشرفان على الساحل غرباً ، ولا تسمع من يقول أن جمدان جبلان ، بل يقال : جبل جمدان ، ويظهر أن التسمية كانت تثنية من قديم الزمن . ولجمدان نصوص في كتب المتقدمين وله ذكر في الحديث ، وقد مر بجمدان شاعر تهامة كثيرٌ عَزَّة وهو يصف رحلة غيث بدأت من ذهبان قرب جُدَّة الى جَيْدَة في ديار قضاة قرب تبوك ، فقال بعد تسعة أبيات من هذه الرائية :

وأعرض من ذهبان معروف الذرى تَرَيَّعُ مِنْهُ بِالنَّطَافِ الْحَوَاجِرُ
أَقَامَ عَلَى جَمْدَانِ يَوْمًا وَلَيْلَةً فَجَمْدَانُ مِنْهُ مَائِلٌ مُتَقَاصِرُ
وَعَرَّسَ بِالسَّكْرَانِ يَوْمَيْنِ وَارْتَكَى يَجْرُ كَمَا جَرَّ الْمَكِيثُ الْمَسَافِرُ
بَذَى هَيْدَبٍ جَوْنٍ تَنْجَزُهُ الصَّبَا وَتَدْفَعُهُ دَفْعُ الطَّلَا وَهُوَ حَاسِرُ

(١) عن بني حرب انظر كتابي « نسب حرب » ، وعن بقية القبائل الواردة هنا انظر « معجم قبائل الحجاز » .

وسَيَّلَ أكناف المرابد غدوة وسَيَّلَ منه ضاحك والعواقرُ
ومنه بصخر المحو ودق غمامه له سَبَلٌ "واقور" منه الغفائرُ
ومرفأ روى ينبعاً فجنوبه وقد جيد منه جيْدَةٌ فعباثرُ
من قصيدة تبلغ ثلاثين بيتاً ، ولمعرفة هذه المواضع وتحديدِها
يراجع (معجم معالم الحجاز) .

شجرة تزار

وفي الشمال على يسار الطريق شجرة تختلف في شكلها ونوعها عن
أشجار هذه الديار ، يزورها بعض جهلة هذه النواحي ، ويعلقون عليها
بعض الخرق تبركاً ، ويقال : ان بعض من لا ينجبون يذهبون فيباتون
تحتها ، ويزعمون النفع ، وقد ندب نفسه لقطعها السيد عبد المطلب من
أهل عسفان من السادة الحسينيين ، فقطعها قبل سنوات ، ولا أعلم عنها
شيئاً بعد ذلك . والذي يتبادر الى الذهن أن هؤلاء ورثوا بالعادة أن
لهذه الشجرة أو مكانها علاقة بهجرته صلى الله عليه وسلم ، ومن الثابت
أنه مر هنا أثناء مهاجرته الى المدينة ، ولكن الأشجار والأحجار جماد
لا يضر ولا ينفع ، والاتجاه الى الله هو الطريق السوي عند الملهمات .

وعلى بعد أربعة أكيال من المقهى المتقدم ذكره مررت على جسر ،
هذا الجسر على شعب يأتي من جمدان الشمالي وفي صدره الشجرة
المار ذكرها .

وعند نهاية الجسر مباشرة فرق الى اليمين طريق يذهب الى خليص
وسوق خليص يبعد من هنا ثمانية أكيال ، وبعد هذا الجسر مباشرة يوجد
بناء مهدم هو الأثر الوحيد في هذه المنطقة ، وهو مكان سوق الدف
التاريخي القديم ، ولا توجد آثار لهذا السوق لأن حوائيته ومقاهيه
كانت تبنى بالجدوع وخشب الطرفاء ، لذا زالت بزوال الجمال التي
كانت هذه المحطة قائمة على خدمتها .

ومن هنا انحدر الطريق في منخفض تكتنفه غابات من الطرفاء جعلت الأرض الطينية سبخاء ، وهذا هو أسفل وادي أمج حيث يدفع سيله في البحر ماراً بين جبل جمدان في الجنوب ، وحرّة البكاوية في الشمال ، ثم يسقى ثول عند بلدة الدشعيجيّة ، ومن هنا مر الرسول صلى الله عليه وسلم ، في هجرته حسب النص المتقدم معنا ، ولأن هذا المكان أنسب الطرق هنا .

ويمر الطريق هنا على عدة عبارات يجري تحتها سيل هذا الوادي الفحل ، غير أن سيله كما يقول الأهالي (مضيق القياس) أي يجعل من يتعامل معه يخطئ التقدير ، وهذا ما حدث مع الشركة التي عملت هذه العبارات ، فقد جاء سيل أمج فأكتسحها ودمّر الاسفلت ، وهانحن نمر في تحويلات عند كل عبارة .

والأرض المحيطة بالطريق صالحة للزراعة ، الا انك لا ترى بها أثراً للعمار والاستصلاح . وفرق يميناً طريق ممسوح الى امارّة خُلّيص ، وبعد أن قطعت الوادي الى طرفه الشمالي رأيت على يميني قرية صغيرة وبويات من القش أحدثت في عهد قريب ، سألت عنها فقيل : لي إنها نزلة السواطي : بطن من زُبَيْد من حرب سكان هذه الديار .

وعلى اليمين ببعد رأيت المباني التي تقيم فيها امارّة خُلّيص ، وهي تحت الحصن من الغرب . كما رأيت نخل (العين) يابساً بعد أن سحب ماؤها الى جُمْدَة ضمن تلك العيون التي سحبت ، وهذه العين كانت تعرف بعين ابن بزيع ، ثم أطلق عليها اسم عين خُلّيص أو عين الباشا ، ثم صارت تسمى العين مطلقاً لأنه ليس في خُلّيص عين سواها في الزمن القريب ، وأجر أهلها ماءها على العين العزيزية بجدة ضمن عيون أخرى في وادي الخوار وهو جزع من أمج بين ساية وخليص ، من تلك العيون عين لنا فيها أملاك ، فبيس نخل هذه العيون وهجرها أهلها وانيسها ، وأصبحت خلاء خراباً .

ذلك أن النخل في هذه السنين غير مربح ، بل يقول أهله أنه لا يرد
التكاليف ، يضاف الى ذلك ان الوسائل لم تتحسن هنا ، فما أن وصلت
ادارة العين العزيزية الى خليص حتى تسابق أهل العيون الى تأجيرها
بشمن بخس ، ضمن ذلك عين لنا فيها أملاك - كما أشرت آنفاً - تبعد
من هنا (٣٦) كيلاً .

ثنية لفت

وما أن جزعت أسفل أمج حتى رأيت أمامي فجوة في حرة الخليصة
أو هي فاصلة بين الخليصة والبكاوية ، هذه الفجوة تلعة كبيرة تسمى
خربق ضَبْع ، وفي رأس هذه التلعة تقع ثنية لِفْت التاريخية ، والتي
مر فيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في مهاجرته ، وكانت طريق
الجمال ، وطريق الحج تطؤها الجادة العظمى أو الطريق السلطاني كما
يسوونه ، الى أن سدتها الرمال قبل خمسين سنة تقريباً ، فتحول الطريق
الى الغرب حادراً وادي أمج ثم أخذ خشم الرُخْمَانِيَّة - شرق
الدُعَيْجِيَّة فالقَضِيمة وتسمى الثنية اليوم (الفَيْت) ولعل الأصل
تصغير لفت (لِفَيْت) ثم أدغم في النطق كما قالوا : القِيم في لَقِيم :
من أودية الطائف .

وعند شق الطريق المعبد ترك لِفْتاً يمينه واعتبط حرة البكاوية
كما سترى .

وفي لفت يقول معقل الهذلي :

لعمرك ما خشيت وقد بلغنا جبال الجوزِ من بلد تهامي (١)
نزيعاً مُحلباً من آل لِفْتٍ لحيٍّ بين أثلة فالنجم

(١) الجوز : اسم قديم للمنطقة الجبلية بين مكة والمدينة .

وقد مرت معنا في لامية كثير (قصد لفت وهنّ متسقات) •

ومن هنا — أي من رأى فجوة لفت — انحرف الطريق الى اليسار مع صعود حاد في عقبة كأداء لم يكن لها سابق طريق ، انما شقت سنة ١٣٨٥ هـ عند سفلت هذا الطريق لأنها كانت أقصر وأعدل ، وأرضها هشة طينية •

سهل قَدِيد

علوت ظهر حرة البكاوية فنظرت الى عداد السيارة فاذا هو يشير الى (١١٥) كيلاً من مكة ، والساعة العاشرة ، فتوقفت وقد أشرفت على سهل قديد والأخرم عندما يختلطان في سهل واحد واسع فسيح ، يبلغ عرضه من الشمال الى الجنوب (١٥) كيلاً •

وهذا السهل يتكون من واديين اثنين هما :

وادي الآخرم

واد قاحل قليل الأهمية نسبياً ، يأتي من الشرق بين قَدِيد شمالاً وأمج جنوباً •

وأعلاه مسران : واديان ، أحدهما يسيل من هضبة القنعاء المار ذكرها والتي أرها الآن شرقاً مع ميل يسير الى الشمال ، ويسمى مِسْر الشمالي ، والثاني مِسْر اليماني ، وهو يسيل من جبل عمدان المتقدم ، فاذا اجتمعا سمى اجتماعهما الملاقي أو ملاقي مِسْر ، ثم يسمى الوادي الخَرِيق الى أن يختلط بسهل قَدِيد الفسيح ، يختلط به في الجنوب بلبط حرة البكاوية من الشمال ؛ وفي مسرين يقول شاعر سُلَيمي في يوم بينهم وبين زُبَيْد من حرب :

أنا اللي هاضني واطرى على بالي	نهار في ملاقي مسر يطرونه
نهار زييد جَوّنا جمع هَيْتالي	على الركبان والمزري يشيلونه

ويمر الطريق في الأخرم (الخريق اليوم) عند الكيل ١٢٤ من مكة .
وفي الأخرم يوم بين بني جُشَم بقيادة دُرَيْد بن الصَّمَّة وبين
ربيعة بن مُكْدَم من بني فراس بن غَنَم من كنانة ، وفي ذلك اليوم
قتل ربيعة ثلاثة من أتباع دريد ، وسمي حامي الطعينة ، فقال :
ان كان ينفعك السؤال فسألني عني الطعينة يوم وادي الأخرم
ويلي الأخرم من الشمال طارف قديد ، كان محطة للجمال قبل
انسداد ثنية لفت ، وهو المرحلة الرابعة من مكة ، وله ذكر في رحلات
الحجاج ، ثم تحول أهله الى القضية تبعاً لمنازل الحاج فاندثر الا من بر
لا زالت تورّد .

ووادي الأخرم عموماً وادٍ قاحل ليست به زراعة ولا سكنى دائمة،
ولا أظنها كانت فيه يوماً ، انما به آبار سقي وقد يزرع عشراً .

ورغم اشراف هذا المكان الذي أنا فيه إلا أن الجو قد تغير هنا ،
فأصبح كل ما أمامي يحجبه الغبار حتى سد الأفق ، مما حال دون اعطاء
وصف للمنطقة ، غير أنني أتجهس حرة المشلل من وراء هذا السهل
الواسع ، التي تسير محاذية لوادي قديد من الشمال ممتدة بامتداده من
الشرق الى الغرب فاصلة بين وادي قديد ودَوْرَان ، وتسمى اليوم
القُدَيْدِيَّة نسبة الى قديد ، ويشبه تكوينها تكوين حرة ضجنان .

وادي قَدِيد

وادي فحل من أكبر أودية الحجاز وأكثرها عيوناً ، حظه في بقاء
هذه العيون يأتي في الدرجة الاولى ، اذ لاتزال تجري فيه عشرون
عيناً بحاجة .

يأتي وادي قديد من حرة ذَرَّة ، ويسمى أعلاه سِتَارَة لبني
سَلِيم ، ثم يسمى أسفله قديداً وهو لقبيلة زُبَيْد من حرب ، وفي

كلا الجز عين عيون وآبار زراعية وقرى متصل بعضها ببعض حتى أنك عندما تكون في قرية يمكنك أن ترى عدداً من القرى الأخرى ، وترتبه خصبة صالحة للزراعة رغم أن المستصلح منه — خاصة في أسفله — قليل ، وفي قديد هذا أماكن تاريخية سوف نمر معنا ، وكان سكانه خُزاعة في صدر الاسلام ، غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماء لهم يسمى المريسيع سنتحدث عنه لاحقاً • وأخذ عمر الأموال حتى نزل قديداً فقسمها في بني خُزاعة •

ولقديد ذكر غير خامل في تأريخ الحجاز^(١) ، وله اليوم امارة تجمع جزئيه السلمي والحربي بعد أن كان الأول يتبع ساية ، والثاني يتبع رابع ، فأُسست له امارة وضعت على الحد بين القبيلتين في عين تسمى (الظبْيَّة) تصغير ظَبْيَّة ، فصار اسم الإمارة ، امارة الظبْيَّة ، والمفروض أن يكون اسمها امارة قديد •

ويبلغ عدد سكان قديد (٢٥) ألفاً تقريباً ، منهم (١٥) ألفاً في القسم الحربي •

تحركت من هذا المشرف على حرة البكاوية فانحدر الطريق في عقبة صلاء فجزعت سهل الخريق أو بالأصح مجرى ، سيله إذ السهل واحد لا يتجزأ ، وعلى عشرة أكيال و (١٢٥) كيلاً من مكة فرق طريق قديد يميناً عن الطريق المعبدة ، وهذا الطريق ترابي يسير في خبت سهل لا تجد السيارة فيه صعوبة عدا دعيصات هنا وهناك حول منابت الشجر ، وبعد مسيرة كيلين فقط أصبحت الطرق تفرق في كل اتجاه وكثرت بُنيّات الطريق ، فشككت فيما أسلكه ، فوجدت امرأة تحوش ضائناً لها فسألته فأكدت لي انني على الطريق القيم ، كانت الهبوب تثير السافي

(١) انظر معجم معالم الحجاز •

بشكل مزعج ، حتى لم أرى ما عن يميني وشمالي ، وأخذ الطريق يميل تدريجياً الى الشمال الشرقي ، وعلى (١٢) كيلاً من الاسفلت ظهر لي نخل عرفت أنه أول مزارع قديد وبداية الأرض المأهولة ، كان ذلك بقايا نخل البريكة : تلك العين المندثرة ، والتي كانت - أحياناً - تتناوب المحطة أو تتقاسمها مع الطارف لقربهما من بعضهما ، فقد قال لي أحد الجمّالة القدامى : كنا أحياناً نحط البريكة اذا كثر الحجاج وخشينا نضوب مياه الطارف ، وأحياناً تكون هي المحطة بدلا منه اذا اندفنت بئاره بسبب السيل أو السافي .

وقريب من البريكة الى اليسار ظهر نخل (مَلَح) القرية المجاورة للبريكة ، وصلت البريكة فوجدت فيها امارة ومدرسة ناحية عن الطريق ، وكانت الامارة مغلقة الأبواب ، فظننت أن ليس بها أحد فتعديتها ، فوجدت امرأة قروية تستقي من حنفية من الأنابيب التي تسقى بلدتي القضيبة والدشعيجية ، فسألته عن الطريق فأشارت الى رجلين كانا يتدريان عن الهبوب بجانب مرخة ، فمررت بهما فسألتهما عن قاعدة قديد فأخبراني ووصفا لي الطريق والمسافة .

ثم سرت بين قرى عديدة وعيون جارية ، كان منها : المعترضة ، ودوقة ، وغيرهما .

وعلى بعد (٢٠) كيلاً من الاسفلت ضاق الوادي بين حرتي المشلل من الغرب وحرّة رَيّن من الشرق ، ثم استمر الطريق في درب السيل ، فلمحت على يساري ثنية الرغامة التي تطلعك على دَوْران شمال قَدِيد ، كان بها يوم بين بني سليم وبني حرب ^(١) .

وعلى ٣١ كيلاً وصلت الظبيّة قاعدة قديد .

(١) راجع كتاب « نسب حرب » : أيامهم مع بني سليم .

كانت النخيل تحف بالطريق بشكل متفرق ولكن لم أر وادياً في تهامة بهذا المنظر وهذه الخصوبة عدا وادي الفرع فيما بعد ، بل يخيل إليّ أن قديداً أكثر خصباً ونخلاً ، ثم تشرفت بالسلام على الشيخ مطلق ابن مقبول العصيمي ، من عتية ، وهو أمير قديد ، وأول مسؤول أقابله بعد وكيل امارة منطقة مكة بشأن هذه الرحلة .

كبرت وهانت

ظهور شخص بملابس المدن في هذه القرى وخاصة زيارته لاحدى الامارات البعيدة لاتعني في نظر الكثيرين هنا الا أنه مفتش ، أو مرسل للتحقيق في شكوى بعض المواطنين ، وعندما دخلت اماراة الطيبة كنت ارتدي عباءة (مشلح) من النوع الذي يلبسه كبار الموظفين ! فكانت ملامح الناس وحركتهم — بما من أولئك الأمير نفسه — تدل على الاحتفاء فانصرفوا كلية إليّ واهتم بي سعادة الأمير وطلب القهوة ودبت حركة الذهاب والاياب بين الخويا ^(١) ، ونظراً لرغبتني في كسب الوقت ولطمأنة هؤلاء الأخوة ، قلت للأمير : أنا راحل ، أتيت اليكم لتساعدوني بمن لديه خبرة في هذه الديار ، وخاصة ما كان منها له ذكر في الأدب والتاريخ . وكأنّ سعادته تنفس الصعداء ، ولسان حاله يقول : (كبرت وهانت) .

وهو مثل يقوله من يتخيل أن أمراً ما يحتاج الى جهد ومكابدة ، ثم يكتشف أنه سهل ميسور . وسرعان ما انصرف لتصريف شؤون الامارة وكأنه لم يسمع ما قلت الا أنه عرف بأني بصفة غير رسمية ، وبينما كنت

(١) تطلق هذه الكلمة في المملكة العربية السعودية على الذين يوظفون لخدمة الأمير .

أتناول فنجان القهوة اتبعت لسعادته القول : انني قد أكون مستعجلاً
حتى عن شرب الشاي ، والمهم أن يساعدني •

فطلب مني ما أحضرت من امارة مكة، فأخبرته الخبر ! فقال: إن لدينا
تعليمات بأن مثل هذه الأمور لا بد أن تأتي عن طريق الامارات - يقصد
الكبرى - ولكن هل معك ما يثبت هويتك ؟ قلت : نعم ، وناولته بطاقة
اثبات الشخصية • ولما رآها عسكرية وقع - فيما يبدو - في احراج ،
ذلك أن الناس في بلادنا ما تعودوا من الرجل العسكري مثل هذه الأعمال،
وكل ما يعرفون عنه أنه ذلك الشخص الذي يمسك بالبندقية ، أو يحل
الخصومات بين الناس أو يحضر حادثاً في الطريق ، أما أن يكون كاتباً
باحثاً فهو أمر من النشاز أو ربما اتهم بأنه يتخفى وراءه لمأرب غيره !
المهم أن الأخ مطلق تكرم - بعد أن أخذ رقم البطاقة - فاعطاني خطاباً
الى الاستاذ علي بن رومي المولد ، مدير مدرسة زيد بن ثابت الابتدائية
في البحول ، والبعول : عدة قرى لحرب ، قرية من الطيبة ، منها الجمعة
التي فيها هذه المدرسة •

قابلت الاستاذ علياً فكان كما وصفه الأمير أديباً مثقفاً متفهماً ،
يعرف قيمة البحث ويعرف كثيراً من الباحثين ، ورأيت في المدرسة نشاطاً
حسناً ، ورأيت على الحوائط جرائد منها : فجر الاسلام ، ونور على
نور ، والشروق •

وقام الاستاذ علي بالواجب ، فأخذ يعدد لي الأماكن ، وشدد على
الأماكن التاريخية ، مثل خيمتي أم معبد ، والمريسيع ، وجبله وغيرها ^(١) •
فاذا هي كلها معلومة باقية باسمائها في هذه الأرض • وفي الساعة
الثانية عشر والثلاث خرجت من عنده شاكرأ ، رغم تكرار دعوته لي
بتناول طعام الغداء عنده •

(١) انظر تحديدها في « معجم معالم الحجاز » .

وعدت على طريقي الذي اتيت عليه ، حادراً الوادي ، وكنت عند ذهابي رأيت ببطن الوادي قويرة سوداء يسمونها الحُمَيْمَة ، وعلى قممتها بناء من الحجر الجاف ، أي بدون مؤنة ، فظننت ذلك البناء موقع « مناة » : الصنم الجاهلي الذي ذكر المؤرخون والجغرافيون أنه في حرة المشلل وهذه الحرية أو القويرة من حرة المشلل ، وقفت سيارتي فتسلقت ذلك الضلع ، ولما وصلت ذلك البناء وجدته كان معداً للرماية أيام كانت القبائل تغير على بعضها ، وأنه لا يمت الى الآثار القديمة بصلة .

ثنية المشلل

ثنية يكثر ذكرها في كتب الأقدمين ، وكانت شهرتها بوقوع « مناة » الطاغية على أحد جانبيها ، وقال المتقدمون : هي في جبل قديد ، وقالوا : المشلل الجبل ، وثنية المشلل في ذلك الجبل .

والواقع أن المشلل حرة وليست جبلاً أو أن الاسم للثنية ونسبت الحرة اليها ، وهناك فرق بين الحرة والجبل ، فالحرة : جسم حجري حجارته سوداء مستطيل الشكل مستوى الظهر ، أما الجبل : فغالباً يكون منتصباً ، وظهره أما قمة أو تكون استدارته محدودة ، وهو لا يكون أسود الا نادراً ، وكل الجبال السود عند العرب تسمى الغرابيات ، واحدها غراب .

وكون البحث عن ثنية فان النظر يتجه الى تلك الحرة التي سبق ذكرها ، والبحث عن فجوة فيها كفجوة ثنية عسنان أو لفت ، مثلاً .

غير أن ثنية المشلل ليست من هذا النوع ، فقد كنت أسأل الأهالي عن الثنية التي كان يسير الحاج عليها ، فأشار شيخ لقيته قربها قائلاً : هذا الريع الذي كانت القوافل تجيء معه ، ولا ريع غيره من هنا الى الرغامة .

أي قرب الظبيّة وهو مكان لا يمكن أن يسلكه الحاج لبعده .

فوجدتها ليست ثنية بالمعنى المفهوم ، فهي مسلك في خشم حرة
المشلل يترك الى الساحل برثاً صغيراً ، يمكن أن يتجاهله المسافر فيلبه من
جهة الساحل فلا يكون في المسافة فرق أكثر من نصف كيل ، ولكنك إذا
تبعته طرق القوافل علمت أنهم كانوا يحسبون حساباً لمثل هذه المسافة .

ظهر الطريق منقّى واضحاً كأنه سلك قبل عام ، رغم أن القوافل
هجرتة قبل نيف وخمسين سنة حسب رواية ذلك الشيخ ، لزرت سيارتي
فيه صعداً ولم تصعده سيارة قبلي حتماً ، فرأيت على رأس البرث الذي
يكثّر عليه حجر المرو أثراً تدل على أن مناة الطاغية كانت تربض
على قمته .

ومناة هذه كانت من الأصنام في الجاهلية ، كانت في شهرة العزّى
واللائت ، وكانت الأوس والخزرج ومن يدين بدينها تحج وتقف بالمشاعر
فلا ترى حجباً تاماً حتى تأتي مناة فتحلق عندها . وكان هادما علي ابن
أبي طالب ، كرم الله وجهه ، فلم تقم لها قائمة بعد ذلك .

وابدل الله بها دين الاسلام القيم^(١) .

خيמתا أم معبد

أم معبد الخزاعية : تلك المرأة الصالحة التي ضافها ، صلى الله عليه
وسلم ، في هجرته هو وأبو بكر الى المدينة ، فخلد الله ذكرها وخلد
البقعة التي كانت تنزلها ، أشار اليها ذلك الشيخ فاذا هي على بعد ثمانية
أكيال تقريباً جنوباً ، يهبط هذا الطريق الى الجنوب اليها ، وتبعد عن الطريق
المعبدة التي تمر الآن على مرأى مني من جهة الغرب تبعد عنها شرقاً
بمثل هذه المسافة أو أقل ، وهي أرض تزرع اليوم زراعة عشيرة ، والى

(١) انظرها في معجم معالم الحجاز ، فقد اطلت هناك في ذكرها .

الشرق منا بما يقرب من أربعة أو خمسة أكيال حجر فيه أثر قدم انسان،
يسميه الأهالي (وطية النبي) •

صَعْبَر

محطة ظلت على مر الزمن صغيرة لوجودها قرب القضيمة الواقعة جنوبها
غير بعيد ، تبعد - صَعْبَر - (١٣٨) كيلاً شمال مكة ، و (٤٤) كيلاً
جنوب رابع ، عندها تفرق الطريق الآتية من المدينة الى شعبتين : شعبة
الى جدة على (١١١) كيلاً ، والأخرى الى مكة كما تقدم •

انحدرت الطريق فهبطت فيها بصعوبة فائقة حتى كادت عجالات
سيارتي تتمزق ، فسلكت الطريق الآتية من قُدَيْد فعارضت طريق مكة
المعبد ، فسرت ثمانية أكيال فقط فوصلت بلدة صعبر ، وكانت الساعة
الرابعة إلا عشر دقائق ، وفي صعبر ثلاث مقاه وحانوتان ومسجد أهلي بناه
أهل المحطة بالتعاون ، والى جانب المحطة من الغرب قرية بيوتها متناثرة
في الخبت ، فيها سكنى أهل المحطة ، وجل سكانها من صيادي السمك ،
إذ أن هذه القرية ساحلية لها ميناء صغير يبعد من هنا (٨) أكيال غرباً ،
والطلبة هنا يدرسون في مدرسة القضيمة على اثني عشر كيلاً جنوباً من
هنا ، وكانت صعبر عند مروري بها تابعة للقضيمة التابعة لرابع ، ثم
علمت - وأنا أعد هذا الكتاب للطبع - أن الامارة نقلت من القضيمة
الى صعبر ، فأصبح التابع متبوعاً والعكس واقعاً ! فسبحان مغير الأحوال •
وقد أنيرت صعبر بالكهرباء الآن ، ويبدو أنها مقبلة على عهد تقدم •

وصلت صعبر متعباً ، وكان أسوأ ما عانيتهُ اليوم هو هذه الرياح
السافية ، فكنت أغلق الزجاج فيشتد الحر ، فافتحه فيثور علي الغبار •
وعند الغروب هدأت الرياح - وهي عاداتها - فتكشفت عن
سحاب كان يغطي السماء ، ولكنه خفيف غير مؤهل لنزول المطر ،

وصارت النسائم باردة ، وكان الجو - عموماً - غير حسن ، والمقاهي هنا غير صالحة لشيء .

نزلت في مقهى رجل من السفران - قبيلة بني السفر - فوجدت أخاه هنا ، وكان ذا معرفة بأنساب قبيلة حرب ، ومعرفة حسنة بالديار المحيطة بنا ، واستمر الحديث معه حتى أذان المغرب فصلى بنا في مسجد صَعْبَر المار ذكره ، وبعد خروجنا من الصلاة أخذ يلح عليّ بالدعوة إلى بيته القريب من هنا فاعتذرت منه بأني متعب وأريد الراحة .

وهذا الشيخ اسمه عمر العفلقى السفري من أهل كَثَيْبَة ، ويسكن صَعْبَر حالياً وهما متقاربتان ، ويبعد صَعْبَر قرابة ثمانية أكيال عن البحر .

وقد صليت العشاء جمعاً في المسجد . وفي الساعة الثامنة انتقلت إلى مقهى يقدم الطعام للمسافرين ، فطلبت عشاء فجيء لي بطبق فيه أرز وسمكة ، وكان ثمنه ريالين اثنين . وهذا الثمن يعتبر حليماً قد لا يصدق ، رغم أن الفرق الزمني هو خمس سنوات ونيف ، نحن الآن سنة ١٣٩٨ .

جو الربيع في ساحل الحجاز

اتتهى غبار اليوم ورياحه ، إلا أنها عادت فنشطت ، وتكاثفت السحب فغطت السماء واحتجبت النجوم ، وأخذ رذاذ يتساقط خفيفاً فزادت نسبة الرطوبة ، ولم أر المقهى صالحاً للنوم ، فخرجت بسيارتي مسافة ففرشت فيها فممت نوماً عميقاً ، كان ييقظني منه أحياناً ، وللحظات قصيرة - قصف رعد خفيف وطققة الرشاش على شراع سيارة الجيب .

اليوم الثاني للرحلة

كان يوم الأحد ٢٩ محرم ، ١٣ الحوت سنة ١٣٥١ شمسية ، الرابع من آذار مارس ١٩٧٣ م • استيقظت في الساعة الخامسة والنصف صباحاً ، وهو وقت آذان الفجر ، فصليت صلاة الصبح ، وبقيت حتى انبلج الصباح ، فكان صحواً جميلاً تدرى فيه نسائم رقيقة باردة ، وكانت السحب تتكاثف كقوات دفاع ضد شروق الشمس ، فلم تدع لها طريقاً تطل منه علينا ، والغبار متغيب وكأنه أخذ إجازة بعد عمل يوم شاق !

والعسام غير موجود ، فلا حجاب بيننا وبين كل ما يمكن أن يصل إليه النظر من جبال تهامة الشوامخ ، فاغتنمت هذه الفرصة لأكتب وصفاً لما يحيط بي بالمشاهدة من مكاني هذا :

وصف الأرض من صغبر

كان سهل « كَلِيَّة » يبدو أمامي امتداً شرقاً وكأنه لا نهاية له ، فهو يمتد من الجنوب إلى الشمال مسافة تقرب من أربعين كيلاً ، ومن الساحل غرباً إلى جبال فرسان وذو رة شرقاً بما يقرب من خمسين كيلاً •

تحده من الجنوب حرة المُشَلَّل ، ويبدو لي الآن وجهها الشمالي مستقيماً كاستقامة المسطرة فاصلة بين سهل قَدِيد جنوباً وسهل كَلِيَّة شمالاً ، تسايروهما إلى آخر امتدادهما شرقاً وتقتصر عنهما في الساحل ، والذي يليها من سهل كلية هنا هو وادي دَوْران •

وأرى في الشمال — بعيداً — حرة الوبرية التي لا يكاد يميزها النظر لبعدها ، وهي تمتد من الشرق الى الغرب كامتداد حرة المُشَلَّل

تماماً ، تتصل بجبال ذَوْرَة - بين الذال والراء واو - شرقاً ، وتكنع في الساحل غرباً قريباً من الجحفة جنوباً .

أما من الشرق فترى سلسلة من الجبال كأنها تصل بين هاتين الحرتين ، هذه السلسلة ينفذ من خلالها واديا دوران وكلية ، وأهم جبال السلسلة :

١ - جبل فَرَسَان : جبل أشعل شامخ يسارك إذا كنت في الساحل إلى مسافات بعيدة ، هذا الجبل أصبح يسمى جبل الرخام لاستخراج الرخام منه ، ويقال ان الوعول توجد فيه بكثرة ، وهو واقع بين رأسي كلية ودوران ، وله أهمية بالغة في تغذيتها بالمياه - ولهذا الجبل شهرة في هذه الديار ولهم حوله أساطيره وأراد شاعران أن يتكاذبا ، فقال أحدهما :

انا سمعت فرسان يردّ زين اللُحُون^(١)

يرد زين اللحون بسمعي آحيثها^(٢)

فقال الآخر :

أنا لقيت جمدانٍ نابتة له عيون

ولانّ فيها رمد ما غير داويتها^(٣)

٢ - جبال ذَوْرَة وليست ذَرَة : جبال تقع على الجانب الأيمن من وادي كُليّة في صدره ، تقابل فرسان من الشمال ، وهي سلسلة عالية أقل ارتفاعاً من فَرَسَان ، ترى من الساحل ، وهذه الجبال - فرسان وذورة - تكوّن الحد الفاصل بين قبيلتي حرب وبني سُلَيم في هذه الناحية . أما من الغرب فهذا السهل الواسع مختلط بالساحل .

(١) يقول الحاناً بديعة .

(٢) سمعتها بأذني .

(٣) فاذا بها رمد فداوتها .

يتخلل هذا السهل ثلاثة أودية تتبارى وتختلف في الحجم والخصب،
هذه الأودية هي :

١ - وادي دَوْران : هو وادٍ قاحل تزرع بعض أراضيه زراعة
عثرية ، وهو آخر هذه الأودية من الجنوب ، يسيل بلبط حرة المشلل
من الشمال فيمر سيله عند بلدة صَعْبَر فالى البحر ، سكانه الذُرَا
- واحدهم ذِرْوي - من زُبَيْد من حرب .

وفي هذا الوادي يقول عمر بن أبي ربيعة :

وليلة ذي دوران جَسَّمْتَنِي الشَّرَى وقد يجشم الهول المحبُّ المَغْرَرُ
وكان من ديار خَزَاعَة قبل الاسلام فجاء في أشعار فخريه لهم ،
ليس هذا مكانها (١) .

وبادية هذه الديار ينطقونه داران .

٢ - وادي كَلِيَّة : وهو أكبرها وأكثرها سكاناً وعمراً ، يأتي من
الشرق من حرة ذَرَّة - بذال معجبة بعدها راء مهملة - فيسمى أعلاه
ثَمِرِه ، وسكان هذا الجزع بنو عُصِيَّة من سُلَيْم ، فاذا توسط بين
جبال فرسان وذورة سمي الحُصَيْنِيَّة ، وسكانه بِشْر من بني عمرو من
حرب ، فاذا دفع من بين الجبال أصبح وسط السهل الواسع سمي كَلِيَّة
وبه ما يقرب من مائة بئر رزاعية ، وسكانه الفوارس من زُبَيْد ،
والسفران من مسروح من حرب ، والمساحة المزروعة لاتساوي ٢ / من
هكذا السهل الواسع ، وكان في الامكان أفضل مما كان لو سد وادي
كَلِيَّة ، فانه من الأودية التي يبحر سيلها كل عام ، وليس كل السهل

(١) توسعت كثير في ذكر هذه المعالم في كتابي (معجم معالم الحجاز)

حيث هو المعني بالاستقصاء .

الذي تحدثنا عنه صالحاً للزراعة سواء بالري أو البعل ، ولكن مالا يقل
عن ٤٠٪ منه يمكن استصلاحه •

ولكن استصلاح هذا القدر من هذا السهل الواسع سيظل حُلماً من
الأحلام ، ولا يمكن الحصول عليه الا بواسطة السدود لابتغيرها ، الا اللهم
فيما لو أصبح في الامكان الزراعة على ما يستعذب من مياه البحر ، وهذا
غير وارد في زماننا لتكاليفه الباهظة •

٣ - وادي جليل : وادي يشبه وادي ودران في قحولته وحظه من
ال عمران والسكان ، يجري في أقصى الطرف الشمالي من هذا السهل ،
بلبط حرة الوبرية ، يأتيه مشيلق من سيل كلية اذا فاض فيحسن حال
أهله ويزرع بعلاً ، وتأتيه مياه الحرة من شعاب وشجون أهمها (قربى)
وادي لبلادية الشام ، وهذه أول ديارهم مما يلي اليمن ثم تمتد الى
ما وراء الفرع •

الطريق الى كلية

بئر كلية القديمة لها ذكر في روايات حرب وتأريخهم ، اذ هي من
معاقلم الأولى ، كما أن لها ذكر في كتب الأدب القديم ، وكانت محطة
على طريق الهجرة على مر الزمن ، ومر بها رسول الله ﷺ ،
في هجرته ، وهنا أو قريب من هنا هم به سراقه بن مالك الكناني المدلجي
فساخت قوائهم فرسه في الأرض ، فأمن وتوافق مع رسول الله ﷺ .

وفي الساعة السادسة والنصف تحركت من مبيتي باتجاه الشرق
قاصداً بئر كلية ، كان الجو جميلاً - كما أشرت آنفاً - فاتخذت طريقاً
ترايباً كثير البطانيج والمطبات ، ما لبثت أن صارت أرضه رخوة تنغرز
فيها العجلات فتثير غباراً يملأ السيارة ويلوث الأمتعة التي بداخلها ، وكنت

أظن أن ما سقط ليلة البارحة من رذاذ ظل يهتن طول الليل قد أثرى الأرض ، ولكنها ظهرت يابسة لم يؤثر ذلك فيها تأثيراً يذكر .

كانت الطريق تسير بين غابات ملتفة من شجر السمر غير عظيم الارتفاع الا أنه كان يتحكم في الطريق فتتعرج يميناً وشمالاً ، وأخذت الطرق تتشعب كالشرايين ، فتهت ، واخطأت الطريق المقصودة ، فسرت على طريق سيارات الرخام التي تتجه الى جبل فرسان وعندما شككت في الطريق علوت صمداً من الصمود التي تكثر في هذا السهل ، فرأيت نخل كلية يساري شمالاً ، فعدلت اليه على أرض ليست بها طرق للسيارات ، ولكن سيارة الجيب تشق طريقها في كثير من الأراضي غير المطروقة ، وعلى (١٦) كيلاً من صعب وصلت بئار كلية ، وظهرت لي الزراعة — هنا — بشكل بدائي ، فالأساليب لم تتحسن ويوت السكان منشورة بين غابات السمر ، مبنية من القش المكون من الجريد والأثل مدعوماً بأعمدة من سؤق السمر ، وليست هنا قرى رئيسية ، ولا مياه للشرب الا من الآبار ، ولا اناقة .

وجدت رجلاً من الفوارس فظن انني من مسؤولي وزارة الزراعة ، فأخذ يشكو لي مما يعانيه الوادي من سوء الرعاية الزراعية ، وبعد أن استفدت من هذا الشيخ في شرح المعالم المحيطة أخبرته بأنني لست ممن بيده ما يفيد ، غير أنه — حسب ما لدي من معلومات — ليس هناك تقصير في الخطة لانعاش الزراعة عموماً ، فالأموال ترصد بسخاء والقروض مسهلة والمعونات مغرية ، انما التقصير — وهو شيء أراه بعيني — من التنفيذ ، والتنفيذ في هذه البلاد أمامه علامات استفهام كثيرة .

رابع

تجولت في كلية ثم عدت متجهاً غرباً حتى جاءني طريق الاسفلت ، فسرت فيه شمالاً على الساحل ، فوصلت الى بلدة رابع على (٤٠) كيلاً من كلية .

ورابع : مدينة صغيرة على سيف البحر لها ميناء جميل مهجور مما يقرب من ثلاثين سنة ، لها امارة تشمل الأرض الواقعة بين الدشعيجية جنوباً الى النصائف شمالاً ، وتصل الى الحدود بين قبيلة حرب وكل من سليم ومطير ، وتتبعها عدة طوارف يسمونها امارات ، مثل طارفة ثول ، وطارفة القضيمة ، وطارفة حَجْر ، وطارفة النشويج ، وطارفة مستورة ، وطارفة الأبواء •

ولرابع أحياء عديدة متناثرة وسوق لبيع جميع ما يباع في المدن ، وبيوتها كلها من ذوات الطابق الأرضي ما عدا النادر أو بعض دور الحكومة •

وفيها من المرافق : مكتب تعليم يتبعه عدد من المدارس منها مدرسة ثانوية برابع ، وبلدية قليلة الأثر في تقدم البلد وتنظيمه ، وإدارة مالية ، ومحكمة شرعية ، وشرطة ، وهاتف عادي •

وامراء رابع آل مبيريك ، وهي أسرة ظهرت في أواخر العهد العثماني عند ضعف العسوم أمراء حرب السابقين ، ثم استمرت في العهد الهاشمي مع عدم الوفاق بينهما ، ولذا لم يكن لها نفوذ آنذاك ، ثم تطورت في العهد السعودي فأصبحت لها امارة المنطقة من ذهبان وعسفان جنوباً الى قرب بدر شمالاً ، وهي منطقة تبلغ مائتي كيل طولاً على الساحل ، ويتراوح عرضها الى الداخل بين مائة كيل وثمانين كيلاً ، وكان كل ما ليس معموراً من هذه الأرض تحت تصرف أقوى أمراءها اسماعيل ابن مبيريك ، معاصر الملك عبد العزيز ، ثم بدأ — بوفاته — يقل سلطانه ، ففصلت عنها منطقة خُلَيص وغُرَّان ، وجعلت لها امارة تتبع امارة مكة رأساً ، ثم فصل وادي قنْدِيد فوحد مع ستارة في امارة واحدة تتبع مكة أيضاً ، وكفت يد الأسرة عن جميع الأراضي عدا حدود بلدية رابع ، وهي مساحة ضيقة ، غير أن غلاء الأراضي الذي خيم على المملكة السعودية

خلال هذا العقد - ١٣٩٠ هـ وما بعد - جعل أسرة آل مبيريك ترفل في ثراء لم تعرفه من قبل .

وأمر رابع اليوم : محمد بركة - اسم واحد - ابن اسماعيل بن مبيريك ، وهو شاب حسن الادارة نزيه ، أعاد الى هذه الامارة شبابها بعد أن كادت تشيخ رغم قصر زمنها .

وآل مبيريك فرع من الغوانم من يزيد من مسروح من حرب ، فهي أسرة عريقة وذات حضارة في رابع^(١) .

وصلت الى رابع على (١٥٥) كيلاً شمال جدة ، و (٢٧٠) كيلاً جنوب المدينة الى الغرب ، فنزلت في مقهى كسائر مقاهي المحطات يجلس الناس فيه على سرر من الخشب وحصير الدوم ، وبعد تناول طعام الافطار زارني صدفة (النشمي بن طامي) امير البلادية ، فدعاني الى قاعدته التثويبع على قرابة ٢٢ كيلاً من هنا شرقاً شمالاً ، وأعلمت النشمي انني - فعلاً - أقصد المرور بالنويبع ، ولكن للاطلاع لا للضيافة . فقال : بل تتحراك بالغداء ، ولن تمرالنويبع الا في وقته ثم تواصل رحلتك فاعتذرت .

وابن طامي هذا من أسرة ذات أمجاد قبلية ، وهي أقدم من أسرة آل مبيريك ، بل هي معاصرة لأسرة العسوم ، وبلغ أمراؤها من القوة والسطوة حتى صاروا كالأرداف للعسوم ، وقيل : ان ابن عسم - أمير حرب في الزمن المتقدم^(٢) - كان يشاور ابن طامي قبل اعلان الحرب على أية قبيلة أخرى ، وبلغت بهم الجرأة الى أن يصادروا - بالتواطء مع حسين بن مبيريك أمير رابع - جامكية^(٣) أرسلتها الدولة الى الحسين

(١-٢) انظر عنها كتابي (نسب حرب) .

(٣) الجامكية : مبلغ من المال ، وعادة تعني المخصصات .

ابن علي كمرتبات للعربان الذين كان يجندهم ، قيل : ان ذلك المال كان حمل سبع مطايا من الذهب •

وكان نصيب حسين بن مبيريك منها حمل مطية •

ثم أخذت هذه الأسرة في التناقص حتى أفل نجمها اليوم ، فالنشمي هذا ليس في شيء مما ورث ، وأخبرني اليوم أنه يستقبل طارفة للشوابع معيّن بدلاء منه ! وأنه مقيم حفل غداء هناك ، وأنه يأمل أن يعيّنه خوياً براتب شهري ! •

الجُحفَة

تركت النشمي لما هوفيه ، وكانت الساعة العاشرة والنصف ، والجو لازال صحواً جميلاً تهتث نسائمه الرخية الباردة نوعاً ما ، وتحركت من رابع باتجاه الجحفة ، فسلكت الطريق التي أتيت عليها ، أي عدت من رابع جنوباً ، وبعد سبعة أكيال فرق طريق الجحفة شرقاً ، فسرت في سهل ساحلي ليست له مميزات ولا معالم غير صمود متناثرة تتخللها المساهب المنخفضة ، وكانت تتراءى أمامي حرار و برق ، كان من ابرزها برقة الخرجاء ، جعلها الطريق يساره غير بعيد ، وهي التي يقول فيها كثير : لقد كان يرتاد الجميمَ برابغٍ الى برقة الخرجاء من ضحوة الغدِ

وبعد مسير ٢٢ كيلاً من رابع وصلت الى مسجد الجحفة •

ماذا في الجحفة ؟

مسجد جميل مبني بالاسمنت المسلح ، بناءً حسناً محكماً ، ولا شيء غيره اطلاقاً •

كان المسجد مغلقاً بسلسلة بلا قفل ففتحته ودلفت الى الداخل ، فاذا حوشه الترابي ليس به أثر لانسان، ولا يظهر أن أحداً يقيم فيه صلاة

ولو مرة في الاسبوع ، وكان فرش المسجد مقلباً بعضه فوق بعض بفعل الرياح ، وليس به أثر تنظيف أو عناية ، صعدت المنارة ذات (٣٧) درجة بالتواء ، و نظرت يميناً وشمالاً ، فرأيت رجلاً يسقى إبلًا على بئر في الشمال الشرقي من المسجد ، على بعد يقرب من ٦٠٠ متر ، فنزلت إليه ، ومنه عرفت أنه امام المسجد وأن لاسكان في المنطقة القريبة من المسجد عدا بويتات شَعَرَ ترى بالعين يسكن الامام أحدها وأرشدني الى مسجد الجحفة القديم ، فاذا هو بقايا أساسات بناء مهدم شرقي هذا المسجد الحديث ، وبجواره بئر مظمورة •

وهذه البئر التي يستقى منها اسمها الخالدية ، وهي خارجة عن حدود الآثار المحيطة بالمسجد ، والتي يقول : انها بلدة الجحفة القديمة ، وحول المسجد خرائب لا تكاد تميزها من الأرض التي حولها ، ثم أراني الامام طريق الحاج القديم من الجحفة وإليها ، وهي المرحلة الخامسة من مكة على نظام القوافل القديم • ولسبب قد نعلله ظهر أن الجحفة جحفتان أو أنها انتقلت في زمن معين من مكان الى مكان ، وسنعود الى هذا بعد قليل •

عدت الى المسجد وصعدت المنارة مرة ثانية لأكتب وصف الأرض المحيطة بهذا المكان أو قل بالجحفة الثانية ، وصعد معي الامام فشرح لي كل ما يحيط بنا من معالم •

وصف الأرض

سهل مستطيل من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، يتخلله وادي الغائضة ، وهو أسفل وادي الخرّار ، وكل زراعة الوادي عشية ، وكان في زمن من الأزمان يجري فيه وادي مرّ ثم حدث انكسار حول وادي مر الى رابع وبقي هذا الوادي قاحلاً الا من أودية صغار تأتيه من الحرار والجبال القريبة •

ومن الجنوب الى الجنوب الشرقي : برقاء القطيعاء ، وراء السهل
منقطعة من حرة الوبرية عندما تكنع في الساحل ، كان طريق الحاج يمر
بجشمها من الغرب في مسيره الى مكة •

تتصل بها من الشرق ثم تعطف شمالاً — بشكل قوس — حرة
الوبرية ، فتحد السهل من الشرق ، وتتصل بها شمالاً حرة الغرابة
الواقعة في الشمال الشرقي من هذا المسجد ، بينما تظهر شرقاً عدلاً بعيداً
جبال الشراء ، ترى رؤوسها من وراء الحرار •

وعند نهاية حرة الغربية من الشمال يلتف وادي الخرار ، ويسمى
هناك الحلق فيلب حرة الغربية من الشمال ثم يشرق ، وهنا تبدأ الحدود
بين قبيلتي زبيد والبلادية ، الأولى الى الساحل ، والأخرى الى الداخل
ممعنة في الأرض الجبلية الى ما وراء وادي الفرع •

وفي الشمال حرة العزورية — عزور قديماً — تشرف من الشمال
على آثار أخرى للجحفة ستمر معنا فيما بعد ، وتتصل بها من الغرب حرة
أم الكلى ، ولها قصة وبها ثنية يأخذها الطريق بين الجحفة وهرشى ، ومن
الغرب — غرب هذا المكان — برقاء أم التنضب ، يفصمها طريق الجحفة
الى رابع •

وليس بالوادي زراعة إلا عشيرة •

وحسب معاينة الأرض ومشاهدة مداخلها ومخارجها فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، مر قريباً من الجحفة في هجرته الى المدينة •

ويسكن أرض الجحفة اليوم قبائل من زبيد ، منهم : الزنايقة ،
والروايزة ، والعصلان ، تخالطهم عناصر من عوف •

الجحفة جحفتان

تحركت من الجحفة هذه أو قل الجنوبية أو الجحفة الحديثة ، في الساعة الواحدة الا ربعاً بعد الظهر بعد أن صليت في مسجد الجحفة ، ثم سرت شمالاً على طريق الحاج الذي يسمى الطريق السلطاني ، وعلى بعد أربعة أكيال وجدت قصرأ أو قلعة قد تهدم بنيانها من الداخل ، وظلت منه ثلاثة أضلاع قائمة ، يبلغ ضلع بنائه ٣٣ متراً ، وهو مبني بالجص ، ولم استطع قياس ارتفاعه الا أنه لا يقل عن ستة أمتار ، وبجانب القصر آثار بلدة قد غشيها السافى الا أنك تستطيع أن تميز الشوارع ومناخات الجمال القديمة ، وهذا القصر يسميه أهل البلاد (قصر علياء) وهم يقصدون زوجة أبي زيد شيخ بني هلال بن عامر ، وهي عادتهم أن ينسبوا كل أثر من الآثار الى بني هلال ، فيقولون لك : هذا من صنع الهلالا .

والبناء عباسي ، أنشئ أما لحماية البلدة القديمة ، أو مقر لوالي البلدة ، أولهما معاً ، وشاهدنا انه عباسي كون الجحفة هجرت في أواخر ذلك العهد ، فالبناء ليس عثمانياً ، ثم لا يتوقع أن يكون أموياً لأن التاريخ لم يذكرنا اهتمام الأمويين بهذه المحطات الى درجة بناء الحصون والقلاع ، وما كانت لها ضرورة آنذاك .

ومن استقراء تاريخ الجحفة نجد أنها كانت بلدة عامرة في الجاهلية ، وأنها كانت محطة رئيسية على هذا الطريق الذي كان مطروقاً ومعروفاً عند العرب ، فلما جاء الاسلام وقّت بها ، رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل مصر والشام .

وكانت تسمى (مَهْيَعَة) وقيل بل سماها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا الله أن ينقل حمى المدينة اليها ، وكانت سكنى بني عييل وأقوام من العرب البائدة ، ثم صارت لكنانة ، ثم ملكتها حرب من أول القرن الثاني الهجري الى اليوم .

ويذكر لنا المؤرخون : أن لرسول الله ﷺ مسجداً بعد الجحفة مما يلي مكة ، ويظهر أنه ذلك المسجد القديم الذي بني بجواره المسجد الحديث الذي ذكرناه آنفاً .

سبب انقسام الجحفة واندثارها

ما أن أهل العهد العباسي حتى أخذ المسلمون يتبعون آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد خفي الكثير منها على قرب العهد ، ذلك أن الرعيل الأول كان معنياً بنشر الاسلام وترسيخه ، فقام من المسلمين من يبني المساجد في الأماكن التي تثبت أنه صلى فيها ، لذا يظهر استنتاجاً - أن مسجده الذي بعد الجحفة مما يلي مكة في ذلك العهد ، ومن المحتم أن يزوره الحاج تبركاً وتذكراً ، ومن ثم تطلبت الحاجة من يخدمهم ، فقامت بعض الحوانيت ، ثم ان هذا المكان أرحب ، فيبدوا أن بعض القوافل أخذت تحطه ، وبهذا انقسم البلد الى محطتين متجاورتين .

وما أن كثر الحاج المصري والافريقي الآتي عن طريق ساحل الحجاز الشمالي حتى وجدوا أنه من الضرورة البحث عن محطات تلائم طريقهم اذا تجاوزوا بدران ، فودعان والجحفة تائعتان عن طريق الحاج الآتي على هذا الطريق .

فاتخذ الحاج (بئر مستورة) بدلاً من ودعان ثم لما رحل من مستورة وجد رابع أنسب لطريقه فاتخذها بدل الجحفة ، هذا السبب ، والسبب الثاني : أنه في العهد العباسي ساء الأمن في هذه الديار فأخذت القبائل المحيطة بهذه القرى تغير عليها وعلى من يمر بها .

فلما عمرت رابع بفعل نزول الحاج بها ، أخذ أهلها - والناس تباع المصلحة - يتابعون إليها هاجرين ببلدتهم القديمة ، حتى تركت تماماً ، وأول من رأيته نبه على اندثارها ، ياقوت في «معجم البلدان» في أول القرن السابع الهجري ، فقال : انها هجرت من زمن سابق لزمانه .

والرحالون المغاربة والمصريون كلهم نصوا أن طريقهم كان على رابع،
ونص كثير منهم انهم كانوا يجرمون اذا حاذوا الجحفة ، أي كانت
مهجورة كميات •

ولكن الغريب حقاً انك ترى الجادة وكأنها لم تعطل الا قبل زمن
قريب ، فالرصف لازال واضحاً ومجرات العربات تظهر في بعض الأماكن
وكانت الطريق تنقّى من الحصى وتمهد ، هذا واضح في ثنية المشلل ،
وثنية عزور شمال الجحفة • ولعل الحاج التركي والشامي ظل يطرق هذا
الطريق في الزمن العثماني •

ذكريات

وأمام ذلك القصر الذي تسميه العامة هنا قصر علياء ، ذي الشهرة
المكانية لاتجد من لايعرفه ، عادت بي الذاكرة الى نيف وثلاثين سنة ،
وانني قد رأيت هذا القصر وعمرى آنذاك خمس سنين فقط ، فقد اتجع
والدي - رحمه الله - هذه الديار لسبب لا أذكره ، انما أذكر أنه يقول
لي : (عمرك خمس سنين) • وكنت أذكر أن الحجب كان كثيراً في هذه
الأرض التي لاأرى فيها شيئاً أخضر اليوم سوى غابات من المرخ والأراك •

غدير ختم

ومن عند ذلك القصر انعطفت الوادي الى الشرق فانعطفت طريق بانعطافه،
وكان الى جوار الطريق من الشرق غابة الأراك ، ثم صار نبات الوادي
جله المرخ والضم (الشام) وأرضه رخوة تنغرز فيها العجلات ، وهنا
دخلت ديار بلادية الشام ، فخرجت في حزم يطيف به الوادي ، منه ترى
البلدة القديمة ، فاذا بي أمام (فُقُتر عين الجحفة) مشاهدة بالعين يعدها
العداد ، وكأنها ظلت جارية زمناً طويلاً بعد البلدة ، أو أن أحداً حاول

بعثها فلم يقدر . وهنا ظهر لي رجل يحمل على كتفه مخبأطاً^(١) يسير بحث ، ولا يكاد يشعر بوجودي ، فاستوقفته وسألته فاذا هو من البلادية فحدد لي ديارهم فقال : الى الشرق تصل الى الشراء - قرابة ٣٠ كم - وعلى طول وادي مر - شرقاً شمالياً - تصل الى حجر ، وشمالاً الى وراء أم العيال . وأم العيال عين للبلادية في وادي الفرع .

وسألته عن عين غدير خُم ، فقال : وش تبي بها ؟ قلت مازحاً : أبا اظهرها ! ذلك انني سمعت أن أحد شيوخهم حاول أن يبعث عين خُم فلم يقدر عليها . قال : أزرى فيها غيرك . وبعد محاورة أشار الى نخلات مطلع الشمس فقال : هذيك الغُرْبَة . كانت الطريق كؤوداً لاتسير فيها السيارة الا بالدبل^(٢) . وبعد ثمانية أكيال من قصر علياء وصلت غدير خم ، ويسمونه اليوم الغربة ، ويقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ كيلاً . وكان استغرق السير نصف ساعة بسبب وعورة الطريق . وهو غدير في لجف جرف بطرف الوادي من الغرب ، وعليه ثلاث زرائب نخل لأناس من البلادية ، في كل زربة ما يقرب من خمس واربعين نخلة ، كانت مكتملة الطلع مؤبرة ، غير أن بعض عراجين العام الفأنت لازالت مما يدل على اهمال العناية بها .

هذا الوادي كان يسمى الخرّار ، وكان يجري فيه سيل مر ، فجاء سيل كبير فخرم مرا في وادي رابغ فتحول الماء عن وادي الخرار والجحفة فاقحلت وقل رواؤها .

ويسمى الخرار اليوم مما يلي مرأ (الظهر) لأنه أصبح ظهراً لا يطؤه السيل ، ويطلب اليوم أهل الجحفة بقسم من ماء مر ، وأهل رابغ يعارضون ذلك بشدة .

(١) منسأة يخطط بها الشجر لتنزل جبلته أو ورقه .

(٢) غيار اضافي يوضع في سيارات الجيب الخاصة .

وأذكر أنني قلت مرة لأمير رابغ الحالي : انه من العدل أن يعطى أهل الجحفة مستقى من وادي مر • وما كان في الظاهر يرفض ، ولكن الخصم غيره • ومن نصوص المتقدمين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر من هذا المكان في هجرته الى المدينة •

قصة انكسار مر في وادي رابغ

كان وادي مرّ - ويميّز بمر عُنَيْب - يجري غرباً ، حتى اذا وصل الى مكان يدعى النباة على ما يقرب من ٢٥ كيلاً شرق رابغ عرج يساراً جنوباً في شكل زاوية شبه قائمة ، وكان رأس هذه الزاوية ثنية هشة طينية الداخل تصل بين مر عنيب ووادي رابغ فجاء سيل جفاف فكسر هذه الثنية فانخرم مر في وادي رابغ ، وتنتج عن ذلك انبعاث عينين جاريتين تعرفان اليوم بالحكّاك •

والانكسار ثابت من المعاينة يعرفه كل من له خبرة بالأرض ، ذلك أن حصى الحرة الاسود لازال يرى في مجرى السيل ، وقد تغير جزئياً لطول ما تجري عليه السيول ، ذلك أن الحصى الذي يوجد في مجرى السيل يكون - عادة - مصقول له لون مميز عن غيره بفعل جريان الماء عليه ، خاصة أن وادي مر هذا كثيراً ما يكون غيّلاً جارياً في سنين الارجاع •

ولكن المقصود هنا بقصة انكسار مر هي تلك الاسطورة التي تقول:

كان رجل من زُبَيْد ينزل وجه هذه الثنية مما يلي رابغ ، وكان له عشرة أبناء أنجب كل منهم عشرة فأصيب بالزهو حتى أنه اذا اعتزى ، كان يقول : أنا أبو عشرة جد مائة !

وكان أحفاده في تيه وطغيان ، فكانوا يصيدون كل حيوان يصادفهم فاذا صادوا الثعالب سلخوا جلودها وهي حية ، ثم اطلقوها في الأرض ،

فكانت تسرع تحفر في هذه الثنية احتماء من حرارة الطقس ، وبهذا تخلخلت الثنية من الداخل ، ولما جاء السيل تسرب من خلال المغارات فاجتاح الثنية ، وباجتياحها جرف أسرة ذلك الشيخ (أبى عشرة جد مائة) ! وكان الشيخ غائباً ، فلما عاد وشاهد ما حل بأهله تألم ونظر الى أماكن يعرفها من ربه ، فقال :

ذا مركز الشلفاء وذا مربط الفرس وذا مفرش الخطار يوم يجون

ومن كلمة (الشلفاء) الواردة في هذا الشعر نستنتج قدم الاسطورة .

فاذا لم تكن منقولة من قصة سد مأرب — مع التحريف — فانها قصة حقيقية في الأساس . نقول : في الأساس ، لان الاساطير العربية ليست بلا أساس ، فهناك أساطير عائمة استطعت أن أجد لكثير منها أساس في القصص القديم ، غير أن الاسطورة يتناقضها الرواة وتؤثر فيها التيارات الفكرية والسياسية وأهواء أولئك الرواة أحياناً ، فتزيد أو تنقص ، وتغرب وتهول ، كل ذلك نتيجة لتلك العوامل ، ولكنها تبقى قصة ذات أساس ومساس بالحياة .

صفة الأرض حول غدير خمّ

يأتيه من الشرق وادي الخائق ، يسيل من جبال الشراء المتقدم ذكرها، على بعد يقرب من ٢٥ كيلاً وهو الذي يغذي الغدير بالماء ، ولولاه لا تقطع هذا الغدير التاريخي، وهو غدير دائم لا ينضب مهما كانت السنين جدياً ، وهذه السنة لم تهطل الامطار ، ومع هذا فمأواه باق .

وتأتيه من الجنوب حرة الوبرية ويسمى جانبها هنا عويرضة، وهي عنه على حذفه حجر جنوباً عدلاً ، وأرضه مفتوحة تجاه وادي مر الذي يمر شماله على أحد عشر كيلاً ، وما بينهما يعرف بالظهر ، وقد تقدم الحديث عنه .

والى الغرب من غدير خم وشماله الغربي تمتد مدينة أثرية كانت مسورة ، ظاهرة بقايا السور بصفة واضحة ، من أثارها ثلاثة قصور أو قلاع على شكل رجوم قد انهارت وغشيها السابي • ولم تعطنا المراجع القديمة شيئاً البتة عن هذه المدينة ، غير أن هناك ثلاثة عناصر نستنتج منها قيام مدينة هنا فيما بعد الخلافة الراشدة • هذه العناصر :

١ - ذكر أن غدير خم كانت له عين ، وفي العهد غير البعيد حاول أحد شيوخ البلادية بعث هذه العين فلم يفلح ، ووجود عين في الحجاز يساوي وجود قرية على صفة ما ، فاذا أخذنا العنصر التالي في الاعتبار قررنا وجود قرية نموذجية مبنية بالحجر مسورة •

٢ - بعد مقتل الامام علي - كرم الله وجهه - تفرق أبناء الصحابة والانصار وقريش في أودية الحجاز فاتخذوا بها الضياع وعمروا القرى ، وها هي اخبارهم تأتينا بأنهم كانت لهم أملاك بالسوارقية وخلص ، وسويقة والأكل ، وغيرها ، فاذا علمت مكان خلس والأكل وما فيهما من وعورة وبعد عن المدن علمت أن الذين عمروها وعمروا ساية وأمثالها ليس بعيداً عليهم أن يستوطنوا هذا الغدير فيعمروا ما حوله ، خاصة أنه أثر من أثاره ، **موسى** •

٣ - الحرار المحيطة بغدير خم من معظم جهاته تعرف بالقدام - جمع قدمة - والقدمة في لهجة أهل الحجاز طرف الحرة المائل الى السهل أو نعقها المنقاد بارزاً عن بقية الحرة ، وتقول حكايات أهلها ، ان هذه القدام كانت تغطي سفوحها غابات من النخيل ، يستشهدون بالحكاية التالية : كان رجل من أغنياء هذه البلدة أصاب دما فيها فاضطر الى الجلاء الى مكان ليس فيه الا الأشجار البرية ، فاخذ يأكل جروان المرخ ويشد : جرو المرخ في الدار الخلية أطيّب منك يا تمر القدام وفي دار المعزة فرديوم ولا دار المهانة ألف عام

كل هذه العناصر تدل على أن هذه الأرض الخالية اليوم إلا من
بوينات شعر هنا وهناك ، كانت يوماً ما تضم مدينة مزدهرة .

ومن معاينة الأرض واستقراء النصوص يظهر واضحاً أنه ، ﷺ ،
مر في هجرته من هذا المكان .

ومن غدير خم أو الغربة كما تعرف اليوم ترى شمالاً بشرق حرة
سوداء تسمى حرة ذويان ، وإلى الغرب حرة رُمحة ، دونها قرين
تجاوره قرينات تغطيها غابات السمر ، أما إلى الشمال فواد واسع هو
وادي الظهر ، تغطي أرضه غابات السمر التي لا تكاد تترك منفذاً لنافذ ،
مع وجود زريعات قليلة هنا وهناك .

استراحة

عندما وصلت إلى هذا المكان كنت متعباً ، فتوقفت في بطحاء إلى
جانب الغدير ، وأخرجت ما أحضرت من زاد ، وصنعت كوباً من الشاي ،
وفراشت في ظل السيارة ، وكان الجو جميلاً والغيم يظل المكان ، وهنا
وردت غنيمات ليست بالكثيرة ، كانت معها فتاة لا يرافقها أحد ، فهذه
الأرض يقل رائدها ، وبنات البادية يحظين بالثقة وقوة الإرادة ، غير أن
تلك الفتاة ما أن رأته حتى جفلت فتوقفت بعيداً عن الغدير واخذت
ترقب غنمها حتى شربت فصدرت ، فتجاهلت وجودها طيلة وقفتها تلك
حتى لا أزيد خوفها ! وما لبثت أن غادرت المكان بغنمها .

غدير خم في التاريخ

قال في «معجم البلدان» : خم اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير
الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة : هو على ثلاثة أميال من الجحفة ،
وذكر صاحب «المشارك» أن خم اسم غيضة هناك بها غدير نسب إليها ،

وقال : وخم موضع تصب فيه عين ، بين الغدير والعين ، مسجد رسول الله ﷺ ، وقال عرام : دون الجحفة على ميل غدير خم وواديه يصب في البحر ، لانت فيه غير المرخ والتّمام والأراك والعشر ، وغدير خم هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء المطر أبداً ، وبه أناس من خزاعة وكنانة غير كثير ، قال معن بن أوس المزني :

عفا وخلا ممن عهدت به خمٌ وشاقتك بالمسحاء من شرف رَسْمُ
عفا حقباً ، من بعد ما خف أهله
وحنّنت به الأرواح والهطّـل الشجْمُ

وقال الحازمي : خمٌ وادٍ بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير ، عنده خطب رسول الله ، ﷺ ، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوحامة .
ويقول البكري : موضع غدير خم يقال له الخرّار .

وقال الثّصيّب :

وقالت بالغدير غدير خمٌ أخيّ الى متى هذا الركوب
ألم تر أنني مادمّت فينا أنام ولا أنام اذا تغيبُ

وفي مكان آخر يقول : وغدير خم على ثلاثة أميال من الجحفة ، يسرة عن الطريق . — يقصد لمن أتى من المدينة — وهذا الغدير تصب فيه عين ، وحوله شجر كثيف ملتف ، وهي الغيضة التي تسمى خمٌ ، وبين الغدير والعين ، مسجد النبي ﷺ ، وهناك نخل ابن المعلّى وغيره .

وبغدير خم قال النبي ﷺ لعلي : « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » . وذلك منصرفه من حجة الوداع ، ولذلك قال بعض الشيعة :

ويوماً بالغدير خمٌ أباه الولاية لو أطيعا

وخطبة الغدير مشهورة على هذا الغدير ، وهي من حجج الشيعة
في ولاية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه •

وادي مرّ عَنَيْب

وادي فحل من أودية الحجاز، يأتي من قرى حرة الحجاز العظيمة، فأعلاه
الأكل ، ثم مرّ ، ثم وادي رابع ، وكان يميز بمرّ عنيب - تصغير عنب -
ذلك أن في الحجاز أربعة مرات : مرّ الظهران ، ومرّ هذا ، ومرين^(١) :
قرية اندثرت من نواحي المدينة • ومرّ آخر هو أحد روافد مرّ الظهران
في صدره •

ولمرّ عنيب روافد كثير كبار ، منها : وادي حَجَر ، كان يعرف
بالسائرة : وادي كثير العيون والقرى والنخيل ، يقع شرق رابع على ١٠٠
كيل ، ووداي خَضْرَة يلي حجراً من الشرق ، وهو كثير المياه الجارية
والنخيل ، وكلاهما والأكل لقبيلة حرب ، أما بين حجر ورابع فترفده
أودية أقل أهمية من السابقين ، منها : ندا ، وتماية ، والنويبع ، وكلها
للبلادية خاصة •

وكل مرّ ورد في شعر كثير عزة هو مرّ هذا ، حيث يقول :
ونحن منعنا بين مرّ ورابع من الناس أن يغزى وأن يتكَنَّف
ووادي مرّ يظل أبداً غيلاً يسح على الأرض حتى في سنوات
الجذب ، وفيه عيون ، منها : مُعَيْنَة ، والحَكَاك - عينان - وغيرها
ومزارع على الضخ الألي ، جل هذه لقبيلة البلدية ، فإذا اقترب من بلدة رابع
اتسع وكثر مأواه ولكنه غير مستصلح ، ومعظم النخيل حول رابع تعيش
بعلاء على رواء السيول •

(١) انظر الرحلة الرابعة في آخر هذا الكتاب •

الحكاك

تحركت من مقيلي أو قل استراحتي من غدير خم ، وكانت الساعة الثانية بعد الظهر ، فسار الطريق شمالاً شرقياً على طول وادي الظهر ، بين حرة ذوبان شرقاً وحرة رمحة غرباً ، وتكاثفت الغيوم وادلهمت الغابات التي كانت تحف بالطريق فتحد النظر الى مسافة أمتار فقط ، فاختلطت ظلمة السماء بظلمة الأرض ، وتوارت الشمس مجبرة ، فلم أعد أميز الشرق من الغرب ، ورغم أنني قد سلكت هذا الطريق قبل سنوات الا أنني ضللته الآن ، فقد تفرقت الطرق البرية ، وبنيات الطرق مولعة بالغواية ! وكان يحزنني كل وقت يضع سدى مهما كان ضئيلاً ، وبينما أنا حائر أسير الهويناء لكيلا أتوغل كثير لو غويت الطريق ، فاذا بعز عاطية في شجرة^(١) ، فعرفت أن وراء العز عزات ، فتوقفت وترجلت عن سيارتي فأخذت أتخلل هذه الغابة بحثاً عنم استخبره ، فاذا غنم مفلية ووراؤها اثني قد تخدفت حياء أو خوفاً ، فناديتها بما يعرفه القوم هنا (يا رعية الغنم) ! ثم أردفت : انني ضال الطريق فارشديني ، فانتصبت وأشارت بيدها ووصفت الطريق وصفاً جيداً . وبعد أحد عشر كيلاً من غدير خم هبطت وادي مر ، ثم صعدت النباة : ربوة مرتفعة بطرف مر من الشمال ، وهي بقايا تلك الثنية التي انفجرت في انكسار مر ، واستمر الطريق على قرارة مغطاة بشجر عمري من السمر ، ألمح فيها بعض بيوت الشعر ، وبعد كيلين اثنين هبط الطريق مرأ مرة ثانية على ما يسمى (رقبة الحكاك) وكان الوادي غيلاً يجري بغزارة ، فسرت فيه في أخدود تكتنفه الجرفة ذوات الحروف الحادة الظاهر أكل السيل فيها ، وكانت

(١) واقفة على رجليها شابة بيدها .

السيارة تتراكم فلا تزيد سرعتها عن خمسة أكيال في الساعة • وعلى (١٤) كيلاً من غدير خُمّ وصلت الحكاك : عيانان تسقيان نخيلاً للبلادية ، تسمى أحدهما الحومة ، والأخرى الطرنية أو الطلمة ، وهما حد ديار البلدية من الغرب على بعد عشرين كيلاً تقريباً شرق رابع، وفي أكمة هناك بين النخيل قصر مهدم كان لأمير البلدية، وكانت هذه هجرته في الصيف •
الصيف •

وادي النوبيع

تركت الحكاك الذي قد هجره كل أهله فلم يعد به عريب ولم يعد به من يسقي نخله الذي لوح الظمّ مجموعات منه ، وسرت غرباً ، فكان عن يميني جديب الغراء ، ثم هبطت وادي النوبيع •

والنوبيع : واسعة أرض كالجوبة بين حرار صغار وجبال قليلة الارتفاع ، يغذيه وادي السادّ الذي يسيل من حرة الشياء — بين مرو الفرع — وهو غزير المياه العذبة ، خصب التربة ، ومنه شرب مدينة رابع، مدت مياهه الى هناك بواسطة أنابيب • وهو مقر أمير البلدية ، وبه زراعة قليلة •

ويبعد النوبيع عشرين كيلاً شمال شرقي رابع •

بين رابع ومستورة

بعد مائة كيل من السير في أرض وعرة ومضلات، مررت فيها بكثير من المعالم ذات الأهمية الجغرافية والشهرة التاريخية عدت الى الطريق المعبدّة عند (الصثليّب) بطرف رابع من الشمال ، ضارباً بذلك دائرة من رابع وإليها ، واستغرقت هذه المسافة خمس ساعات ونصف ، أي بمعدل أقل من عشرين كيلاً للساعة الواحدة • وسبب ذلك وعورة الأرض •

سرت على طريق الاسفلت شمالاً باتجاه مستورة التي تبعد من هنا أربعين كيلاً ، وعلى بعد (١٢) كيلاً رأيت يميني حرة الخَمَص تشرف على الساحل ، بين هرشي ورانغ ، وعن يساري ماء البحر وقد عكسته شمس الأصيل فظهر لامعاً رقراقاً كلون زجاج أزرق • وعلى ٢٤ كيلاً أي ٢٩ كيلاً من رانغ مررت بالخَشَم ، وهو نعف حرة بيض عند ما تكنع في الساحل ، والطريق يذب أنفها فيترك منه الى الساحل أكمة تشهد بما حدث ، وحررة بيض هذه تشرق من هنا الى أن تتصل بهرشي ، ومعها ريع بيض ، وقد ذكرها نَصِيب شاعر ودان ، فقال:

ولا شك أن القوم أدنى مقلهم كناثر أو رغان بيض الدوائر
وريع بيض آنف الذكر لصيق هرشي من الغرب ، وذكر أن لرسول الله ، ﷺ ، مسجداً بيض •

ومن الخشم هبطت أسفل وادي أرثد ، ويسمى هنا (المدرج) ويسارنا وادي النهدي ، ويمينا الى الأبواء وادي مستورة ، كلها أجزاء لواد واحد أصله من شعبتين ، هما : وادي الفرع ووادي القاحنة ، يجتمعان فيسمى الوادي الأبواء ، فاذا انحدر كان يسمى أرثد ، أما اليوم فكما قدمنا أجزاءه ، ولا يعرف أرثد •

وينفرش الوادي هنا حتى يبلغ عرضه قرابة عشرة أكيال ، جل نباته شجر السمر، تتخلل ذلك مزارع عثرية، ولا وجود لزراعة الري هنا البتة، وكانت ترى بين حين وآخر مزارع الحبوب •

وظهر — من هنا في الشمال الشرقي — جبل بني أيّوب : أشمخ جبل في المنطقة المحيطة بمستورة ، وهو ثافل الأصغر ، ويسمى جبل الطثريف ، والى شماله عليه العسام جبل بني صبح (ثافل الأكبر) •
وبنو أيوب هؤلاء من بني عمرو من حرب ، يلون البلادية حلفاء ، وأصلهم من بني صبح ، وبنو صبح من ميمون من بني سالم من حرب •

مستورة

وفي الساعة الخامسة الاثلاثا وصلت الى بلدة مستورة : بلدة ساحلية لها ميناء لصيد السمك، وتبعد عن البحر شرقاً بما يقرب من خمسة أكيال ، بينه وبين جبال تهامة ، وتبعد شمال رابع بأربعين كيلاً على الطريق المعبدة بين مكة والمدينة ، فيها مركز امارة تابع لامارة رابع ، وشرطة ، ومستوصف صحي ، وفيها مقام كثيرة ، ومحطات لبيع المحروقات ، وسوقها عامرة ، وجدت فيها ما يزيد على عشرين سيارة من المسافرين ، وتشتهر بجودة سمكها ، ولذلك يتوقف كثير من المسافرين ليطلعهم شيئاً منه ، ولها أحياء متناثرة حول السوق ، وبها مسجد جامع ظليل ، ومدرسة ثانوية ، ومن مستورة تظهر لك فهوّة الأبواء مطلع شمس بين الجبال على ٢٨ كيلاً .

نزلت في مقهى لا يختلف كثيراً عن مقاهي صعب ، وكان الجو غائماً بارداً رطباً ، والرياح سريعة الجريان ، ذلك أن مستورة تقع في سهل ساحلي مفتوح من الشمال والجنوب ، لذا تكون مهبطاً للرياح ، وأسوأ ما تهب هنا الصبا ، فاذا هبت عطلت الحركة ، وقد تسد أماكن من الطريق بالرمال السافية . صليت المغرب والعشاء قصراً ، وتعشيت في ذلك المقهى الذي يمتلكه ويديره رجل من بني أيوب ولم أشأ أن أعرفه على نفسي ، وذلك أن وشائج القرى بين البلادية وبني أيوب تفرض عليه — حسب أعراف القبائل — أن يعلق مقهاه ويدعوني الى بيته ولن تقل الكلفة عن ذبيحة وما يتبعها ! وان لم يفعل ذلك فهو — في عرفهم — نقض يدم عليه .

وبعد المغرب اجتمع نفر من أهل البلد من بني أيوب وبني محمد ، وكلهم من بني عمرو ، ودار النقاش حول مستورة وسبب تسميتها ،

فقالوا : انَّ وكدَّان كانت عيناً تبعد الآن عن مستورة في الجنوب الشرقي فوق الخط وأنت آتٍ من رابع بما يقرب من اثني عشر كيلاً ، وان المعمرين يروون عن أدرك جثم نخلها النخرة ، وآثار عينها . أما مستورة فقد كانت بئراً الى الشرق من هذا المكان ، وكانت لامرأة اسمها مستورة ، فكانوا يقولون : نصبح بئر مستورة (أي الجمالة) ثم غلب عليها اسم مستورة ، وعندما شق طريق الاسفلت جنب عنها الى الغرب ، فانتقلت البلدة اليه ، وقد جنب الآن مرة أخرى الى الغرب عند تجديده ، فأراد أهل السوق أن ينتقلوا اليه فمنعهم أمير البلد ، وبينهم وبينه مرافعات وصلت الى السلطات العليا .

والواقع أن هذه القرى التي على الطريق ما عمرت أساساً الا كمحطات للمسافرين ، فاذا جنب الطريق عن احداها ماتت بسبب انتقال الناس الى مكان مناسب من ذلك الطريق ، لأن المسافر يرغب النزول في أقرب مكان ، ولا يعرج على تلك البلدة التائفة عن خط سيره ، لذلك ماتت وكدَّان عندما جنب عنها هذا الطريق ، وكذلك الجحفة . وليس في مستورة مياه للشرب ، وشربها بالصهاريج المحمولة على السيارات ، وليست بها انارة ، الا ان النية متجهة الى عمل ذلك . وسكانها في الأصل زُبيد ، غير أن بني عسرو القريبة ديارهم من هنا الى الشرق استوطنوها للتجارة .

افتراق الطرق

مستورة هي المرحلة السادسة على نظام القوافل لمن جاء من مكة ، وهذه المراحل ، هي :

الجموم ، عسفان ، الدف ، الطارف أو القضيمة ، رابع ، ثم مستورة .

ومنها تفترق الطرق الى المدينة الى ثلاث شعب :

١ - طريق يأخذ شرقاً الى بئر مبيريك من صدر الأبواء ، وهو طريقى الآن ، ثم يفترق هناك ، وسوف نذكر ذلك في موضعه .

٢ - من مستورة الى بئر الشيخ ثم غيقة فريع الخائع فالحمراء فالى المسجد . وهذا يأخذ شمالاً تاركاً الساحل يساره داخلاً بين الجبال ، يمينه سلسلة ثافل ، ويساره جبال ظبية ، وكراش ، ثم يفترق من غيقة ، وسيدكر أثناء الحديث عن غيقة .

٣ - طريق يأخذ شمالاً عدلاً على سهل البزواء ، ويأخذ في الابتعاد عن البحر تدريجياً حتى يصل الى بدر على ٤٥ كم تقريباً شرق البحر ، وهناك يفترق الى شعبتين : طريق المدينة من بدر الى الحمراء الى المسجد مجتمعاً مع طريق غيقة المتقدم ، وشعبة أخرى تعود الى الساحل فتذهب الى ينبع ، وهي طريق الحاج المصري والمغربي ، تستمر على ينبع وأم لج - الحوراء قديماً - والوجه ، والازل ، وضبة ، والمويلح ، فالى العقبة بالأردن ، وكل هذه المدن يمر بها الطريق على التوالي ، وبينها قرى ومحطات عديدة ، وكلها موانئ ، على الساحل الشرقي للبحر الأحمر (١) .

الخروج من مستورة

لم أشأ أن أنام في المقهى ، وعندما أدرك صاحب المقهى ذلك دعاني الى مرافقته وهو يستعد للذهاب ، فشكرته واعتذرت ، ذلك أنك تجد - في هذه البيئات - أن مجموعة من الناس ينامون في غرفة واحدة ، وأنا قد تعودت على النوم منفرداً ، فاذا شاركني أحد غرفة لظرف ما

(١) انظر المخطط المرفق .

لا يجد اليوم طريقاً الى عيني ، من أجل هذا تجدني أنا في سيارتي أغلب أيام رحلاتي ، وفي الساعة العاشرة خرجت من ذلك المقهى متوجهاً شمالاً على الطريق العامة ، وبعد أربعة أكيال فرق الى اليمين مطلع شمس طريق الأبواء ، فسلكته قليلاً فبِت هناك وأنا أرى واسمع السيارات العابرة على الطريق العامة •

ودّان

بلدة ظلت عامرة في الجاهلية وصدر الاسلام ، ثم تأثرت بعاملين : أولهما - انتشار الاسلام في مصر والمغرب ، فكثرت حاجتهما ، ولما كانت طريق ذلك الحاج تأتي على الساحل فقد اتخذت مستورة محطة فأخذ أهل ودّان ينتقلون الى المحطة طلباً للكسب ، وهي عادة تشاهدها اليوم في مستورة وفي الفريش ، وفي الطريق بين مكة والرياض ، حيث انتقلت بلدة الموويه من مكانها فأصبحت في طريقها الى الاندثار (١) •

ثانيهما - في العهد العباسي تراخى نظام الحكم في هذه الديار فقل الأمن ، فأخذ بعض الحاج يميل الى الساحل حيث النظر أطول ووجود المكامن عزيزاً ، ولبعدها عن القبائل المغيرة ، وهي عادة قبائل الجبال ، وقد شنت قبيلة حرب غارات على بني جعفر في ودان وغيرها ، ذكرها بعض المؤرخين •

زد على ذلك أن ودان ليست على طريق مستقيم لدرب الحاج ، فالحاج الآتي على درب الأنبياء يمر بالسقيا ثم هرشي ، وودّان تائفة يميناً بقراة اثني عشر كيلاً ، فكان من يريد أن يحط وودّان يأخذ من الأبواء يميناً منحدرأ مع الوادي قراة اثني عشر كيلاً كما قدمنا ، فاذا قضى لبانة من ودّان عاد جنوباً شرقياً الى هرشي بمسافة مثل السابقة ،

(١) انظر كتابي : « الرحلة النجدية » .

لذلك نشأت محطة المقيتلة على نفس الطريق بين هرشي والسقيا ،
والقول هذا استنتاج مني ، لأن وجود المقيتلة التي ستحدث عنها في الرحلة
الثالثة يوحى بذلك ، وآثار ودان اليوم باهتة بالية في الجنوب الشرقي
من مستورة بينها وبين هرشي على استقامة واحدة ، أي في الشمال الغربي
من هرشي ، وتبعد عن كل منهما بما يقرب من اثني عشر كيلاً ، وهي
في نهاية حرة الأبواء ، في مكان يسمى (العُصْعُص) لأنه مستدق من
خشم الحرة ، عندها يلتقي وادي حمامة الآتي من هرشي وما حولها
بوادي أرثد الذي يسمى اليوم وادي مستورة فهي من أرثد ومنها
الشاعر الفحل نَصِيب بن رباح^(١) الوداني الذي يقول :

ألم تسأل الخيمات من بطن أرثد إلى النخل من ودان ما فعلت نعم ؟
أسألك عنها كل حيٍّ لقيته ومالي بها من بعد مكتتنا علم

وقال

أقول لركب صادرين عشية قفا ذات أو شال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان انني لمعرفه من آل ودان طالب
فعاجوا وأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهو القائل :

فإن أك حالكاً فالمسك أحوى وما لسواد جسمي من دواء
ولي كرم عن الفحشاء ناءٍ كبعد الأرض من جو السماء
ومثلي في رجالكم قليل ومثلك ليس يعدم في النساء
فإن ترضى فردّي قول راضٍ وإن تأبى فنحن على السواء

(١) هو نصيب بن رباح ، شاعر فحل كان عبداً لرجل من كنانة من
أهل ودان ، كان فصيحا مقدما في النسيب ، ويكره الهجاء ، وفد على
عبد العزيز بن مروان بمصر ومدحه فاشتراه عبد العزيز فانتقل ولاؤه إلى
بني أمية ، له قصة مع الفرزدق وسليمان بن عبد الملك ، انظرها في
« معجم الأدباء » و « الأغاني » .

اليوم الثالث للرحلة

نمت في العراء الخلاء في جو ظل يرسل بين حين وآخر هكَّاناً من الرذاذ الذي لا يكاد يسمع وقعه على شراع سيارة الجيب الا أنه تشبع بالرطوبة آخر الليل فتساعد مع برودة حديد السيارة على تحريك الروماتزم فأخذ يدب في عضلاتي كالنمل ، مما جعلني استيقظ قبل طلوع الفجر رغم شدة التعب ، وما أن انبلج ثغر المشرق عن ذلك الضياء الذي لا يشعر بجماله الا من شاهده في البرية ، حتى أدت صلاة الفجر ثم اتخذت طريقي مشرقاً وكأني والشمس على موعد في (ددف) ، وهذا طريق الأبواء ، وتعرف اليوم بالخرّية ، وفي الساعة السابعة كنت والشمس في بروت ددف على ٢٥ كيلاً شرق مستورة ، ووضح النهار عن جو صحو ساكن الرياح ، مالبث أن صار دافئاً حتى مللت المعطف الذي أرثدي ، ذلك انني دخلت الأرض الجبلية •

حيث تضيق الطرق على الرياح وتشل حركتها •

دَدَف

بروت وأكيّات صخرية فيها ضريح آمنة بنت وهب ، أم النبي ﷺ ، وقبرها هنا معروف مشهور يتوارثه الأحفاد عن الأجداد ، وكان قد هدم ، ويظهر أن بعضهم تطوع فبنى عليه حجيرة من الحجر الجاف — بلا مؤنة — ثم سقّف ذلك بأعواد السمر والاذخر ، ثم تداعى جزء منه فتهدم أو هدم •

وفي التاريخ ثابت أن آمنة ماتت بالأبواء منصرفها من زيارة قبر

عبد الله أبي النبي ﷺ ، ومن قال : انها مدفونة بمقبرة مكة فقد وهم (١) .

ويبعد قبرها ثلاثة أكيال عن الأبواء مما يلي مستورة ، وقيل لي : بل ان مزارع الأبواء تقرب من ذلك القبر من الجنوب انما كان يحجبها عني أحد تلك البروث ، وهذه البروث المعروفة بددف يشقها الطريق الى الأبواء ، والقبر على قاب حذفة من الطريق ، وتتصل هذه البروث شمالاً بجبل الطثْرِيف (ثافل الأصغر قديماً) وشعابها تسيل منه الى الخبت والأبواء .

الأبواء

وعلى ٢٨ كيلاً من مستورة وصلت الى طرف الأبواء من الشمال، فترأت لي مزروعاتها الى اليمين ، كانت غابات متصلة من النخل وأشجار الحمضيات ، لا ترى بينها فاصلاً حتى ليظنها الرائي مزرعة واحدة ، تتسابق أشجارها في خضرة نضرة مبهجة ، تحف بوادي الأبواء من الجنوب حرة الخرية التي تمتد غرباً حتى تكون نهايتها آثار ودّان ، كما تقدم ، وهذا الوادي الخصب كثير المياه يتكون من التقاء واديين فحلين : أحدهما وادي القاحة الذي يأتي من الشمال الشرقي بين جبال ضخمة ، هي جبال قدس يساره ، وجبال ثافل يمينه ، ولذا كان سيّله جارفاً هداراً . والثاني وادي الفرع ، وسيأتي الحديث عنه . ولذا كان وادي الأبواء مرجعاً ريان أبداً مهما كانت السنين محلاً ، والاسم يطلق عليه منذ اجتماع الواديين الى قرب ودّان ، ثم يطلق عليه اسم أرثد الى البحر ، هذا قديماً أما اليوم فيطلق عليه اسم الخَرْيْبَة ، فاذا وصل ودّان سبي وادي مستورة ، ومنه جزع — حيث يقطعه الطريق العام — يسمى وادي المدرج ، ثم بعده وادي النهدي الى البحر .

(١) انظر « معجم معالم الحجاز » .

وسكان الأبواء قبيلتا بني محمد ، وبني أيوب من بني عمرو من حرب ، الذين تبدأ ديارهم من قرب مستورة غرباً الى بئر مبيريك شرقاً • وفي الأبواء مدرسة للبنين وأخرى للبنات ، ومستوصف صحي ، ومركز امارة تابع رابع • ولها قرى يسمونها نزلًا : جمع نزلة • وهي متفرقة حول المزارع ، ومن عاداتهم أن تكون نزلة كل فخذ على حدة •

بئر مبيريك

تركت الأبواء يميناً ماراً بمدرستها ، وأخذت طريقاً يجنب مع ضماض جبال وريفة ، تتخللها شعاب تأتي من جبل ثافل الأصغر من يساري ، وهو جبل شامخ كثير الأودية ، فيه نخل في فُرْع في رأسه ، وعلى (١٥) كيلاً من أول الأبواء وصلت الى بئر مبيريك ، وهي بئر صغير في صدر الأبواء عندها يلتقي الواويان العظيمان : القاحة والفرع فوجدتها مقفرة ليس عليها نزل ، وكانت محطة لقوافل الحجاج ، وهي المرحلة السابعة من مكة عن طريق مستورة ، والسادسة عن طريق الجحفة ، ومنها تبدأ ديار العبدية من بني عمرو ، وهي الحد بينهم وبين بني محمد • وبئر مبيريك ملك الشيخ مبيريك بن حمدي الغانمي والد الشيخين حسين واسماعيل ابني مبيريك ، وهو مؤسس امارة آل مبيريك ، ولم يكن لهم كبير أمر قبله ، وهذه البئر اشتراها من العبدية سنة ١٢٦٣ للهجرة بموجب وثيقة لدى أبنائه وهي الحد الفاصل بين امارتي مكة والمدينة ، ومن بئر مبيريك كان يفترق طريق الحاج الى : طريق الفرع ، وطريق القاحة • وطريق القاحة هو الطريق السلطاني ، وهو درب الأنبياء ، فمن بئر مبيريك الى السقيا ثم الى الحفصة ، وكانت تعرف بالطلوب فالى العرج الخ •••

غير أنه عندما كثرت قبائل حرب وتباعدت في أنسابها وأمنت شر أعدائها عاد بعضها يطعم في بعض ، فكانت قوافل بني عمرو اذا مرّت بالقاحة طلبت منها عوف أتاوة ، فاذا وصلت المسجد طلبت منها بنو سالم أتاوة ، ولذا فقد شقوا طريقهم عبر وادي الفرع وهو لهم كله ، ويسمى وادي بني عمرو كما يسمى وادي الصفراء : وادي بني سالم ، وهذه الطريق طويلة ، فمن بئر مبيريك الى بئر القاضي مرحلة ، ثم الى أم العيال أو أبي ضباع مرحلة ، ثم الى الشعبة مرحلة ، ثم الى اليتمة مرحلة طويلة ، والى بئر الماشي مرحلة ، ثم المدينة ، فهذه ست مراحل .

وكان طريقني الطريق اليسرى ، فأخذت وادي القاحة صعداً .

بين بئر مبيريك والسقيا

وعلى بعد ثمانية أكيال من بئر مبيريك جاءني من اليسار وادي نَعَا - بنون مفتوحة ، وعين ، مقصور - وفي مفيضة آثار محطة أو سكن قديم . وبعده بأربعة أكيال افترق الوادي الى شعبتين : وادي ثَقِيبَ يميناً ، ووداي القاحة يساراً ، وثقيب : أحد روافد القاحة في أسفلها يأتي من جبال قدس فيدفع من اليسار ، وهو وادٍ كبير ، وهو الذي يقول فيه الأحوص :

عفا مشعر من أهله فثقيب فسفح اللوى من سائر فجرب

فسلكت ثقيباً ، لأن الطريق الى السقيا تسلكه ثم تعود يساراً الى القاحة ، وعلى كيلين وجدت بئراً على يسار الطريق يستقي منها الناس ، وبعدها بكيلين بئر عليها آلة ضخ رزاعية صغيرة ، وزراعة قليلة لقوم من قبيلة العبدة . وبعد (١٩) كيلاً من بئر مبيريك وصلت الى البستان : مزرعة في وادي ثقيب مأوها عذب ، لها شهرة في هذه الديار ، كانت الساعة التاسعة والنصف ، ولم أفطر بعد ولم أشرب الشاي الذي تعودت

على شربه مبكراً ، توقفت أمام المزرعة فظهر لي رجل اسمه محسن الجَرَءاري ، نسبة الى الجراجرة ، فخذ من العبدة أهل هذه الديار ، فدعاني الى محله • فقلت : اذا سمحت أريد شايًا فقط ، لأن معي كل ما يحتاج المسافر اليه غير الشاي ، فقد نسيت أن هذه الديار ليس بها مقاهٍ ، فقال : حباً وكرامة • فنادى طفلاً صغيراً وأرسله الى البيت الذي نراه من هنا ، وحرّض عليه في السرعة •

أحضرت الفطور فرفض محسن أن يتناول الا الفاكهة ، لأنه كان قد أفطر • وبعد قليل جيء بالشاي، وكان مضيفي من عامة الناس الذين لاتجد عندهم مما تريد علماً ، ذلك أن أهل الرواية عندهم هم أهل بيوتهم ومن تضمه مجالسهم من أهل الفهم وحسن الذاكرة •

السَّقِيَا

خرجت من البستان فعدل الطريق شمالاً فخرج من وادي ثقيب يساراً ، فأخذ في ريعه فجزع شعب (ياج) ، وبعد عشرة أكيال من البستان هبط وادي القاحة من ضفته اليسرى عند عين تسمى الثُبرة ، فيها زراعة قليلة ومساكن واهنة ، والعين ضعيفة الجريان ، أخذ الطريق الوادي قابلاً فكان السير فيه صعباً حيث كان معظمه سلبية تنغرز فيها العجلات ، وكان يظهر بين حين وآخر رصف قديم جرفت معظمه السيول هذا الرصف كان طريقاً للسيارات أول عهدها ، فقد كانت تأخذ من هرشي على بئر ميريك فالسقيا فالعرج فالمسيحيد ، الخ •• ثم عدل الى غِيَقَة فالملف — ملف غيقة — فالشَقِيَّة — شَقِيَّة العرج — فالمسيحيد ، الخ •• ثم عدل أثناء تعبيده فأخذ من مستورة على البزواء فبدر فالحمراء فالمسيحيد الى المدينة •

وبعد سبعة أكيال فيه وجدت مزارع ليست ذات أهمية ، ثم الى
اليسار وادي السنوية ، ويجمعونها السنيان بما حولها : شعاب تتأى من
سلسلة ثافل فتصب في القاحة ، يقابلها من الشرق وادي تعهن ، وينطقونه
بتشديد الهاء ، وكل هذه الديار من خروجي من بئر مبيريك الى هنا
لقبيلة العبد ، وحدهم فوق السقيا مما يلي المدينة . وبعد مسير عشرين
كيلاً من البستان سعدت ريعاً صغيراً فاذا أنا في السقيا ، كان يحجبها
برث لاطىء هناك ، ويسونها أم البرك : جمع بركة الماء . والمسافة بينها
وبين بئر مبيريك ٣٩ كيلاً ، وكانت مرحلة للجمال على هذا الطريق ،
والمرحلة التي تليها هي الحفاة - اظهرها في الرحلة الثالثة في آخر الكتاب .
وأول مهبطي من الريع كانت مدرسة أم البرك ، فهرعت اليها فاستقبلني
مديرها الشاب الخلق عوادة بن عائد العوفي هاشماً باشاً ، وطلب الشاي
بسرعة ، وأجلسني في مكتبه ، وتحدثنا عن تعهن ولحي جمل والطلوب ،
فارشدني شيخ حضر الى بعضها . والسقيا هذه كانت تعرف بسقيا
مزرينة ، وهي المرحلة الثامنة من مكة عن طريق مستورة ، والسابعة لمن
أتى على طريق هرشي ، وكانت عامرة لوقوعها على الطريق السلطاني ،
ولما قل الأمن وكثرت قبائل حرب وأصبح لكل قبيلة عدد وافر من
الجمال وحصّة كبيرة في نقل الحاج ، حاولت كل قبيلة أن تجر الطريق
الى ديارها ، فصار درب الفرع الذي تحدثنا عنه ، ودرب غيقة ، ودرب
بدر ، ثم ان الطريق السلطاني صار يتأثر بالأمن فحيناً يمر بالسقيا وحيناً
يمر بغيقة ، وأخرى يمر ببدر . فتأثرت السقيا وتأخرت كثيراً ، وعندما
ظهرت الآلة السيارة رؤى احياء هذا الطريق التاريخي - درب الأنبياء -
فاخذته السيارات فاتعشت السقيا ودبت فيها الحياة ديب الرواة في
الخميد ، غير أن هذا الأمل سرعان ما همد ، فتحولت السيارة فهجرت

هذه البلدة التاريخية ^(١) ، وقد ظهرت لي اليوم شبه ميتة ، وبها مركز حكومي يتبع امانة الفرع ، وجهاز لاسلكي لأعلم مدى الاستفادة منه ، ولا غير ما ذكر •

تعهن ولحي جمل

خرجت من عند الاستاذ عواده مدير مدرسة أم البرك شاكراً حسن ضيافته واستقباله ، ثم عدت على دربي الذي أتيت عليه ، وبعد كيلين فقط جاء من اليسار وادي تعهن فقبله الطريق • وتعهن : وادٍ يأتي القاحة من الشرق من جبل عوف (قدس) فيصب عند أم البرك (السقيا) مما يلي الثبرة • وبعد ثلاثة أكيال من اجتماعه بالقاحة وصلت الى بركة تعهن : بركة مهدمة في جانب الوادي الأيسر تمتد تحتها أرض كانت تسقيها عين ، فيها قعور النخل النخرة ترى ، ومجاري قنوات الماء معمولة بالحجر ، ومساكن مهدمة ، وضافئر على شكل زواين للجبال لئلا تنقض على الأرض الزراعية • وبينما أنا سائر في تعهن ميمماً مطلع الشمس رأيت أمامي جبل عوف شامخاً ، فتذكرت قول شاعرهم :
يا جبل عوف من دونك عسام ليت عيني تخيل اللّي وراك

وبنو صُبْح يقولون : يا جبل صُبْح •••

وبعد مسير ١٦ كيلاً من السقيا افترق الطريق الى شعبتين : يساراً على طول وادي تعهن ، وهو طريق يذهب في ديار عوف ، يطرقه سكان هذه النواحي •

ويميناً يأخذ تلعة تسمى أم هشيم ، وهذا يذهب الى الفرع وما

(١) عن تاريخ مثل هذه القرى والديار ، انظر كتابي « معجم معالم الحجاز » ففيه تفاصيل ليست واردة هنا .

حولها • سلكت طريق أم هشيم ، وكان رأسها ريع وعر ، ومن هنا ظهرت يساري سلسلة من الجبال الشامخة متقاطرة من الجنوب الى الشمال ، هذه سلسلة جبال قدس العالية، ويسمونها جبال (أُدّقس) وهي لغتهم في قدس، فهم يقولون: حصاة أُدّقس ، وبيت أدقس ، في حصاة القدس وبيت المقدس • وكانوا يقولون لنا في صغرنا : ان حصاة أدقس كان يمر من تحتها راكب المطية ، وهي معلقة في الهواء بقدرة الله ، وانها تنزل بالتدريج ، فاذا مست الأرض قامت القيامة ! وظلت هذه الاسطورة عالقة بذهني لم أمحصها أو أمررها على العقل ، فلما زرت القدس سنة ١٣٧٦ هـ ، وجدتني أسأل شيخاً كان يرشدنا ، عن شيء من هذا ! فاذا هو نفسه كان يسمع في صغره عن هذه الاسطورة •

وهذه الجبال تسمى اليوم جبال عوف لأنهم سكانها ، وعوف : بطن من مسروح من حرب •

ومن ريع أم هشيم هبطت وادياً يقال له (مافر) ، وهو أول ديار قبيلة البلدية من الشمال ثم تمتد جنوباً الى كئيّة ، على قرابة مائتي كيل من هنا •

ومن مافر رأيت يساري جبل يقال له : عَمْلِيْط : جبل مذورب الرأس يسيل منه مافر • هذا قاله صبي وجدته عند غنم •

وفي الساعة الواحدة توقفت في شعب من شعب مافر ، لصلاة الظهر والاستراحة • ولم أجد أرضاً يمكن أن يصلي فوقها الانسان ، فكل ما هنا حجر ، حتى الشجر نابت في الحجر ، وما حولك جبال صلاهيج لاتعيش فيها غير غنز وشقي وتذكرت قول محمد بن عروة بن الزبير :

لعن الله بطن لقفٍ ميلا ومجاحاً ، وما أحب مجاحا
لقت ناقتي به وبلقف بلداً مجدباً وأرضاً شحاحا

ولقف ومجاح من هذه الأرض ، وسيمران معنا اليوم • وقول
محمد بجذب هذه الأرض قول صادق ، فانه ليست فيها أرض تنبت
ما تأكله الأنعام ، فاذا أخارت وكثرت أمطارها كان جل نباتها البروق
والقرمل ، وهما من النباتات الخبيثة الى نفوس البهائم ، عدا شجر
السمر فانه ينبت هنا بكثرة وهو صالح لتربية المعزاء ، وفي شعوف
الجبال ينبت القتاد أقل الأشجار البرية نفعاً •

وقد يستفاد من البروق فيضاف بزره الى تمر العجوة ، ويقال :
انه يخفف من حرارتها في المعدة •

أناس طيبون

أهل هذه الديار طيبوا القلوب صادقوا العبارة ، لا يكذبون
السائل ، ولا يسخرون من الغريب ، مجبولون على ذلك ، يكلمونك بلا
تصنع ولا تكلف ، ولقد تجولت كثيراً في بلاد العرب ، في جزيرة العرب ،
والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين وغيرها ، فكان كثير من الأهالي
يخلون بمعلوماتهم ، ويخفون اسماء بلادهم أو يغيرونها ، سخرية
واستخفافاً بالسائح ، الا أن أهل هذه الديار ليسوا في شيء من تلك
الصفات ، ولقد وجدت لديهم التعاون والسخاء في اعطاء المعلومات مالم
أجده عند غيرهم ، ففي الصباح مررت ببيت شعر لم أجد فيه غير امرأة
فسألتها عن طريق بئر مبيريك ، فقالت تأخذ الوادي ، وبعد قليل تلقى
بئر مبيريك ، ويفترق الوادي الى فرقتين : وادي الفرع في اليمين ،
ووادي القاحة في اليسار ، فاذا أخذت القاحة يأتيك — بعد قليل — من
اليسار وادي نعام ثم بعد قليل تفرق القاحة الى شعبتين : ثقيب الى اليمين :
وهو أصلح للطريق ، والقاحة الى اليسار ، وهي وعرة على السيارة •

وفي ثقيب — بعد قليل — البستان ...

لقد استرسلت هذه العريية وأضافت معلومات أخرى ، ولكنني
لم استطع مواالتها في الكتابة أكثر من هذا •

وبعد أن خرجت من البستان وجدت غلاماً وفتاة تماثله سنأ ،
فسألته عن أم البرك فوصف لي الأرض كأني أراها ، وسمى عشرات
الروافد والجبال المحيطة بالقاحة ، وإذا هما عبيديان من أهل هذه الأرض
أما المرأة السابقة فهي أيثوية •

وفي وادي مافر وجدت غلاماً بلادياً يرعى غنماً ، فسألته ، فأخذ
يشير الى كل مكان حوله ويسميه ، ويصف الطريق الى أم العيال •
وليس هذا كل ما صادفت ، ولكنها نماذج طيبة أحبت التنويه
بفضلها ، فلهم جميعاً الشكر •

مَجَاح

وادي كبير من روافد الفرع ، له ذكر في هجرته ﷺ (١) ، وخلط
المتقدمون في اسمه ، فقالوا : مجاح ، ومجاح ، ومجاج •
والصواب مجاح : بسم وجيم ، وحاء في آخره مهملة •
قال كثير :

إذا أمسيت بطن مجاح دوني وعمق دون عزّة فالبقيع
فليس بلائمي أحد يصلي إذا أخذت مجاريها الدموع
ورويانا لمحمد بن عروة — فيما تقدم — ذماً له وللقف •

تحركت من مقيلي في وادي مافر ثم سرت في شعبة منه أطلعتني
على مجاح ، فجزعه الطريق قطعاً ، وإلى يسيني كانت العصوان : تلعتان

(١) انظر : طريق الهجرة في هذا الكتاب •

تجتمعان فتصبان في مجاح أسفل من طريقي ، وفيهما خلط المتقدمون أيضاً ، فقالوا : الغصوين — بالضاد المعجمة بعد الغين المعجمة أيضاً — وقالوا العصوين — مثني عصا •

والصواب العصوين : بالمهملتين ، مثني عصا ، وتسمى اليوم العصي ، كجمع عصا ، وهي لغتهم اليوم في المثني (١) •

ثم قبلت شعبة تأخذ شرقاً أطلعتني على وادٍ يقال له المرير ، يدفع في مجاح من اليسار أسفل من طريقي هذه ، فأخذ الطريق قبلاً ، ثم عدل يميناً ، فطلعت على وادٍ صغير يسمى الملييح ثم الى وادٍ يقال له البحرة ، يصب في وادي الفرع ، وكل هذه الأودية من مافر الى البحرة من روافد وادي الفرع الشمالية •

أبو ضباع

من البحرة المتقدم ذكرها ظهرت لي نخيل وادي الفرع ، وفي الساعة الرابعة والنصف ، وعلى ٥٣ كيلاً من السقيا وصلت الى الملبنة ، وهي آبار زراعية للشيخ مريع شيخ جهم من بني عمرو ، وهذا هو أول الفرع لمن أتى على هذا الطريق •

تقدمت الى هذه الآبار فوجدت الشيخ مريعاً حاضراً في بستان له تختلط فيه أنواع الأشجار ، ومن مكاني هذا أرى أمامي : النخيل ، والموز ، والليمون ، والعنب ، والمنقى محملة بالغلة ، فرحب — رحمه الله — (٢) وبعد جلسة قصيرة ، قال : ما هنا مقعد ، هيا للبيت •

ركبنا سيارتي ، وبعد ثلاثة أكيال سرناها قبلاً في وادي الفرع ،

(١) انظر : طريق الهجرة في هذا الكتاب •

(٢) توفي الشيخ مريع بحادث سيارة سنة ١٣٩٥ هـ في جدة •

وصلنا الى منزله في أبي ضباع ، وهي عين ثجاجة من أكبر عيون وادي
الفرع ، وهي مقر العبدة التي منها الشيخ مريع ، كان ذلك في
الخامسة والنصف .

من هم جهم ؟

أنا لا أعرف مريعاً وهو لا يعرفني ، بيد أنني كنت أسع به وبشيخة
والده حسن بن مريع الذائع الصيت ، وهو حتماً يسمع عن والدي ،
ولكن هذا ليس بيت القصيد ، فبيت القصيد هو ما يشاع عن قبيلة بني
جهم من بني عمرو من حرب ، أن لها مذهباً غير مذهب أهل السنة ، وقد
تعمدت الوصول الى هنا في هذا الظرف بالذات لعدة أسباب ، منها :

١ - أنني سأصلي مع القوم المغرب والعشاء صلاتين جهريتين ،
احدهما ذات وقت محدد .

٢ - ان من المأخذ على هذه القبيلة : تأخير صلات المغرب كثيراً
وعدم الافطار أول يوم من شوال ، وان لهم طريقة خاصة في الاستنجاء .
٣ - في هذا الوقت يجتمع القوم عادة عند شيخهم ، وفي هذا
الاجتماع لا بد أن ينز ما يخفى اذا تعمدوا اخفاء ما يعتقدون .

وحضرت الصلاة فأذنوا وصلى بنا مريع فلم ألاحظ عليهم ما ينكر،
وكذلك صلاة العشاء ولكن العامة لديهم رسوخ لا يسكن مسحه من
رؤوسهم ، فاذا رسخ شيء في أذهانهم وجدوا ألف حجة للتدليل عليه ،
فعندما قلت لنفر من البلادية : انني لم أر في القوم ما قلتهم • قالوا :
(ما يورونك) أي لا يطلعونك على عقائدهم •

وجهم هذه قبيلة ذات وزن في حرب ، والعبدة هؤلاء فرع منها

وشيخهم يلقب بالعيدي أو ابن مريّج^(١) ، وكانت له صولة هنا ، قاوم جيش الأخوان أثناء غزوهم الفرع ، وكان يقال : ان لابن مريع قلعة بأبي ضباع ، وعندما كنت اتحدث الى مضيبي لاحظت على الجبل فوق البيوت رزمين ، فقلت له أين قلعة أبيك التي يذكرونها ؟ فقال : من قال لك هذا ؟ قالها بصلف أو خوف • ذلك أنه لا يعرف من أنا ، ويظن أنني موفد من إحدى الوزارات •

ومن جوابه هذا عرفت أنه لا يريد الخوض فيما مضى ، الا أن هذين الرزمين هما ما كان يسمى قلعة ، فضعفت وضعف من تقلّع بها !•

وبينما أخذ أبناءه يصبون القهوة كان قد ذبح ذبيحة ، وهي واجب الضيف عندهم • وبعد العشاء عرفت مريّجاً على نفسي ، فقال : لو عرفناك من أول مرة ما كان هذا قدرك ! فقلت له : أتريد أن تذبح ناقة ؟ قال : وقليل ! رحم الله مريّجاً ، فقد كان شهماً جواداً ، وقد رأيت له أبناء شبان كالصقور ، يتحركون بلحظ العين ورفعت الحاجب ، وأرجو أن يكونوا خير خلف له •

وادي الفرع

واديّ فحل من أكبر أودية الحجاز وأكثرها عيوناً وأطولها مدى ، وأسيرها ذكراً في التاريخ • يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة بني عمرو وهي جزء من حرة الحجاز العظيمة المعروفة ، قديماً بحرة سُلَيْم ، وتسمى في هذا المكان حرة بني عمرو ، ويسمى وادي الفرع أيضاً وادي بني عمرو ، لأنه كله لهم ، ويسمى وادي النخل ، لكثرة مابه من النخل ، وكان اذا انتسب شخص الى بني عمرو من حرب قيل له : أين نخلك في

(١) انظر عن ذلك كتابي « نسب حرب » •

وادي الفرع؟! فاذا لم يكن له نخل فهو ليس عمرياً البتة! ولذا فان الكثيرين ممن رحلوا الى نجد ومن هاجروا الى المدن يتمسكون بما يسمونها الجديات ، أي ذخر الأجداد ، فلما تكاثروا صار لبعضهم النخلة ، وشقص النخلة وأقل من ذلك •

ولوادي الفرع روافد أودية فحول ، مثل : مجاح ، ولقف ووادي الغرب ، ووادي مكة ، ووادي أطيب وغيرها كثير^(١) •

وفي وادي الفرع أزيد من عشرين عيناً جارية ، منها : أبو ضباع عين قبيلة مضيبي ، كما تقدم الحديث عنها ، وأم العيال ، وستأتي معنا ، والمضيق ، والشعبة ، وعيون الريان ، وكلها ستذكر تباعاً ، لأن سير الرحلة مر بأكثرها •

ومن الجبال العظام التي تحيط بالفرع : جبل آره ، وجبال قُدُس وشُعَار ، وكلها سيأتي ذكرها •

أم العيال

أقدم ماذكر الجغرافيون من عيون وادي الفرع ، وأغزرها ماء ، كانت صدقة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، ثم صارت ملكاً لقبيلة البلادية جمعاء ، فلا يكاد يوجد بلادي الا وله فيها لو فقير واحد ، وكان نخلنا فيها يسمى الحفيرة ، ثم بيع في صغري بعد وفاة الوالد — يرحمه الله — وكانت لهذه العين منزلة عند البلادية ، ولهم بها وله وحب عظيمين ويتندر الناس على البلادية ، فيقولون : ان البلادي كان يطلق من أم العيال وصمدها ! •

وصمدها : حزم حائز وسط المزارع يسكنه أهلها وقت الصيف •

(١) انظر عنها « معجم معالم الحجاز » •

وبعد تناول طعام العشاء في دار الشيخ مريع بن حسن العبيدي وتبادل احاديث عديدة عن انساب حرب وفروعها ووقائعها ، استأذنت في المرسى ، فحاول ثنيي فشكرته وأصررت على ذلك . وفي الساعة الحادية عشر ليلاً ودعته ، فاخذت طريق وادي الفرع الذي يتجه شرقاً .

الخوف من المرس !

كنت أردت أن أعرج على عين أبي ضباع لأرى غزر مائها ، ولكنني تذكرت قصة لطيفة تروى في هذه الديار ، ومن العادات المألوفة في وادي الصفراء والفرع وما جاورهما أن يحتجب النساء في النهار فاذا جن الليل هبطن الى العيون يغتسلن ويسبحن أو يغسلن الملابس ، ومن المتعارف عندهم ألا يخرج أحد على العيون بالليل .

وهذه القصة تقول : جاء رجل فضاف قوماً من جهم ، وسرى من عندهم ليلاً ، فأحس بالعطش فقصد احدى العيون ، فوجد النساء عليها بالحالة التي وصفنا ، فصحن به واستصرخن الرجال ، فوثبوا عليه فكتفوا يديه وربطوه بحبل من المرس وأخذوا يجرونه الى البيوت ! .

وبعد أن أطلق قال :

سِلَف لجهم ما خبرته في الاسلاف^(١)

الضيف من بعد العشاء يادبونه

بعد التحية ثم زين التكلاف ولا تهم روس المرس ينبونه^(٢)

فتركت أبا ضباع ومن قد يغتسل فيه ، ويمت أم العيال ، وبعد

(١) السلف - بكر السين - العادة .

(٢) ينبونه : يسجنونه بشدة . وهذا شاهد على كرم جهم .

سبعة أكبال سمعت نباح كلاب القرية ، فتوقفت وبت هناك الى الصباح ،
ذلك أنني حرصت على رؤية هذه العين نهاراً وباعث الحرص أنها أرض
الأجداد ، فقد نزع جد جدي من هنا قبل ما يقرب من مائتي سنة ، أثر
قتل عمه كريدم العرادي عامله على نخله وهو رجل من بشر من بني عمرو ،
وكان القاتل ليس أمامه الا الجلاء ، فجلا كريدم وهو يقول :

الله وأنا ولد الزيادي كريدم دار الجفا والبوق ما ننشي لها
ياليت لو اديا السبت معنا جنائب في كل يوم ليا شديت أدنى رحليها

والسبت نخل كريدم وقومه ، وهو معروف الى اليوم في أم العيال .

فعدا كريدم حتى نزل في بلي ، هو ومن تبعه من العرادات ، وهم
عرادات بلي اليوم

هذه رواية الأجداد ، غير أن تحديد الزمن لا يتفق وما رواه
الجزيري صاحب « درر الفوايد المنظمة » ، فقد مر بديار بلي في القرن العاشر
فعد العرادات من بطون بلي ، واذاً فهجرة جدنا كانت سابقة لهذه المدة
بكثير ، أو أنها بعد هجرة كريدم وليست بسبب قتل كريدم البشري ،
وعلى هذا لا يكون كريدم عم حمود الجالي من أم العيال كما هو
المحفوظ لدى العرادات . وعلى العموم قد لاتهم الكثيرين هذه
المعلومات ، انما هي ذكريات يشطح اليها القلم .



اليوم الرابع للرحلة

(١٠ صفر سنة ١٣٩٣ هـ)

كانت العلامة المميزة لقرى الحجاز أن يستقيظ الناس صباحاً على أصوات السواني تجر الغروب على المحال ، وهي أصوات موسيقية جميلة ، أما اليوم فانك تستيقظ على آلات الاحتراق ذات الضخ المتدفق ، وهي نعم البديل للزَّرَّاع ، أريح عملاً وأغزر ماء ، وأكثر إنتاجاً •

استقيظت في الخامسة والنصف على صوت آلة زراعية ليست بعيدة من مبتي ، ثم شغلت محرك السيارة للتحمية ، فقد كان الطقس بارداً ليلة البارحة ، والرياح توجّح طول الليل ، والمنطقة مرتفعة هنا •

وبعد أن انبلج نور الصباح رأيت نخل أم العيال على مقربة مني ، يشرف عليها من الشرق جبل آرة ، أشمخ ما في المنطقة من الجبال ، وهو جبل أحمر عال يرى من الساحل اذا كان الجو صحوً ، وقد رأيته من رابع ، على مسافة تقدر بمائة كيل •

ويسمى اليوم هضبة أم العيال ، لأنها تقع في سفحه الغربي ، حتى أنه يؤخر شروق الشمس عليها لمدة من الزمن •

تحركت من مبتي في الساعة السادسة وعشرين دقيقة ، فشق الطريق أم العيال ، شقاً على حزم عال وسط المزارع ، عليه سكن أهل العين ، وهذا هو الصمد المعروف بصمد أم العيال ، والذي قيل ان البلدية كانوا يشركونه مع أم العيال في الطلاق •

كانت من أمنياتي في الصغر أن أرى أم العيال ، وهاهي أمامي نخلاً وأرضاً بما لها من ذكريات في النفس •

لم أشأ زيارة أميرها ابن قويفان البلادي ، لأن ذلك سيكلفني وقتاً
ثميناً ، اذ لا يجوز - في عرفهم - أن يدعوا الضيف يمر مرور الكرام •
بل لابد من ذبح وإيقاد ونفخ ينتهي بعد الظهر على أحسن تقدير ،
لذا تجاوزته لا اسقاطاً له ولكن اكتساباً للوقت •

والقرية عامرة ، ويوتها من اللّبن ، ورأيت أحدها مكون من
طابقين ، وفيها بعض البناء الجاري بالطوب الاسستي ، ولم أر منذ
غادرت مستورة قرية فيها بناء جار غيرها •

وعند شريعة أم العيال توقفت وملأت جالوناً كان معي ، وماؤها
عذب صاف غزير ، حتى قيل : انها سميت أم العيال لأنها كانت تجرف
الصبيان الذين يستحمون فيها ، ولكن التسمية قديمة أقدم من استيطان
حرب لهذه الديار •

وفيها من العروس : النخل ، والليمون ، والعنب •

اليسير وجبال قدس

واصلت سيري مشرقاً ، وكان الوادي أجرد يابساً أرضه جرعاء
لاتحيد فيها السيارة عن الطريق المسلوكة ، وبعد سبعة أكيال وصلت الى
عين تدعى اليسير ، ماؤها جار وعليها نخل ، وهي بين جبلين : جبل آرة
جنوباً ، وجبال المعرض شمالاً ، وجبال المعرض هذه هي : نهاية سلسلة
جبال قدس التي تبدأ من هذا المكان في الارتفاع الى أن تكون قممها شرق
القاحنة على (٢٠٤٩ متراً) عن البحر ، ثم تبدأ في الانخفاض التدريجي
الى أن تتلاشى عند مفرّحات ، وطولها قرابة (١٥٠) كيلاً ، وتعرف
اليوم بجبال عوف ، وقممها جبل يسمى خُشْبَة •

وبعد اليسير وجدت عيناً صغيرة عليها نخل •

وعلى ١٢ كيلاً من أم العيال وصلت الى المضيق (مضيق الفرع)
عين كبيرة ثجاجة ، مزارعها على جانبي الوادي ، وبها جميع أنواع
الأشجار المثمرة التي تنبت في الحجاز ، مثل : الليمون والعنب وغير ذلك ،
وسكانها كثير ، كانت قاعدة الفرع ، ثم نقلت الامارة الى الفقير لقربه
من المدينة واتساعه ، ذلك أن المضيق بين جبلي آرة ، والمعرض فموقعها
ضيق . يصب عليها من الشمال وادي الغرب ، يسيل من جبال المعرض .

مكة في الفرع

سرت في الوادي ، ولا زال السير مطلع الشمس مع تعرجات في
الوادي ، وعلى أربعة أكيال من المضيق ، جاءني من اليمين وادي مكة ،
يلب آرة من مطلع الشمس ، وفيه عين المحضة ، يكون آرة بينها وبين
أم العيال ، هذي شرقه ، وتلك غربه .

والمحضة : نبع من الجبل وليست كالعيون ذوات الفقر والأفلاج .
ثم سرت أربعة أكيال فجاءني من اليمين — أيضاً — وادي مَلِيح ،
يأتي من جهة شُعَار .

وبعد كيلين اثنين جاءني من اليسار وادي أطيب : من أكبر روافد
وادي الفرع ، ذلك أن معظم مياهه من جبال قدس العالية ، وبقدر علو
الجبل يعظم سيله .

ثم بعد كيلين جاءني من اليسار وادي العطشان : وادٍ كبير تسيل
فيه أودية يسمونها المناشير ، واحدها : منشار ، وقيل لي : إنه أكبر
روافد الفرع إطلاقاً ، وعند مفيضة صار نبات الوادي من المرخ الكثيف .

الشعبة

وبعد ٢٨ كيلاً من أم العيال وصلت الى الشعبة : عين صغيرة لبني

جابر من بني عمرو ، فيها نخل ، وماؤها قليل ، وهذه كانت احدى المحطات على طريق الفرع ، بين بئر ميريك والمدينة ، الا أنها لم تكن رئيسية ولم تتطور كقرية كبيرة ، ذلك أن عيوناً كثيرة منتشرة في الوادي على مقربة منها كالفقير وغيرها من عيون الريان ، فكان الجمالة يتجاوزها بعضهم ليحط الفقير أو غيره من العيون الأخرى ، تفادياً للزحام .

الفقير

وبعد الشعبة بكيلين وصلت الى الفقير ، وهي اليوم قاعدة الفرع كله ، وكانت الساعة الثامنة والربع . تقع عين الفقير في متسع من الوادي يأتي بعد مضيقه الذي يبدأ من أم العيال الى الشعبة ، وهي عين ليست كبيرة وماؤها هذه السنة قليل نظراً للجذب الذي يعاني منه الحجاز ، وتحيط بها الجبال الحمر غير عظيمة الارتفاع ، وجبالها طينية هشة فعلت فيها الرياح خطوطاً أفقية متوازية ، حتى ليخيل الى الراي أنه سيأتي يوم تكون هذه الجبال قد نسفتها الرياح ، وليس هذا ممكناً ذلك أن هذا الفعل هو حصيلة أعمال هذه الرياح منذ أن خلق الله الأرض . وكانت الامارة في المضيق ، ولكن نقلت الى هنا نظراً لاتساع الأرض وطيب هوائها لارتفاعها عن المضيق ، ولقربها - نسبياً - من المدينة ، وامارتها تابعة لامارة المدينة المنورة . وجدت شاباً يدهدي برميلاً بطرف النخل فسألته عن موقع الامارة ، فأشار اليها .

وعندما دخلتها كان الأمير غائباً ، ووجدت شاباً حسن البشر كثير الترحيب يدعى عبد الرحمن بن نامي بن عتيق الجهني ، وهو وكيل الأمير فشربت عنده القهوة والشاي ، وعندما استأذنت أصر اصرار الكرام على أن أتعدى عنده ، حتى أنه لزم يدي ، فرجوته بحرارة أن يقدر قيمة الوقت ، فما كاد يعذرني .

ومن الدوائر الحكومية في الفقير : محكمة شرعية ، ومستوصف ،
ومدرسة ابتدائية ، وموعودة بانشاء متوسطة ، وتبعد عن المدينة المنورة
(١٣٧) كيلاً جنوباً على طريق تربية شاقة ، ولو سفلت لما ازدت عن
(١١٠) أكبال .

وتعاني المزروعات هنا شدة من قل الماء ، فالوادي لم يسئل من ثلاث
سنوات ، ومنذ أن تجاوزت خليصاً الى مكاني هذا والديار في سنة
سناه لا ترى فيها الخضرة الا ما يزرع بالري ، فالأرض غبراء والأشجار
ذاوية ، والعيون انخفض ماؤها حتى توقف بعضها أو كاد .

والوادي من الفقير الى الشرق يسمى الريّان ، وبه عيون عديدة
لم أصل الى أكثرها ، وكان ريان مرجعاً أبداً الدهر تتبعج مياهه من
جنبات الوادي بلا مؤنة ، حتى سلط الله عليه المحل فغارت عيونه حتى
قل : إن بعضها لا يسير ماؤها أكثر من عشرين خطوة عن الشريعة .

والوادي كما تقدم كله لبني عمرو ، غير أن معظم أهل الريان نزحوا
الى نجد ، فهم حول الرس الى الحناكية أهل قرى وبوادٍ كثيرة ، تسير
السيارة أياماً في ديارهم .

وكان الوادي لمزينة ، فلما جاءت بنو حرب في أول القرن الثاني
الهجري من اليمن ، نزلت بين المدينة ومكة ، فاستولت على ديار كنانة
وخزاعة في هذه الجهات ، ثم زحفت على مَزِينَة فاخذت منها هذا
الوادي ، وعادت مَزِينَة فحالت بني حرب في بني سالم ، ثم ظلت حول
المدينة حتى ثارت الحرب بين حرب وعَنْزَة فأجليت عنزة عن المدينة والقصيم
وتلك الديار فانساحت مزينة مع من انساح من حرب الى نجد (١) .

(١) انظر عن مثل هذه الاخبار كتابي « نسب حرب » .

وفي الساعة التاسعة والربع ودعت الأخ عبد الرحمن ، هذا الشاب الكريم الذي وقف حتى غابت عنه السيارة وهو يلوح بيده ، فله مني التحية ، والدعاء بالتوفيق .

الخويّ وشدخ

اتجه الطريق من الفقير شمالاً ، فرأيت يميني عيناً فيها نخل وزراعة تدعى الخويّ ، وبعد قليل الى اليمين أيضاً عينين صغيرتين هما شدخ وكميتان .

فهبط الطريق في غابة من المرخ ودوح السمر ، فخرج من وادي الريان ، وبعد ستة أكيال من الفقير اعترضني رأس وادي العطشان المتقدم ، ذكره ، فقبله الطريق صعداً ، وفي صدره زراعة على آبار ، قليلة غير نضرة ، وسايرني وادي العطشان ، حتى تعلق بالشفية .

الشفية

وعلى (٢٣) كيلاً من الفقير شمالاً صعدت عقبة الشفية ، وهي عقبة تكداء كود ، وهي نهاية مساقط مياه ، بين وادي الفرع ، والنقيع (رأس عقيق المدينة) ، فسا سال منها جنوباً ذهب الى وادي الفرع ، ثم الى البحر ماراً بالأبواء فمستورة ، وما سال منها شمالاً ذهب الى وادي النقيع الذي هو صدر وادي عقيق المدينة ، ثم الى المدينة فالى البحر مروراً بالوجه البلدة الساحلية .

وجبال الشفية : جبال سمر غير عالية الارتفاع ، تمتد من الغرب الى الشرق مقاطعة الطريق ، يسيل منها جنوباً وادي العطشان وروافد أخرى في الفرع ، وشمالاً السيج ، وهو فرعة وادي النقيع . وهي فاصل بين الغور والجلس ، الفرع غور ، والنقيع جلس ، وهي موصل

بين سلسلة جبال قدس غرباً ، وحرّة الحجاز العظيمة شرقاً ، تراها من هنا
كحد السيف منقادة جنوباً وشمالاً •

وصف الأرض من الشقيّة

كان الجو حسناً صافياً ، فلا رياح شديدة غير غرياف منعش يبراد
ربعي ، ولا عسام ولا سحب في السماء ، وكل ذلك يجعل البصر يأخذ
مداه من هذه المرتفعات المشرفة على كثير من معالم المنطقة ، والنظر قد
يصل الى مسافة خمسين كيلاً دائرياً مالم تحده الجبال العالية •

في أقصى الجنوب يظهر جبل آرة على بعد ٥٣ كيلاً ذو رؤوس
شخائيب ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، حيث تقع
(خلّص) ذات المياه والزراعة ، وهي بلدة لها ذكر في كتب الجغرافية ،
وتتصل بآرة من الشرق جبال أقل منه ارتفاعاً ، هذه الجبال يمر من
شرقها وجنوبها وادي الأكحيل (رأس وادي رابغ) المعروف قديماً
بمر عثيب •

ودون آرة بطن من الأرض منخفض يتصل شرقاً بالقرى تتخلله
بعض الجبال الصغيرة ، هذا هو حوض وادي الفرع بعد (٢٣) كيلاً
من هنا •

وفي الشرق من آرة ترى جبلاً بارزاً ذا قمة شقراء ، ذاك هو جبل
شُعَار •

وترى فجوة تنداح عنها الجبال كالحوض ليست بعيدة من شعار ،
هذه تسمى الفيّفاء : قاع واسع على ظهر الحرّة لبني عمرو فيه
مزارع عثرية •

أما في الشمال ففضاء أفيح واسع من الشمال الشرقي الى الشمال
الغربي ، وتظهر وراءه الى الشرق جبال ضعاضع تتصل بالقرى شرقاً ،

تبعد من هنا قرابة أربعين كيلاً خرساً • هذا السهل أو الفضاء هو السيح ، أول مساقط مياه عقيق المدينة •

والى الشرق لا يكاد يحد النظر ، وتوجد زُمل هنا وهناك تبرز على ظهر القَرَى الذي يرى كحد السيف ، منخفضاً تاركاً الأفق فراغاً لانهائية له •

أما في اتجاه الغرب فترى (خَسْبَة) : جبل أخشب ، لا تكاد ترى لشماله وجنوبه نهاية ، يتصل جنوباً بسلسلة جبال المعرض ، وترى (الطويلة) - إحدى قمم المعرض - بارزة كُراس الانسان ، ويمتد شمالاً فينحرف غرباً الى قرب ورقان ، وهو أبرز ارتفاع في هذه المنطقة بعد جبل آرة ، ومنه تسيل معظم روافد النقيع الغربية ، مثل : صخوى ، والنبعة ، وضاف ، والحنو ، وريم ، وهذه السلسلة التي قمتها خشبة هي جبال قُدس المتقدم ذكرها ، وما اتصل بها ، وخشبة هذا هو ما يسميه الأقدمون قدساً الأبيض ، وجبال المعرض هي ما كان يسونه قدساً الأسود •

ومنها الى الغرب تسيل كل روافد وادي القاحلة الشرقية ، ووادي الجي في وادي الصفراء ، فهذه الجبال - قدس - اذا مطرت سالت منها أودية ضخام ، فهي تسيّل : وادي الفرع ، والقاحلة ، ووادي الصفراء ، ووادي ملل - شمالاً - ووادي النقيع في عقيق المدينة •

هذا الوصف الذي قدمته لك آنفاً ، هو وصف طبوغرافي ، يصلح للعسكريين ، غير أنه لا يخلو من متعة لأي قارئ ، بقي شيء لم أقله ، وهو : ان المسالك في هذه الديار الوعرة قليلة ، فلا تصل طرق ذات أهمية الى الفرع الا من ثلاث جهات :

١ - من أسفل الوادي طريقان يجتمعان في أبي ضباع فيكونان طريقاً واحداً •

أحدهما : يأتي من هَرُشي مستورة الى بئر مَبِيرِك فبئر القاضي
فأبي ضباع ، والثاني : ماتقدم في رحلتنا هذه من أم البرك .

٢ - طريق تأتي من جهة المهد - معدن بني سَلِيم قديماً - وأبلى
والرحضية، فتتحد على رأس وادي القُرْع، من المكان المسمى بالقرع .
٣ - طريق الشقية الذي أكتب الآن وأنا أقف عليه ، وهو منفذ
هذه الامارة الى المدينة .

غير هذا هناك طرق قديمة لم تطرقها السيارة بعد على حد علمي :
أحدها - طريق العُوَيْدي : وهذا الطريق يأخذ بين مكة والمدينة
على ظهر القَرَى ، وهو متروك من زمن ، وسمعت بعد رحلتي هذه بزمن
أن طريقاً معبداً سيشق على هذا الطريق العُوَيْدي ، وهو أقصر مسافة
بين مكة والمدينة ، واعتقد أنه لا يزيد على ٣٥٠ كيلاً .
وكلمة عويدي عندهم معناها : القديم المؤلف .

وثانيها - درب الزائر : وهو درب كان تأخذه الرجال من زوار
المدينة ، وهذا يأخذ على صدور الأودية بين مكة والمدينة ، حيث تتقارب
المسافة بين مناهل المياه ، ذلك أن الأودية كلما أصعدت في السراة اقتربت
من بعضها ، وكثرت فيها المياه السائحة والعيون مما يجعل الزائر يجد
حاجته منها بلا مؤنة ، بخلاف تهامة التي هي على العكس من ذلك .

أمضيت في رأس الشقية ساعة ، من العاشرة والرابع حتى الحادية
عشر والرابع .

ومنها تحركت باتجاه الشمال ، فكان أول سهل هبطته مباشرة
هو (السَّيْح) .

برام وعَبُود

سرت في هذا السهل الواسع — الذي ينحدر سيله الى يسيني —
١٣ كيلاً ، فمررت بضليعين أحمرين مذرويين منعزلين عما حولهما في
وسط السهل بارزين كالخيمتين، هذان هما جبلا برام وعَبُود، وعَبُود
هذا غير عَبُود ملل ، ولا يكادان يذكران الا مقرونين — برام وعَبُود
وهما أشهر جبال الجلس على صغرهما ، ولبرام هذا ذكر غير خامل في
شعر العرب ، وهذا المُحرِّق المُزَنِي يقول :

واني لأهوى ، من هوى بعض أهله براماً ، وأجزاعاً بهنّ برام

ومن أبيات ذكرت في « معجم معالم الحجاز » ، يقول أبو براء :

وفي أسرى هوازن أدركتهم فوارس طيءٍ بلوى برام

ومن قصيدة لأبي قطيفة أوردتها كذلك في « معجم معالم

الحجاز » ، يقول :

ليت شعري ، وأين مني ليت . أعلى العهد يلبن فرام

أم كهدي العقيق أم غيرته بعدي الحادثات والأيام

وكان الجبلان من ديار مزينة وتحلها بنو سُلَيم ، وربما تداولتها

القبيلتان ، ذلك أنهما من الحدود بين القبيلتين ، فلما جاءت حرب أجلت

كلّاً منهما عن هذه الديار ، وهي اليوم ديار بني جابر من جرب .

ثم أخذ السائح يسيل يميناً تاركاً الطريق يساره ، وأخذت الجبال

الشوامخ الغربية تتعد الى الشمال الغربي ، وفي الشرق — بعيداً —

السلسلة التي ذكرتها في وصف الشفة أخذت تمتد شمالاً ، وكانت

زُمَلاً متفرقة ، فأضحت الآن أكثر بروزاً وتماسكاً وتسيل منها الى

الغرب في وادي النقيع على التوالي أودية : العرّار ، ووادي التغامل ،

وبَجْرَة ، ورواوة ، وهو آخرها مما يلي المدينة .

ثم جاءني من الغرب وادي صخوي ، من سلسلة قدس ، وكان نباته الطلح الكبار ، مما يدل على ارتفاع الأرض وروائها ، فقطعه الطريق الى سلسلة حمر صغار تعترض الطريق •

ثم قطعت أودية : النبعة ، وضاف ، وأشعب كثيرة تسيل مقاطعة للطريق •

اليتمة

وعلى (٥٣) كيلاً من الفقير وصلت الى اليتمة : وادٍ زراعي واسع ، يأتي من الغرب من سلسلة قدس (جبال عوف اليوم) ، قطعه من رأسه ، وقبله كانت قد انتهت ديار بني عمرو التي بدأت معنا من مر الظهران ، وبدأت ديار عوف التي تمتد من القاحه في الغرب فعلى قدس فوسط النقيع الى النشخيل قرب الحناكية ، ويبعد النشخيل (١١٥) كيلاً شرق المدينة •

وكانت اليتمة تسمى (الأتمة) ويقال : أتمّة ابن الزبير، وكانت ربما دخلت في حمى النقيع ، وهي تصب في النقيع في وسطه ، ومن هنا ترى يياض أرض النقيع الواسعة •

وفي اليتمة قرية صغيرة بها عمران جار ، وبها مدرسة ابتدائية ، ومحطة محروقات ، وبها بساتين جميلة مسيّجة بالأثل تمتد بعيداً من الطريق •

وتبعد عن المدينة (٨٥) كيلاً وكانت المرحلة الثانية على طريق الجمال •

وسكانها اليوم قبيلة السهلية من عوف من مسروح من حرب ، وحركة العمران فيها تدل على رغبة القوم في التحضر وامتلاك الأرض •

بين الأتمة وبئر الماشي

زودت سيارتي بالوقود من محطة الأتمة ، ولم أبحث عن طعام أو غيره ، غير أن شيخاً كان أمام حانوت لعله صاحبه ، زودني بمعلومات قيصة عن المنطقة ، وعن الأحوال الزراعية والمواشي ، ثم وصف لي الطريق الى المدينة وصف الخبير .

وعلى (٣٠) كيلاً من الأتمة هبطت وادي الحنو ، وكنت مررت قبله بأحد روافده يقال له : (عشر) : وادٍ صغير يصب في الحنو ، فيه بئر سقي .

وفي الحنو حفائر أرى ثيلها من على الدرب ، وفيه دوح من الطلح متشابك .

ثم قطعت وادي رثم ، ينحدر سيله يميناً الى النقيع ، ثم وادياً يقال له : (الصّهوة) على (٥٦) كيلاً ، من الأتمة ، وواديه سيح واسع يسمى (السيح أيضاً) تنكفيء سيوله شرقاً الى اليمين في وادي النقيع ، والصهوة اسم لثنية تهبط الى ذلك السيح ، فيقال: وادي السيح وقد يقال : وادي الصهوة .

وظهر النقيع الى اليسين موازياً للخط كنهى عظيم ، تبتعد عنه الجبال شرقاً وغرباً .

بئر الماشي

وقد يقال : بئار الماشي ، وعلى مائة كيل من وادي الفرع ، وصلت الى بئر الماشي ، وتبعد شمال المدينة (٣٨) كيلاً .

كانت المرحلة الأولى من المدينة لمن سار على طريق الفرع ، وهو طريق يفرق عن الطريق السلطاني من ذي الحليفة آخذاً يساراً ، ومنها يفرق الطريق الى شعبتين : طريق الفرع ، يستمر مشملاً ، وهو هذا

الذي أتيت عليه ، ودرب الغائر ، يأخذ يميناً على وادي ريم ثم ثنية الغائر
فالحفافة فأم البرك •

وتقع بئر الماشي على ضفة وادي العقيق الغربية ، تشرف عليها من
الشمال الشرقي حمراء ، ووادي العقيق بينهما ، وهو يسمى هنا عقيق الحسا ،
وكان يدعى حضيراً ، وترى الى الأمام يساراً حمراء الأسد يقابلها من
الشمال جبل غير ، وعقيق الحسا بينهما ، يلاصق حمراء الأسد من الغرب
(الأسمر) : جبل من نوع الحرة (حلاءة) ، ذو ظهر مستطيل ممتد من
الشرق الى الغرب •

ويقابل حمراء الأسد من الشرق بقرب (حُمر المراقيب) : ثلاث
حمر متجاورات كأثافي القدر ، أحدها صغيرة جداً ، والثانية أكبر منها ،
والثالثة أكبر من الجميع ، والطرق بينها وبين حمراء الأسد ، ووادي
الحسا يمر بلسقهن من مطلع الشمس •

وفي بئر الماشي قصر قديم مجصص يسكنه أناس من أهل القرية ،
ومركز امارة تابع للمدينة ، ومسجد مبني بالطوب ، ويشرف عليها من
الشرق حمر في رأس احداها زرائب ، كانت متاريس لحماية البلدة ،
وفيها زراعة حسنة •

واعتقد أنها مكان يسمى (قلبي) وكذا وقع مني في « معجم معالم
الحجاز » ، ولست على يقين من ذلك •

وادي العقيق

وادي فحل من كبار أودية الجلس ، يسمى أعلاه النقيع ، ووسطه
الحسا ، وإذا وصل الى ذي الحليفة سمي عقيق المدينة •

يأخذ أعلى مساقط مياهه من حرة بني عمرو ، وجبال قدس ،

ويتقاسم الماء هناك مع وادي الفرع ، ثم ينحدر شمالاً مع ميل تدريجي الى الغرب ، ويبلغ طوله قرابة (١٥٠) كيلاً .

وهو أحد أودية المدينة الآتي ذكرها ، وأحد روافد إضم الكبار ، وجزعه المسمى عقيق الحسا ، هو المحصور بين بئر الماشي وذي الحليفة ، وكان يسمى حَضِيرًا ، والنوع الحساوي بالمدينة منسوب اليه .

وقد تقدم معنا في رحلتنا بين وادي الفرع وبئر الماشي الحديث عن معظم روافد هذا الوادي الضخم ، فأغنى عن الاعداد .

سرت — بعد بئر الماشي — في عقيق الحسا ، فحدره الطريق الى ذي الحليفة على تسعة أكيال من المدينة ، وترى البساتين متناثرة فيه ، فاذا تجاوزت حمراء الأسد رأيت على يمينك قرية العلاوة ، ثم قرية الواسطة تجاور ذا الحليفة ، من الجنوب ، وهي قرية عامرة بيوتها كثيرة ، والقرتان لقبيلة عوف التي بدأت ديارها قبل الأئمة .

حمراء الأسد

وتبعد حمراء الأسد المشهورة بغزوتها التي غزاها رسول الله ﷺ في السنة الثالثة للهجرة تبعد عن المدينة جنوباً بعشرين كيلاً ، تراها وأنت تخرج من ذي الحليفة على طريق مكة المعبدة ، يسارك بعيدة ، بينك وبينها حمراء منعزلة في فسيح من الأرض ، تلك هي حمراء نمل ، أما حمراء الأسد فيميزها حلاء سوداء تتلبطها من الغرب .

فاذا تجاوزت حمراء الأسد رأيت غرباً وعلى ما يزيد عن سبعين كيلاً شعوف جبل الأجرد ، والأشعر جنوبه عليها العسام ، ولا يراها الا حديد النظر مع الصحو .

ثم ترى أمامك عن قرب جبل عَيْر : جبل أسود بحمرةٍ مستطيل من الشرق الى الغرب ، يشرف على ذي الحليفة من الشرق ، وتراه من

المدينة جنوباً ، في رأسه أثار سراديب وقطع أوان ، ويصعد فيه طريق متعرج (محالة) تراه من ذي الحليفة واضحاً •

ويقول الأهالي : ان هذا هو طريق تموين القوات التركية التي ترابط في رأس الجبل • ولعل ذلك أيام الثورة العربية الكبرى ، حيث ركز فخري باشا قواته حول المدينة •

ذو الحليفة

ويسمى اليوم بئار على ، نسبة الى علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه : بلدة عامرة على تسعة أكيال من المدينة يفترق فيها الطريق من المدينة الى : مكة ، يأخذ على البيداء ثم ذات الجيش فتربان ، فيستمر • وطريق الفرع ، وقد تقدم وصفه •

تمتد على ضفتي عقيق المدينة ، فيها مدرستان : ابتدائية، ومتوسطة ومعهد معلمين ، ومسجد كبير يحرم منه الناس ، يتوارث الناس هنا أنه مسجد الشجرة الذي كان يهل منه ، ﷺ ، وفيها محطة كهرباء المدينة، وبطرفها الجنوبي حدود حرم المدينة ، يشرف عليها من الشمال جبل (الغرابة) والجَمَائات ، ويتصل بها من الجنوب الغربي فضاء جلد كان يسمى البيداء ، يسير فيها الطريق الى مكة ، وبها مقام ومحطات لبيع المحروقات ، ومن عادة المسافرين أن يتزودوا من النعنع الحساوي من هنا ، وقد ارتفعت قيمته في الآونة الأخيرة •

ومن الثابت المتوارث عند المسلمين ان ذا الحليفة هو ميقات أهل المدينة ، ومن مر بها من غير أهلها حاجاً أو معتمراً •

وصف الأرض من ذي الحليفة

تري في الشمال منائر مسجد رسول الله ، ﷺ ، دونه — ظاهرة —

جماء تضارع إليك منها (الغرابة) أحد رؤوسها ، والى الشمال الغربي ترى سهلاً أفيج كان يعرف بفيفاء الخبار ، ويسمى اليوم الدشعينة ، تظهر من ورائه جماء أم خالد : سمراء بارزة •
وفي الغرب : ترى جبلي سهلوج : جبلين أسودين لا يبت فوقهما شيء ، بينهما جبل أسمر يسمى جبل (عظم) •

واذا نظرت جنوباً رأيت جبالات متراكمة بعيدة ، هذه جبال قدس عندما تستدق فتضعف ، دون ذلك حمراء نمل في فسيح من الأرض يصب فيه سيل الشكبية (ذات الجيش قديماً) •

وغير بعيدة عنها الى الجنوب حمراء الأسد ، وتقدم وصفها •

أما في الشرق فيحجب النظر عنك على صوت المنادي أو أفرز جبل عيّر ، المتقدم وصفه ، تتصل به شمالاً وشرقاً حرار ، منها حرة قباء ، ويمكنك رؤية منارة مسجد قباء شرقاً شمالياً •

بلد الحبيب ﷺ

وفي الساعة السادسة مساء دخلت طيبة : الطيبة من باب العنبرية : أحد أبواب المدينة القديمة ، والتي لم يتغير من اسمائها شيء الى اليوم ، وفوراً توجهت الى مكان غرب المناخة للسؤال عن الأهل والأحباب ، وسألت عن بيت صهري الشيخ محمد بن ابراهيم الحازمي ، قاضي محكمة نجران فيما بعد ، فدللت عليه يسر ، واستقبلتني الأسرة بالترحاب ، واسترحت بعد هذا السفر خلال مسالك وعرة وطرق لا يرى فيها الاسفلت •

الحديث عن المدينة

ماذا أقول عن المدينة ؟ هذه المدينة التي يملأ تأريخها عشرات المجلدات ، وهل يمكن أن أقدمها في صفحات داخل هذه الرحلة •
ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله •

موقع المدينة

تقع المدينة شمال مكة على (٤٦٠) كيلاً ، تربطهما طريق ظلت منذ عرفنا قائمة ، سماها الأقدمون درب الأنبياء ، ثم سميت الدرب السلطاني ، ودرب الحج ^(١) ، ثم عادت الآن فصارت تسلكها السيارات خلال ساعات ، وكانت إحدى عشرة مرحلة للجمال ، أي مسيرة أحد عشر يوماً بلياليها . وتقع بالنسبة لخطوط الطول على خط الطول ٣٦/٣٩ وخط العرض ٢٨/٢٤ ، وترتفع عن سطح البحر (٦٢٥) متراً وتربطها ببلاد الشام سكة حديد الحجاز المعطلة ، انظرها فيما بعد ^(١) .

وهي في فسيح من الأرض الخصبة التي تكتنفها الحرار ، وأخصب أراضي الحجاز ما كان تسيل فيه مياه الحرار ذات الطمي الهش ، ولها حرتان تسمى لاتبتي المدينة ، واللابة : الحرة السوداء ، الحرة الشرقية ، وتسمى حرة واقم وهي تطيف بها من الشمال ، والحرة الغربية ، وتسمى حرة الوبرة وهي تطيف بها من الجنوب ، وكان يشرف عليها من الغرب جبل سلع ، وقد أصبح الآن في وسطها تكتنفها ثلاثة أودية فحول ، هي :

١ - وادي عَقِيق المدينة : وادي فحل يأتيها من الجنوب ثم يدفع أسفلها ، وقد سد عند بئر عروة ، بطرف المدينة من الجنوب ، وقد تقدم الحديث عنه .

٢ - وادي بَطْحَان : وادي هو أصغر أوديتها ، غير أن شأنه بها عظيم ، ذلك أنه يشق المدينة مع الوسط ويمر قبلة مسجد رسول الله ، ﷺ ، وقبلة مسجد الغمامة ، ثم يجتمع بالعقيق أسفل المدينة ، ويسمى اليوم (أبو جيئدة) يأتي من الحرة الشرقية ، وعلى صدره مزارع ونخيل العوالي ، ثم يمر بقرية قربان قبل أن يدخل المدينة .

(١) انظر ملحقاً آخر الكتاب عن الطرق الرئيسية في الحجاز .

٣ - وادي قنّاة : يعرف اليوم باسم وادي العاقول : وهو أعظم أودية المدينة وأطولها مدى ، وكان اذا سأل قطع الوارد من قبل نجد مدة تزيد عن الشهر ، ولما عبد الطريق الى القصيم جعل فوقه جسر فخف خطره ، ذكره الشريف عثيّ العلوي فقال : واديّ جلواخ يحتلب نجداً . وهذا أصدق وأبلغ وصف له ، فهو يسيل من عالية نجد ، ويستسيل مساحة تقدر بمائة وخمسين كيلاً من الشمال الى الجنوب ، و ٢٥٠ كيلاً من الشرق الى الغرب ، وله روافد أهمها :

أ - وادي الشعبة : واديّ يسيل من شرف نجد من جهات ضربيّة وما حولها ثم يمر شمال المهدي (معدن بني سليم سابقاً) ثم تأتيه من الجنوب مياه جبال أبلى العالية ، ومن الغرب مياه الحرة ، ثم يسمى العقيق الشرقي تمييزاً له عن عقيق المدينة ، ثم يدفع في قاع واسع يسمى قاع حضوضي ، وهنا تأتيه الأودية الشمالية .

ب - وادي نخّل : واديّ كبير يسيل من الجهات الشرقية الجنوبية لحرة النار ، ويأخذ مياه ماسرق الحناكية كجبال رححان وما إليها ، ثم يندفع مغرباً بعد أن يمر بالحناكية ، ويسمى وادي الحناكية ، فتأتيه من الشمال أودية منها الشثقرة ونجّار .

ج - وادي الشثقرة : واديّ أصغر من سابقه يسيل من جنوب حرة النار فيعاقق وادي نخّل فتجتمع في مكان يسمى المخالط ، أي : مخالط المياه .

د - وادي نجّار : بالتخفيف : وهو وادي الصويدرة ، يقع شرق المدينة على ٦٠ كيلاً ، يأخذ من جنوب حرة النار فيدفع في المخالط .

ثم تذهب مياه المخالط الى حضوضي مجتمعة مع مياه العقيق الشرقي ، فيسمى الوادي الخنق وكان يعرف بالشظاة ، حتى يصل الى الحبس ، وهو سد العاقول اليوم ، فيسمى وادي العاقول ، فيمر بين

حرة المدينة جنوباً وجبال وعيرة وأحُد شمالاً ، ماراً بجبل عينين
ومشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه •

فاذا اجتمعت الأودية الثلاثة : العقيق وبطحان ، وقناة ، سمي
الوادي الخليل ، فيسير حتى يأتيه من الجنوب وادي ملل على ٢٤ كيلاً
غرب المدينة ، فيسمى وادي الحمض ، وهو ما كان يسمى بإضم ، وهذا
الوادي ترفده أودية عظيمة تأتيه من اليمين والشمال الى أن يصب في
البحر قرب الوجه جنوبه •

ومن كبار الأودية التي ترفد وادي الحمض :

١ - وادي ألتمة : يصب فيه من اليمين يأخذه طريق الشام الى
الصلصلة •

٢ - وادي الطَّبَق : يأخذ كل أودية خير ثم يدفع فيه من اليمين
عند هدية احدي محطات سكة الحديد (١) •

٣ - وادي الجزل : من الأودية الفحول له شعبتان : احدهما
وادي القرى ورأسه الحجر ، والثانية - الفرعة ، وهذان الواديان
يتقاسمان المياه مع أودية تبوك (١) في شمال الحجاز •
وغير ذلك روافد كبار تركناها للاختصار (٢) •

أما ما يأتيه من اليسار فأهمها : وادي ملل ، ووادي بُوَاط ،
ووادي العيص ، وغيرها •

ونظراً لاكتناف الأودية المدينة غزر ماؤها وحسن زرعها وضرب

(١) انظر كتابي « رحلات في بلاد العرب » في شمال الحجاز والأردن •

(٢) لم نترك منها شيئاً الا وضحناء في « معجم معالم الحجاز » الا
مالم يصل الى علمنا ، وفوق كل ذي علم عليم •

بجودة رطبها المثل ، وله أنواع كثيرة • وإذا ذهبت في المدينة الى مكان بيع الخضار وانفواكه حمدت الله على ماترى وما تجد من رخص ورخاء ، فلا تكاد تبحث عن نوع من الفاكهة الا وجدته أو نوع من الخضار الا وجدته أيضاً •

وكان وادي قناة قليل الزراعة حتى سُدَّ الوادي بسد العاقول على (١٦) كيلاً من المدينة فأرجع الوادي وكثرت أباره واخضر ونضر ، وتحسنت العيون أسفل من السد وكان بعضها قد نضب ماؤه ، وأثر ذلك السد في الانتاج الزراعي أيضاً تأثير •

تطور المدينة

كان عهدي بالمدينة سنة ١٣٨٥ هـ ، أي قبل ما يقرب من ثمان سنوات ، فوجدتها قد تقدمت عما أخبره كثيراً وتغيرت عليّ بعض معالمها ، فتوسعة الحرم النبوي التي كانت جارية آنذاك انتهت ، وأصبح في رواق بديع واتساع عظيم ، تحيط به ساحات واسعة وتصله بالأحياء شوارع فسيحة ، وأثير أنارة مستازة جعلت ليله كنهاره ، ومنظره من الداخل بهيجاً ، وقد جعلت له عشرة أبواب •

ولكن ليس يعني هذا أن مدينة الرسول ﷺ وعاصمة الاسلام الأولى ومطلق جيوش الفتوح قد حصلت على حظها كاملاً ، فهي — والحق يقال يرضي أولاً يرضي — لم تل ما نالته مدن كانت تابعة لها ، وأقل منها قدسية وأهون حقاً ، غير أن نصيباً من غمطها يتحملة أبناءؤها ، هؤلاء الأبناء الذين — كاخوتهم أبناء مكة — فزعوا الى أرض الثروة وموطن الشهرة ، حتى تجرأ زنادقتهم فسموها مقبرة الأحياء !•

أولئك الأبناء هاجروا عرازيل وفرادى الى حيث تنمو التجارة سريعة ، ويرخص ثمن الجاه ، ويسهل طريق البروز •

أبواب الحرم النبوي

قلنا : ان للحرم اليوم عشرة أبواب ، ثم أخذنا الاسترسال عن ذكرها ، وهي أبواب بعضها من التوسعة السعودية وبعضها مما هو سابق ، وهذا تعدادها :

- ١ - من الناحية الشرقية ، وعلى الترتيب من الجنوب الى الشمال :
باب جبريل ، باب النساء ، باب عبد العزيز ، الجميع ثلاثة أبواب .
- ٢ - من الناحية الشمالية ، وعلى الترتيب من الشرق الى الغرب :
باب عثمان رضي الله عنه ، باب عبد المجيد ، باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الجميع ثلاثة أبواب .
- ٣ - من الناحية الغربية ، وعلى الترتيب من الشمال الى الجنوب :
باب سعود ، باب الرحمة ، باب الصديق ، رضي الله عنه ، باب السلام ، الجميع أربعة أبواب .
ولعلك لاحظت هنا غياب علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، فما هو السريا ترى ؟
ألأن الشيعة خصوه بما لم يرض هو به ، وجاء العثمانيون فعادوا الشيعة فتحاشوا تبجيل عليّ لئلا يتهموا بالتشيع ؟ قد يكون هذا ، وقد يكون مالا أعلم !

مساجد المدينة

كانت المدينة أول بلد استطاع أن يمارس المسلمون فيه دينهم بحرية مطلقة ، وفيها ثاني مسجد صلى فيه المسلمون ، ولما هاجر اليها رسول الله ﷺ ، أسس أول مسجد أُسِّس على التقوى في حي بني عمرو بن عوف من الأنصار وهو المشهور بمسجد قباء ، ثم بنى مسجده الشريف

في مرصد لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو من بني مالك بن النَجَّار من
الخزرج ، وكان بنو النجار أخواله عليه السلام •

ولذا فإن طيبة تحتضن أجل الآثار الإسلامية وأقدمها بعد آثار مكة،
وخاصة المساجد منها ، وهذا بيان بأقدم المساجد المنسوبة الى فجر
الإسلام في المدينة المنورة :

١ - مسجد الإجابة : يقع في الشمال مع ميل الى الشرق من
المسجد النبوي ، ويقول الاستاذ عبد القدوس الأنصاري : يقع في
ضاحية المدينة الشرقية ، شمالي البقيع ، وبنائه على طراز عثماني
(بالحجر والجير) ، وطوله (١٠) أمتار ، في عرض (٨) أمتار • وان
هذا المسجد كان يعرف بمسجد بني معاوية بطن من الأوس •

وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلى فيه ودعا ربه ، وطلب منه ثلاثاً ، فأجاب
دعوتين هما :

عدم اهلاك أمته بالفرق ، ولا بالسنة ، ومنعه الثالثة ، وهي : أن
يجعل بأسهم بينهم ^(١) •

٢ - مسجد بلال بن رباح : مسجد خرب يقع في السبخة في الجنوب
الغربي من المدينة ، وجاء في كتاب الدرة الثمينة في تأريخ المدينة ، الملحق
بشفاء الغرام : مسجد بلال بن أبي رباح • وأرى (أبي) مقحمة ، وان
المسجد منسوب الى بلال بن رباح صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم
أدخل هذا المسجد انما رأيته من الظاهر •

٣ - مسجد الجمعة : يقع هذا المسجد يسار الخارج من المسجد

(١) « آثار المدينة المنورة » ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

النبوي الى قباء على الطريق المعبدة اليوم ، وهي غير الطريق القديمة ، وهو وسط وادي رانوا .

وفي آثار المدينة ما يفهم منه : أنه (٤٥٠×٨) من الأمتار ، وارتفاعه ٥٠ م من المتر ^(١) — بالاتفاق — هو المسجد الذي صلى رسول الله ﷺ فيه الجمعة التي أدركته وهو سائر من قباء الى المدينة ، فصلاها في بني سالم ، والاجماع على أنها أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ .
ويقول الاستاذ عبد القدوس الأنصاري: كان يعرف بثلاثة أسماء : مسجد الجمعة ، ومسجد الوادي ، ومسجد عاتكة ، وقيل له اسم رابع هو : مسجد الغُبَيْب ^(١) .

٤ — مسجد ذُبَاب : ويعرف اليوم بمسجد الراية : يقع على تل صغير بجوار سلع من الشمال ، هذا التل كان يعرف بجبل ذباب ، وقيل ان الرسول ﷺ ، ضرب عليه قبة تركية يوم الخندق .
وهذا أمر يوجب الاستفسار ، اذا المكان بعيد من موقع المعركة .

٥ — المساجد السبعة : مجموعة محاريب متقاربة تقع بسفح جبل سلع الغربي الى الجنوب ، وسألت بعض أهل العلم عنها فلم يعرفوا سبب التسمية ، وسألت الاستاذ عبد القدوس الأنصاري عنها فنفى علمه بها ، ثم رأيت لها اشارة في كتابه « آثار المدينة المنورة » ^(٢) .

وأشير الى احداها ونشرت له صورة في كتاب « الدررة الثمينة » الملحق بـ « شفاء الغرام » ^(٣) .

(١) آثار المدينة المنورة ص ١٢٨ .

(٢) نفس المصدر مخطط بعد ص ٢٧٢ .

(٣) « شفاء الغرام » ص ٤٢٧ .

ويقول البعض : ان هذه المساجد كانت محاريب مشهد أهل المدينة ، فكلما صلى إمام عَليمٌ محرابه ، وان الخلفاء ومن جاء بعدهم في عصرهم كان لكل منهم محراب خاص . وقد رأيت زوارها يأخذونها بالتتابع واحداً بعد الآخر ولكل منها اسم .

٦ - مسجد السبق : ويقع قرب ثنية الوداع ، شمال المستشفى بقرب الباب الشامي ، وقد رمم وأصلح ، ويقال : إن الرسول كان يجلس هناك للمتسابقين على الخيل ، فاتخذ مسجداً .

٧ - مسجد الغمامة : من أشهر مساجد المدينة بعد المسجد النبوي ، يقع في وسط المدينة ، يواجه الداخل من مكة بعد باب العنبرية ، وهو غرب مسجد الرسول ﷺ ، ومنه تسمع آذان المسجد النبوي .

وهو مسجد جميل سقفه مجموعة قباب متشابكة ، وبنأؤه بالحجر الأسود مكحل بالبياض ، ومنظره أجمل المساجد ، وكان مصلى رسول الله ﷺ ، في العيد ، فسمي مسجد المصلى ، وقد أطل الأنصاري . في وصفه وأجاد ، انظره هناك ^(١) .

٨ - مسجد الفتح : يقع في الجنوب الغربي من جبل سلع ، كان معروفاً في عهد رسول الله ﷺ ^(٢) .

٩ - مسجد قباء : أول مسجد أسس على التقوى ، وأول مسجد بني في المدينة المنورة ، بناه رسول الله ﷺ ، حال وصوله الى المدينة المنورة ، ويبعد قرابة (٤) أكيال جنوب المسجد النبوي .

(١) « آثار المدينة » ص ١٢٢ .

(٢) انظر « آثار المدينة » ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

وقد جدد تجديدات كثيرة ووسع ، وهو اليوم في شكل جميل بديع
من الداخل والخارج •

١٠ - مسجد القبلتين : من المساجد المشهورة في المدينة ، وهو من
مساجد رسول الله ، ﷺ ، وفيه أُمِرَ بالتحويل من الصلاة الى بيت
المقدس الشريف الى جهة الكعبة المعظمة ، ولذا سمي بمسجد القبلتين •

ويروى : أن النبي ﷺ كان يصلي الى المقدس حين نزل الوحي
باستقبال الكعبة ، فتحول أثناء الصلاة فتحول المسلمون معه ، ولا أعلم
كيف صيغة ذلك •

هذه بعض مساجد المدينة وهناك عشرات المساجد منها المسجد
النبوي الأعظم ومساجد تنسب الى الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم ،
وهناك ما يعرف بالمساجد السبعة، كما قدمناها، ومسجد عروة بن الزبير،
ومسجد المستراح ، وغيرها وغيرها ، وقد أتى الاستاذ عبد القدوس
الأنصاري على عدد منها وأجاد في تحديدها ووصفها (١) •

(١) المرجع السابق ص ٨١ وما بعدها •

سكان المدينة وحالتهم الاجتماعية

سكان المدينة اليوم من أجناس شتى ، تجمعهم الملة المحمدية السحقة ، والنسبة الغالبة الأرومة العربية ، ذلك أنه على مر الزمن كان يجاور بها من يجاور من المسلمين غير العرب ثم يتركون ذريات فتكون بيوتاً يعرفون بها ، مثلهم في ذلك مثل أهل مكة ، واللطف في الأمر أن بعض هؤلاء الأعجام ينحدرون من أصول عربية كانت هاجرت أثناء الفتح أو عندما كانت دولة الاسلام واحدة ، ثم عادوا الى بلادهم بلاد العرب وقد تعجسوا ، ثم تعربوا في هذه الأرض المقدسة .

ومن العرب السكان قبيلة حرب التي تحيط بالمدينة من جهاتها الأربع ، ثم أخذت تنصهر بواسطة التوطن في البلد ، وتزيد نسبتهم في المدينة على (٥٠٪) وتعتبر المدينة قاعدتهم الرئيسية ، فاذا قيل : حربي ، فأول ما يتبادر الى الذهن أنه من المدينة أو ضواحيها .

وهذه القبيلة هاجرت جماعياً بعد الحرب العالمية الثانية وأثناءها فاستوطنت المدينة ومكة وغيرها من المدن ، وفي المدينة أحياء من جهينة وبنو رشيد وغيرها ، وفيها بيوت عريقة عراقية المدينة من بقايا الأنصار وقريش وغيرها ، وكانت العرب على مر الزمن تتحضر فرادى ، فاذا تحضر أحدهم - وهو لا يتحضر الا لسبب كالفقر أو الدم - انقطع عن قبيلته ونسب الى الصنعة التي يمتنها ، وبمرور الزمن ينسى أحفاده نسبهم فيظن البعض أنهم من غير العرب .

أبواب المدينة

في زمن تقدم كان لكل مدينة سور يحيط بها ، فاذا جن الليل أغلق على هذه المدينة فلا يدخله الا من يؤمن جانبه ، ولم تشذ المدينة عن هذه القاعدة فقد كان لها سور ، تشير المصادر التي بين أيدينا الى أنه أسس سنة ٢٣٦ هـ بناه محمد الجعدي ، ثم توالى تجديدها ، وله من الأبواب المشهورة :

١ - الباب الشامي : ومنه يخرج الى الشام ، وموقعه شرق جبل سلع عن قرب ، ولا زال معروفاً بهذا الاسم ، وهو من أشهر أبواب المدينة .

٢ - باب العنبرية : وهو الباب الذي يخرج منه الى مكة المكرمة ، ولما جاءت سكة حديد الحجاز جعلت لها محطة تسمى محطة باب العنبرية بهذا الباب ، ومسجد بنفس الاسم ، ولا أعلم سبباً لهذه التسمية ، غير أن لبنائه لوناً مميزاً هو أنه من مربعات مختلفة اللون وغالبها السواد الذي هو حجر الحرة ، والبياض الذي هو الجص .

وهناك نوع من القماش ذو مربعات صغيرة تشبه هذا البناء يسمى (العنبرية) ولا شك عندي أن أحدهما سمي بالآخر ، لتطابق اللون والشكل الهندسي ، ولكن أيهما أقدم ؟ . هذا ما لا أعلمه .

٣ - باب العوالي ، وهو الباب الذي يسلك الى نخيل العوالي ، شرق المدينة .

٤ - باب قباء : وهو باب يخرج شمالاً الى قباء .

٥ - باب الكومة : يقع شمال جبل سلع ، وغرب شارع العينية ، كانت عليه قلعة تعرف بقلعة باب الكومة ، كانت للجيش ثم هدمت .

٦ - باب المجيدي : وهو يلي الباب الشامي من الشرق •

وزاد الأنصاري ^(١) :

١ - الباب المصري : وهو - في اعتقادي باب العنبرية ، لأن معظم المنشآت المنسوبة الى الحكومة المصرية تقع هناك •

٢ - باب بصرى أو بصري : بالقصر أو بالياء :

٣ - باب الجمعة •

٤ - باب الحمام •

٥ - الباب الجديد •

٦ - الباب الصغير •

ولم يذكر الأنصاري كل من : باب العوالي ، وباب العنبرية ، وباب الكومة •

ولعل هذه الأبواب الأخيرة كانت تحمل اسماء مزدوجة ، كما أن الأنصاري لم يحدد مواقع الأبواب لنستدل على هذا الازدواج ، وهو ولا شك أعرف مني بالمدينة وأبوابها •

وقد هدم السور اليوم ولم يبق له أثر •

أحياء المدينة

للمدينة أحياء عديدة ، منها :

١ - حي باب العوالي : ويقع على نفس الباب المتقدم •

(١) « آثار المدينة » ص ١٧٣ •

٢ - حي سلع : ويقع على جنبات جبل سلع ، غرب المسجد النبوي الشريف •

٣ - حي باب الكومة : وهو قسم من المناخة الشمالية •

٤ - حي مغيسلة : ويقع الى الغرب من مسجد الغمامة •

٥ - حي الشهداء من باب الشامي الى مشهد سيّد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب رضي الله عنه •

٦ - حي المناخة : وينقسم الى قسمين : مناخة الحطب ، من مسجد الغمامة الى جهة القبلة ، ومناخة الديرة ، وهي الشق الشمالي بالنسبة الى شارع العينية •

٧ - حي العنبرية : حول باب العنبرية •

٨ - حي باب قباء : في الجهة الشمالية من المدينة ، كان فيه باب قباء المتقدم •

٩ - حي الباب الشامي : ومنه يمر الطريق الى الشام •

١٠ - حي باب المجيدي ، بين الباب الشامي وحرّة واقم •

وهناك أحياء أخرى عديدة ، بالرغم من أن المدينة لم تتسع كاتساع بقية مدن الحجاز •

الحالة الزراعية في المدينة

نظراً لوقوع المدينة في متسع تحف به الحرار والجبال ، وتصب فيه أودية فحول ، فقد كانت من زمن موغل في القدم واحة زراعية ذات إنتاج غزير ، وبتمرها يضرب المثل ، وقيل : ان فيها سبعين نوعاً منه ، وفي صدر الاسلام نشطت عملية استحداث العيون فكثرت عيونها

وتقدمت زراعتها ، وكان أكثرها عيوناً المكان المسمى بالعيون الواقع غرب
مشهد حمزة ، ثم مر زمن ليس فيه تجديد أو زيادة ، وظل الأحفاد
ينوارثون ما أصر الأجداد ، بل ربما تناول التخريب بعضها ، وبمرور
الزمن ضعفت العيون وانقطع بعضها ، ثم جاء عهد الآلة فاستخدمت آلات
الضخ ، وساعد على ذلك قيام سد العاقول حيث انتشرت البساتين على
الآبار بين السد والشهداء في خضرة ونضارة توحى بالرواء ووفرة المياه .
غير أن زراعة المدينة أمامها مراحل حتى تبلغ ما يرضي ، وسألت
بعض المزارعين عن دور مندوبية الزراعة هنا والبنك فذكر لي أنهما
مشجعان ولكن دون المطلوب ، وما يطلبه الناس كثير ورضاهم غاية
لا تدرك غير أن المشاهد ينبغي عن طلب المزيد .



اليوم الخامس للرحلة

٢ صفر ١٣٩٣ هـ

كنت قد وصلت البارحة الى المدينة كما تقدم ، فبحثت عن منزل القاضي الشيخ أبي عبد الحميد محمد بن ابراهيم بن سلامة الحازمي ، فعثرت عليه بسهولة ، فأديت صلاة المغرب فيه ، وبعد قليل حضر الشيخ الذي أدى الصلاة في المسجد النبوي ، فرحب بي أجمل ترحيب ، الشيخ محمد والد زوجتي التي لم أدخل بها آنذاك .

ودارت الأحاديث حول الأهل والأصدقاء بمكة ، وعمل الشيخ هنا ، وعلمت منه أنه سينقل الى جهة لا يعلمها بعد ، وقد عين فيما بعد قاضياً لمحكمة نجران المستعجلة ، وهو الآن فيها أثناء تبييض هذه الرحلة سنة ١٣٩٨ هـ .

استيقظنا صباحاً فأدينا صلاة الصبح في المسجد النبوي ، على ساكنه أفضل الصلاة والتسليم ، ثم عدنا الى المنزل حيث ذهبت بالسيارة الى مصينة هناك فتم تغسيلها وتشحيمها ، ومررت بشارع العينية والمناخة ، لقضاء بعض الأغراض والاطلاع على نشاط البلد .

وعلى الغداء دعا الشيخ محمد نقرأ من الجيران ، فيهم الشيخ صالح القين من أهل المدينة والساكن بنفس الحوش ، وأحضر معه كُتَيْباً أخذ يقرأ فيه آداب الولد لوالديه ، والمسافر ، وطرق التعزية وغيرها .

الغابة

وبعد صلاة العصر أخذنا عموم العائلة للنزهة، فسرنا من باب الكومة — حيث يسكن الشيخ — فسرنا في الشارع العام ومررنا بمسجد سبق

ثم ثنية الوداع ، وبعد كيلين من ثنية الوداع دخلنا أولاً الغابية ، وتسمى اليوم : العيون ، لكثرة العيون فيها ، فظهر الطريق مغبراً طينياً ، وأخذ النقع يدخل إلينا من كل جانب مما اضطرنا إلى العودة .

سدّ العاقول

ومن الباب الشامي اتجهنا شمالاً على نصف الحزة الشرقية عندما تعرض من شمال المدينة ، ثم عبرنا فوق جسر علي وادي قنّاه الذي يسمى اليوم وادي العاقول ، وفيه الحدائق النضرة المسجحة بالأثل دوات المزروعات المتنوعة ، وفيها من غروس النخل ما يدل على أن هذه المزارع ليست قديمة ، ذلك أن كثيراً من المزارع هنا استحدثت بعد الوادي الآتي الحديث عنه .

وبعد تجاوز الجسر عدل الطريق إلى الشرق فسلكنا بين جبل أحد يساراً ووادي قنّاه يميناً ، وبعد أحد عشر كيلاً افتتح طريق القصيم عن طريق الشام وتبوك ، فسار طريق القصيم شرقاً ، وطريق تبوك شمالاً ، فسلكنا طريق القصيم ، فبرزت أمامنا لوحة كتب عليها : الصويديرة (٥٣) كم وعلى (١٤) كيلاً من الباب الشامي فرق طريق سدّ العاقول يميناً ، وعلى كيلين اثنين من هذا المرفق أي على (١٦) كيلاً من الباب الشامي وصلنا إلى سدّ العاقول ، فإذا هو مقام في مضيق من الوادي بين جامعتين جنوبية وشمالية ، يمتد ماؤها شرقاً قرابة (١٣٠٠) متراً ، بعرض كيل تقريباً ، مكوناً بحيرة من الماء الأبيض ، لأن السيل قد جاء هنا قبل شهر ، وهذه البحيرة هي سر حياة بساتين وادي العاقول .

جلسنا على ضفة تلك البحيرة الشمالية نحتسي الشاي بينما أخذ الأولاد يقفزون حول الماء هنا وهناك ، وكان المنظر جميلاً رائعاً ، غير أن الطقس كان بارداً ، فالمدينة منطقة مرتفعة ولذا يكون فصل الربيع فيها بارداً .

أدينا صلاة المغرب جماعة على طرف الماء ثم تحركنا عائدين الى المدينة •

الرشوة وباء قديم

تمكنت بعد العشاء من القراءة في كتاب (أخبار القضاة) لمؤلفه محمد بن خلف بن موسى بن حيّان ، والذي يحتفظ به الشيخ في مكتبه ، فقرأت فيه : حدثني أحمد بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب ، قال : حدثني أبو زيد ان عبد الملك بن مروان كتب اليه في قاضٍ ارتشى ، فكتب اليه عبد الملك :

إذا رشوة حلت بيتت تولاّجت لتدخل فيه والأمانة فيه
سعت هرباً منها وولّت كأنها تولّي حليم عن جواب سفيه

قول فيه غظة وعبرة وتذكرة ، فهل من مدكر ؟

وما بال قوم لا يتورعون عن أكل الرشوة ؟ بل لا يخجلون من طلبها والحديث عنها ، وكأنها حق لهم فيما يؤدونه للناس من خدمة هي واجبهم ومن أجلها تولوا هذه الأعمال ، وكم أضاعوا بالرشوة حقاً ، وأثبتوا بها باطلاً ، وكم أعطوا بها ظالماً ، وسدوا الطريق في وجه مظلوم يجأر بالشكوى ، وكم أحلوا بها حراماً وحرّموا حلالاً ، يأكلونه سحتاً يدخل البيوت العامرة فيدمرها ، ويبوت الغناة فيفقرها ، وقد عم بلاؤها واستشرى خطرها حتى ألفها الناس فما عادوا يرونها رذيلة ، ولا يرون التعامل بها مخجلاً •

وقد روي عنه عليه السلام : « لعن الله الراشي والمرشي والساعي بينهما » •

اليوم السادس للرحلة

الخميس ٣ صفر

رحلة الى الجفر

الجفر وادٍ يمر غرب المدينة على ثلاثة وستين كيلاً عن طريق مفرّحات (ذات الجيش قديماً) خصب التربة كثير المياه والمزارع ، فيه أزيد من ثلاثين بئراً زراعية ، تسيل معظم روافده من جبل الفقارة ، فيتجه شمالاً شرقياً حتى يجتمع بوادي ملل ثم يدفعان معاً في إضمّ غرب المدينة بعد وادي مخيط من الغرب .

وفي صباح هذا اليوم الخميس تجهزت للقيام برحلة الى هناك ، وكان الطريق على ذي الحليفة جنوباً غربياً .

ذات الجيش

وبعد (٢٤) كيلاً صعدت ربيعة ذات الجيش وتسمى اليوم مفرّحات ، وهي ربيعة تسيل منها تلعة كبيرة تسمى الشلية ، وهي التي كانت تعرف بذات الجيش الى مطلع الشمس فتصب في العقيق عند قرية الوسطة على يسار طريقنا هذه .

ومن هذه الربيعة يسيل وادي تربان الى الجنوب الغربي فيجتمع بملل .

وفي مفرحات مقاه ونزل قليل . توقّفت عنه احدى المقاهي فوجدت صاحب المقهى رجلاً من قبيلة الرحلة سكان هذه الديار ، فسألته عن بعض الأماكن ، وكان ملماً بها بل كان ذا معرفة جيدة .

يأتيه الجفر من الغرب ، وقبل ذلك يكون قد صب فيه غميس الحمام
وحزره بعد اجتماعهما في مريين بعد عبود ، ثم يسمى ملل حتى يصب في
إضم غرب وادي مخيط .

طريق الجفر

جزع الطريق ملل فجعل كل من عبّود وعبيد يسينه ، وعلى (٤١)
كيلاً من المدينة فرق طريق الجفر يسناً غرباً ، وهو طريق ترابي أحدثته
السيارات ، فسرت عليه قاطعاً وادي الضنيكة فافترق الى شعبتين ، ينس
الى الجفر ، ويسر الى حزرة وسويقة ابن الحسن .

والضنيكة : مضيق وادي الفريش قبيل جبل عبّود .

أخذت طريق الجفر ، وبعد ستة أكيال من الاسفلت هبطت وادي
الرّمث ، وهو وادٍ واسع تكثر فيه البروث التي تتخلل فسيحاً من
الأرض ، ويكسو أرضه نبات الرّمث : نوع من الحمض ، سمي
به الوادي .

السيارة تصاب بسكتة قلبية

تجاوزت وادي الرّمث ، وعلى ثلاثة أكيال توقفت السيارة فجأة
وتذكرت ! لقد انشغل ذهني عن تعبئة خزان السيارة بالوقود . لقد أسقط
في يدي لأن هذا الطريق قليل مرور السيارات ، ثم إن هذا الوقت بالذات
ليس وقت حركة بين القرى والمدينة ، فالساعة كانت العاشرة صباحاً ،
فبقيت في هذا المكان أنتظر من يسر حتى الساعة الواحدة والنصف بعد
الظهر ، فإذا بسيارات ونيت تبرغ عليّ من وراء مرتفع ، فتوقفت أمام
سيارتي ونزل منها عدد من الشبان الذين ابتدروني : سلامات، سلامات .

فأخبرتهم الخبر ، وأبدى السائق استعداداه لمساعدتي ، ولكن ليس
معي ولا معه لي لشفط الوقود من سيارته ، كنت أيضاً نسيت اللي في

المدينة • تبادلنا الرأي ، وكان آخر ما عرضت على السائق أن يأخذني الى الفريش ، فيدع الركاب هناك يشربون الشاي ونعود نحن بوقود ولي ، وأدفع له الأجرة ، فوافق الجميع •

وعلى بعد (١٥) كيلاً من هذا المكان وصلنا الى بلدة الفريش ، وأخذنا من صاحب مقهى هناك صفيحة وقود بخمسة ريالات ، ثم عدنا أنا والسائق وأحد مدرسي مدرسة الجفر ، وهو من قبيلة الوفيان ، يسكن الخرماء في وادي الصفراء ، وكان الجميع في طريقهم الى وادي الصفراء • أعطيت السائق خمسة وعشرين ريالاً أجراً ، ثم حركت سيارتي عائداً الى المدينة ، لأن أبا عبد الحميد قال انهم لن يتغدوا حتى أعود مهما تأخرت ، فوصلت الى هناك في الساعة الثالثة والنصف •

الفريش

الفريش : وادٍ يسيل من الطرف الشرقي لجبل ورقان ، وله روافد من الأطراف الشمالية الغربية من جبال قُدّس ، ثم يتجه شمالاً حتى يجتمع بوادي ملل شمال جبل عبثود في المكان المسمى بفرش ملل ، وقد توهم بعضهم أنه هو الفرش ، وليس كذلك •

ثم قامت فيه محطة على (٤٨) كيلاً من المدينة ، و (٢٥) كيلاً من الروحاء أصبحت بلدة فيها مقامٌ ومسجدان ونزل ، ومدرسة ابتدائية وأهلها الرحلة من بني سالم من حرب •

وهذه المحطة قامت في الأساس على بئر تسمى بئر درويش وسيأتي الحديث عنها ، وفي اصلاح الطريق الأخير جنّب عنها فأخذت في التقهقر وبدأت لي بعض مقاهيها مهجورة ، وقد أغلق أحد المسجدين لقلة المصلين ، والفريش عند هذه المحطة سيح واسع يبلغ طوله (١٦) كيلاً تقريباً ، بعرض يزيد على الثلاثة أكيال •

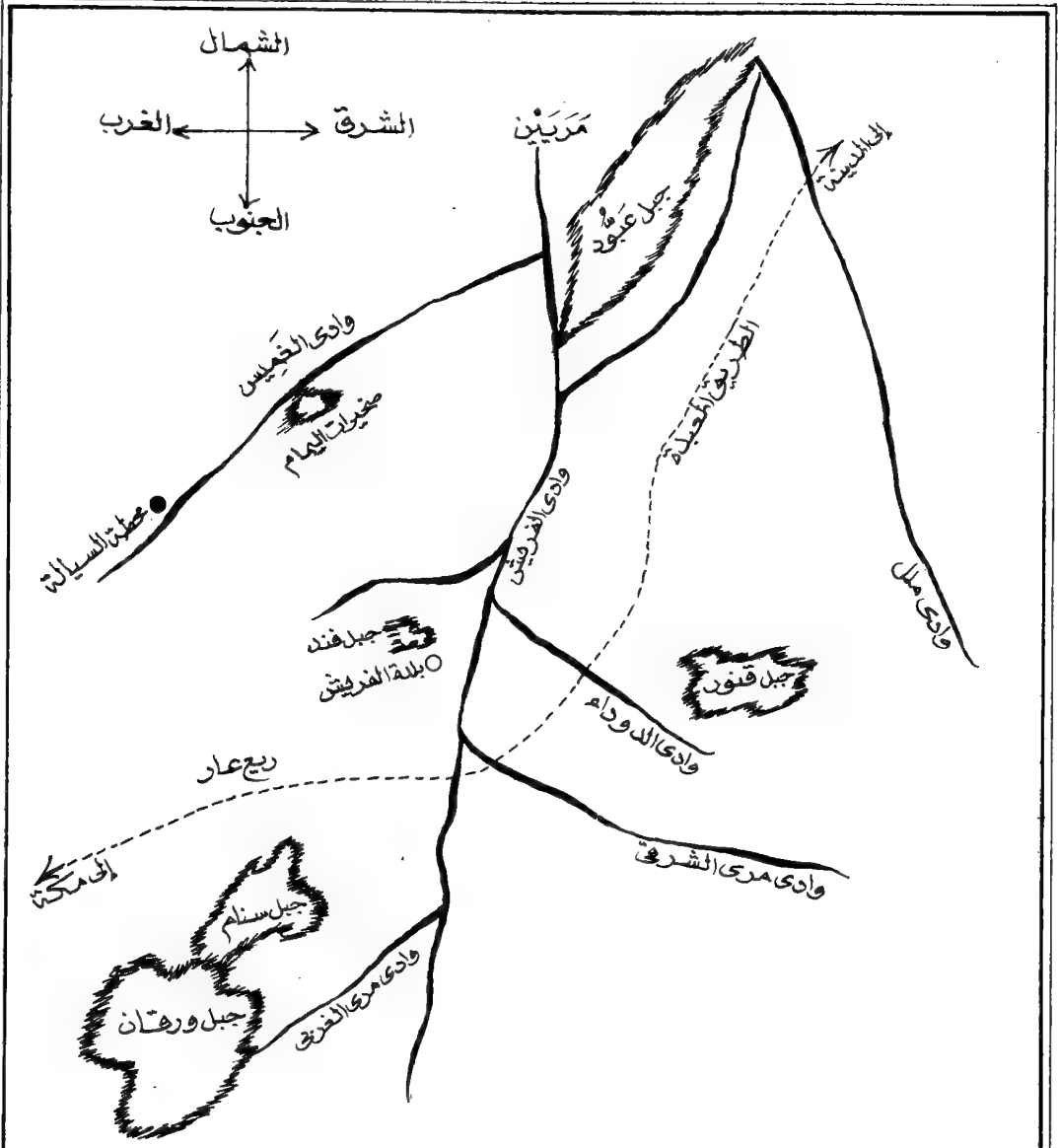
ويرى منها جبل عبثود شمالاً عند نهاية هذا السيج ، ويشرف عليها يطلها العشي جبل فنند : أكمة مردومة غير عالية •

وصف الأرض من الفريش

في الجنوب ترى جبل سنام مع ميل الى الغرب ، وهو من الجبال المتصلة بجسم جبل ورقان الذي يقع الى الجنوب منه ، يليه من الشرق وادي مرا : شعب يصب في الفريش ، ثم فجوة بين الجبال هي قيم وادي الفريش في أعلاه ، دون ذلك الطريق المعبدة الذي جنب عن الفريش بشكل قوس ، ومن الشرق وادي مرا الشرقي ثم جبل قنور : أسود : شرقاً عدلاً من الفريش ، دونه الطريق المعبدة أيضاً •

ومن الغرب جبل فنند يشرف على البلدة مباشرة ولا يدع للنظر مجالاً ، يليه من الشمال وادٍ يأتي من الغرب يسمى وادي السيالة ، يقاسم وادي السيالة الذي توجد فيه المحطة الشهيرة الماء ، ويسمى وادي السيالة الشرقية •

أما من الشمال فيمتد الوادي فسيحاً الى جبل عبثود •



التقاء جبال قدس بجبل ورقان

مخطط تقريبي لبلدة
الفريش وما حولها
عمل
عائق بن غيث البلادي

- قرية
- جبل
- وادي
- محطة
- طريق
- معبد

اليوم السابع للرحلة
الجمعة ٤ صفر ١٣٩٣ هـ

نزهة في العقيق : رغب الشيخ محمد أن نقوم بنزهة الى العقيق ، وهو ما نسميه (قَيْلَة) ، وبعد صلاة الفجر استغللت هجعة أبي عبد الحميد فانسلت الى السوق فاحضرت بعض الأغراض التي تلزمتنا للقيلة ، ذلك أنه — حفظه الله — يرفض رفضاً باتاً أن اشتري شيئاً مهما كان صغيراً ، رغم ان الضيافة قد طالّت .

وفي الساعة التاسعة والنصف خرجنا فكان طريقنا على بئر عروة ابن الزبير ، وهي لا تزال تزغر بالجهم ، ولا زال قصره ماثلاً للعيان ، وبعدوبة ماء بئر عروة يضرب المثل .

وقد قال فيها السَّريّ بن عبد الرحمن الأنصاري :

كفّنوني إن مت ، في درع أروى واجعلوا لي من بئر عروة مائي
سخنة في الشتاء باردة الص يف سراج في الليلة الظلماء

والى الشرق من البئر نزل يسير بأبنية متواضعة ، والى جانبها الغربي يقوم سد العقيق يعبر الطريق فوقه ، ثم الى يسار الطريق مقاهٍ تعرف بعروة ، وكل المنطقة المحيطة بالبئر أصبحت تسمى عروة ، ومقاهيها ذات شهرة في المدينة كمنتزه لأهل المدينة ، ويشرف على المنطقة من الغرب حراء بسمار ، هي جماء تصارع ، ويسمى طرفها الجنوبي الغرابة ، لأنها صارت — لشدة حمرتها — سوداء وتبعد بئر عروة ثلاثة أكيال من المسجد النبوي ، وبنيان المدينة اليوم تناوشها .

ولم نلبث أن اجتازنا بلدة بئار علي (ذي الحليفة) - وقد تقدم وصفها في اليوم الرابع للرحلة - ، فهبط الطريق الى داخل البلدة التي تقوم على شفير الوادي ، وادي العقيق ، فسرنا في طريق تراسية كانت المزارع على جانبيها تميز فيها النعنع الحساوي، غير أنها يبدو عليها الظمأ، وأكثر الآبار متوقف قد نضب ماؤه ، فالديار كلها في سنة سنهاء ودهراً أدهر ولم يسلم وادي العقيق من سنة ونيف •

وبعد ما يقرب من كيل أو يزيد من بئار علي وصلنا الى :

الوَسْطَة

قرية صغيرة عامرة على ضفة العقيق الشرقية بسفح جبل عيّر من الغرب ، يمر الطريق بينها وبين الجبل ، سكانها عوف من مسروح من حرب ، وجل زراعتهم الخضر •

حاجة العقيق الى السدود

استمرت الطريق بنا شمالاً ، وهذا هو الطريق الذي أتيت عليه من وادي الفرع ، ويسمى طريق الفرع ، كانت المزروعات والآبار كثيرة مما يدل على خصوبة الوادي وكثرة مياهه ، الا أنه الآن يقترب من فترة جفاف محزن ، وليس بالوادي سدود ، وكان يمكن أن يسد أعلاه ، وهو وادي النقيع عند بئار الماشي ، ويمكن سد العقيق عند حمراء الأسد ، ولو حدث هذا لأصبح الوادي ريان مرجعا •

صحيح ان المضايق تكاد تكون معدومة ، ولكن هذا في نظري وحسب خبرتي لا يمنع من إقامة سد أو سدين في هذا الوادي الزراعي التأريخي الجميل ، الذي طالما تغنى الشعراء بجماله الطبيعي ، وقد قيل

ان العقيق حظي من الشعر بما لم يحظ به مكان غيره ، ومما قيل فيه قديماً قول أحدهم :

إني مررت على العقيق ، وأهله يشكون من مطر الريع نزورا
ماضركم إن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقكم ممطورا^(١)

ولقد وجدت أهله يشكون المحل لا النزور .

وقال سعيد بن سليمان المساحقي وهو ببغداد :

أرى زاهراً لما رأي مسهداً وأن ليس لي من أهل بغداد زائر^(٢)
أقام يعاطيني الحديث ، وأنتا لمختلفان يوم تبلى السرائر
يحدثني مما يجمع عقله أحاديث منها مستقيم وحائر
وما كنت أخشى أن أراني راضياً يعللني بعد الأجرة زاهر
وبعد المصلى والعقيق وأهله وبعد البلاط حيث يحلو التزاور
إذا أعشبت قريانه وتزّينت عراض بها نبت أنيق وزاهر
وغنى بها الذّبّان تغزو نباتها كما واقعت أيدي القيان المزاهر^(٣)

وزوجت أعرابية من أهل العقيق وحملت الى نجد ، فقالت :

إذا الريح من نحو العقيق تنّست تجدد لي شوق يضاعف من وجدي
إذا رحلوا بي نحو نجد وأهله

فحسبي من الدنيا رجوعي الى نجد^(٤)

العلاوة

وبعد ثلاثة أكيال من ذي الحليفة وصلنا الى أول العلاوة ، وهي

(١) « معجم البلدان » ، « العقيق » .

(٢) ازهر : غلام الشاعر .

(٣ و ٤) « معجم البلدان » ، « العقيق » .

جزع من الوادي بها نزل ومزارع أنضر وأكثر من ذي قبل ، وقد انعرج الوادي الى الشرق فلابط سفح جبل غير من الجنوب ، والوادي يسمى هنا - كما تقدم - عقيق الحسا •

وهنا اخترنا مكاناً من طرف الوادي من الجنوب بعيداً عن النزل نوعاً ما ، وبه حططنا رحالنا فانهمك معظم الأسرة في اعداد الشاي والقهوة وما يلحق •

بينما تنحيت أنا جانباً وبدأت أدوّن مشاهدات رحلة أمس من دفتر الملاحظات ، الذي أكتبه دائماً باختزال أثناء سير السيارة •

وصف العقيق من العلوة

يأخذ العقيق في التعرج منذ أن يكون بين بئار الماشي وحمراء الأسد وكان قبل ذلك يسمى وادي النقيع ، ومن هذا المكان أرى جبل غير أسمر ممتداً من الشرق الى الغرب شمال مكاننا تماماً عن قرب ، له نفوف كثيرة ، يتصل في الشمال والشرق بالحرار ، أما جنوبه وغربه فيحف به سيل وادي العقيق ، وقد تكرر معنا الحديث عنه •

وفي الشمال حمراء الأسد بينها وبين الوادي سيوح وصحاصيح تعطي الوادي اتساعاً ، وان كانت غير محسوبة منه ، لأن الوادي يجري في أخدود عميق تحيط به الجرفه ، بينما هذه السيوح مرتفعة لا يصل اليها سيل الوادي ، ويلابط حمراء الأسد من الغرب جبل يسمى الأسمر •

أما في الغرب فأرى حمراء نمل : حمراء بارزة لا يتصل بها شيء من الأعلام ، يمر طريق مكة غربيها ، وبسفحها من الشمال يمر وادي أبي كبير الذي يصب على قرية الوسطة من الغرب •

وأرى غرباً عن بعد جبل عَظْم : جبل أسود بارز ، وراء البداء ،

ووراء طريق مكة وفي الشمال الغربي أرى حمراء الغرابة من وراء ذي الحليفة ، لا يبدو الا رأسها ، وهي كما تقدم جزء من جماء تضارع .

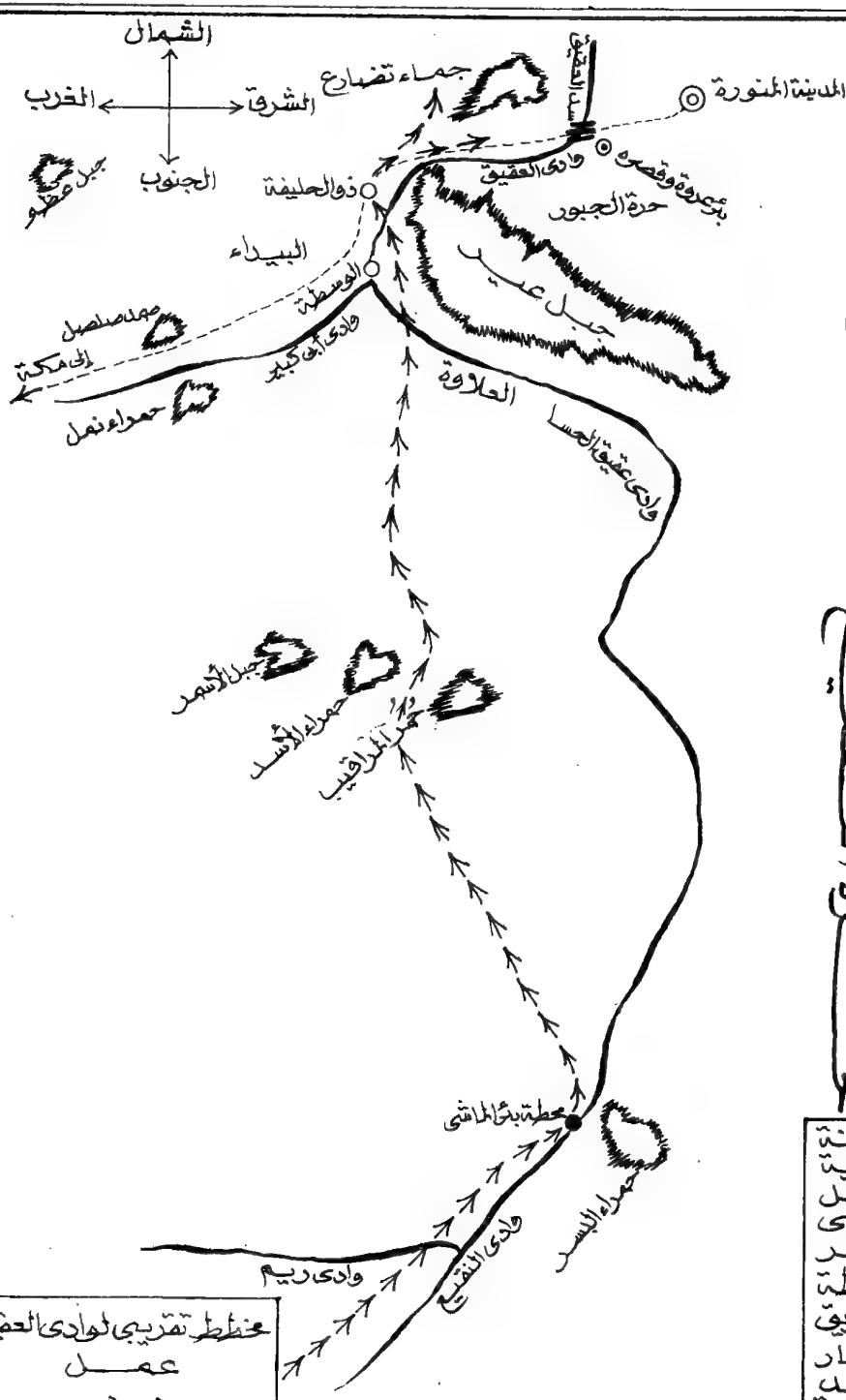
وفي الجنوب الشرقي تظهر حمراء البسر على قرابة (١٨) كيلاً من هنا ، تشرف على بئار الماشي من الشرق ، وعندها ينعطف الوادي مرة أخرى الى الشمال الشرقي ، دون ذلك حُمر المراقيب : ثلاث حمراوات صغار كأثافي القدر تظللها حمراء الأسد من الغرب ، وقد تقدم الحديث عنها في اليوم الرابع للرحلة .

أما في الشرق فأرى حرة المدينة : ولعلها تسمى هنا حرة النقيع ، ذلك أن هذه الحرة تأتي مأتى وادي النقيع تسايهه حتى تصل الى المدينة ثم تفترق عنها فتكون منها الحرة الشرقية والحرة الغربية ، وهما لابتا المدينة ، وهذه الحرة صلة غير منقطعة لحره الحجاز العظيمة التي تستمر مجنبه الى أن تقترب من مكة في الشمال ، ومن الطائف حيث حرة بس المشرفة على عشيرة من الشمال .

وتسيل منها أودية في العقيق من الشرق سبق التحدث عنها ، مثل بجرة وخاب ، وغيرهما ، وهي تسمى عند كل وادٍ باسمه ، فعند خاخ حرة خاخ ، وعند بجرة حرة بجرة ، ومنها حرة ميّطان ، في الجانب الآخر من جهة العقيق الشرقي .

حرة المدينين

من الميناء



خطوط تقريبي لودى العقيق
عمل
عائق بن غيث البلادى

- مدينة
- قرية
- ⬜ جبل
- وادي
- قرية
- محطة
- - - طريق
- ★ أشار
- طريق
- الرحلة

اليوم الثامن للرحلة رحلة الى العوالي

العوالي منطقة زراعية تقع شرق المدينة بين لابتيها ، يتخللها وادي بطحان الذي أصبح يسمى بثلاثة أسماء : أعلاه أم عشرة ، ثم قَرْبان في الوسط ، ثم أبا جيْدَة اذا دخل المدينة ، وهو الوادي الثالث الرئيسي في المدينة ، وقدما الحديث عنه في أودية المدينة •

ومنطقة العوالي خصبة التربة غزيرة المياه كثيرة المزارع ، ملاكها خليط من الأشراف وحرب والنخالة •

خرجت من باب العوالي شرقاً وسط حي العوالي الذي أقيم حول الباب المعروف بهذا الاسم ، فكان الطريق معبداً مزدوجاً ، وكنت أرى النخل يتخلل العمران ، وبعد كيل واحد بدأ العمران يقل والنخل يكثر ، ثم تكاثف على جانبي الطريق حتى حجب الرؤيا ، وبعد كيلين انتهى ازدواج الطريق وانتهى التعبيد فصار ترابياً متعرجاً بين جدر من اللبن ، وكان صوت آلات الضخ يختلط بعضه في بعض ، فهذه تطوطي، وأخرى تقوقي ، حسب حجم الآلة وقوة دفعها للماء •

وبعد ثلاثة أكيال من باب العوالي واجهتني حرة تغشاها بعض البنيان ، فافترق الطريق وافترقت حدائق النخل الى شعبتين : يميني الى الجنوب ، ويسرى الى الشمال ، فسلكت اليميني ، فصارت الحوائط من جهة النخل حائطاً واحداً متصلاً ، تتخلله أبواب ، وهو مبني بالحجر والطين ، فكان النخل يميني والحرّة يساري عليها بعض بيوت قليلة تعتبر في مجموعها قَرْيَة •

وبعد مسير أربعة أكيال من باب العوالي ظهر سويق صغير يمين
الدرب ، وهنا قصر النخل وظهرت الحرة على يساري متصلة ، فافترق
الطريق الى شعبتين : احدهما أخذت جنوباً بين النخل والحرة ، وكأنها
تطيف بالنخل ، والأخرى صعدت الحرة باتجاه مطلع الشمس ، فصعدت
الحرة من هذا الطريق ، وعندما علوت الحرة رأيت النخيل التي تركتها
جنوباً تمتد من جنوب الحرة الى الجنوب الشرقي في شريط مستطيل بين
الحرتين ، بينما توقفت في الشمال عند حرة واقم .

وهذه الحرة الأخيرة تسمى واقماً قديماً وتسمى الحرة الشرقية ،
وهي المعنية بيوم الحرة ، و (يوم الحرة) هي الوقعة التي أباح فيها مسرف
ابن عقبة مدينة رسول الله ﷺ ، في عهد ينقص (يزيد بن معاوية) (١) .

وكان الهدف من هذه الرحلة هو تحديد وادي بطحان الذي تقدم
ذكره ، ذلك أن الاسم لم يعد معروفاً لدى الأهالي ، ومن هذا المكان
عرفت أن وادي بطحان هو الذي تمتد فيه حدائق النخيل في هذا الشريط
الذي يمر جنوب الحرة التي أنا فوقها الآن ، داخلاً بينها وبين حرة قباء
التي تتصل بجبل عير من الشمال .

وصف الأرض من حرة العوالي

في الشمال : تمتد الحرة فيها تجويف الى الشرق تدخل فيه حدائق
النخيل، ويظهر للعين بعض العمران ومئذنتان بعيدتان، من وراء ذلك يظهر
جبل أُحُد شامخاً مستنداً من الشرق الى الغرب، يليه من الشرق فج ثم جبل
وعيرة الشامخ أيضاً ثم فضاء فيه مطار المدينة وسد العاقول ، ويمر فيه

(١) انظر تفاصيل هذه الوقعة في « معجم معالم الحجاز » .

طريق القصيم ، والى غرب جبل أُحُد تظهر أجبل سمر قليلة الارتفاع ،
أعلاها جبل الشطفاء المشرف على الجرف من الغرب •

و في الجنوب : شريط نخيل يلب هذه الحرة ممتداً شرقاً تتوسطه
قرية هي مني الآن الى الجنوب الغربي هذه قرية قَرْبان ، الى غربيها
خزان مياه قباء ، ومن وراء ذلك امتداد حرة المدينة الغربية (حرة الوبرة)
عندما تصبح في الجنوب من المدينة ، وراء ذلك في الجنوب جبل عير ،
وفي غربه جبل عَظْم من وراء طريق مكة •

وفي الغرب : تظهر جَمَاء تضارع ، وحمراء الغُرَابَة ، والى الشمال
منهما سلع على رأسه مبان عسكرية ، دونه المدينة تظهر منائرها ورؤوس
قصورها •

أما في الشرق : فامتداد الحرة ترى حرة بني قَرْيَظَة ، ويطلق اسم
قريظة على أكمة بارزة فوق الحرة ، وبعيداً جداً رؤوس جبال كأنها
غرست في وسق الحرة ، وهي وراءها •

الخضرة والماء في العوالي

هبطت من الحرة فقادني الطريق الى بئر عليها آلة ضخ ضخمة
(بلاكستون) ^(١) تدفع بطلمية سعة أربع بوصات ، كانت انبوتها ملانة
لدرجة أنها كانت تقذف الماء بعيداً ، عليها بركة متوسطة حولها استراحة
(دكة) وغرف قديمة حجرية ، وأخرى بالاسمنت المسلح ، وقريب كانت
بقرات ربوض ، ودفع الطلمبة يدل على غزارة الماء •

(١) كلمة انجليزية معناها : الحجر الأسود : يسمى بها هذا النوع
من الآلات .

وخرجت من عند البئر - تحاشياً لي - نسوة يرتدين الملابس السوداء ، وهو لباس قديم لنساء هذه الديار أخذ يتقلص أمام غزو الأقمشة المزركشة ، ولكنه في العوالي لا يزال ترتديه نساء طائفة النخيلية أو النخالة كما يسميهم أهل المدينة •

ورأيت الخضرة حول البئر يدل منظرها على الرواء ، وكذلك النخل الذي تتبلّخ عواهنه في رواء ظاهر ، والتربة طينية من أجود أنواع التربة الزراعية •

قُبَاء ومسجدها الجميل

أخذت في طريق تشق النخل الى الجنوب الغربي ضيقاً لا تتخالف فيه سياتان ، ثم أخذ يشرّق ويعرّب حتى قادني الى مسجد قباء جنوب المسجد النبوي على أربعة أكيال ، وهو مسجد جميل مبني بناء حسناً من الحجر ، وأعلاه من الخارج مجصص بينما ترك أسفله في شكل متناسق بديع من الأحجار المربعة ، وتظهر المؤنة كخطوط متوازنة في منظر رائع يزيده روعة تأريخه المجيد^(١) والمسجد يتوسط حياً جميلاً هو قرية قباء، وحول المسجد مقاه ظيفة جلست في احداها لتناول الشاي •

والعمران منه الى المدينة متصل لا ينقطع ، وفي الجنوب غير بعيد حرة قباء •

ويصله بالمدينة شارع واسع معبد على جانبيه البساتين النضرة ، وللمسجد ساحة واسعة تتخللها الحدائق الصغيرة المزينة بالورود من أشجار الدفلي وغيرها ، وصيران الدوم الخارجي ، والريحان •

(١) انظره في فصل المساجد •

المساجد السبعة وجبل فثو

جلست في مقهى هناك فتناولت فيه الشاي ، ومنه خرجت عائداً الى المدينة، كانت الفلل الجميلة عن يميني والنخيل ثم الحرة عن يساري، وبعد أربعة أكيال وصلت الى المناخة ، فواصلت سيري حتى خرجت من ثنية الوداع متجهاً غرباً على طريق سلطنة ، ثم تركته يساراً فأخذت طريقاً تريباً يهبط وادي العقيق من أسفله ، ذلك انني أحاول معرفة الطريق الى جبل الأجرد لأقوم برحلة الى هناك .

وبينما أنا سائر مررت بحي للبادية المتوطنين ، فوجدت رجلاً جهيناً سألته عن طريق الأجرد فوصفه لي كأنني أنظر اليه . (وعند جهينة الخبر اليقين) ، فالرجل من جهينة أهل الأجرد ، ومعرفته له كمعرفة أهل مكة لشعابها .

وفي طريق عودتي مررت بما يسمى المساجد السبعة ، سبعة مساجد بسفح جبل سلع من الغرب صغار لا يكاد بعضها يسع صفين ، متقاربة تكلم من بعضها من في البعض الآخر .

وسألت الشيخ محمد بن ابراهيم عنها فسأل الشيخ محمد الأمين الشنقيطي المدرس بالجامعة الاسلامية ، ومن لديهم معرفة في أثار المدينة، فلم يعلم أحد خبرها، وقال الشنقيطي: انها أحدثت في عهد الدولة العثمانية .

وسألت الاستاذ عبد القدوس الأنصاري فلم يعرفها ورأيت في خارطة للمدينة صادرة من مكتب تخطيط المدن ، ذكر فيها الطريق الى المساجد السبعة ، وهي منشورة في كتاب أثار المدينة .

الرواية عند البادية

بعد صلاة عصر هذا اليوم السبت (١٣٩٣/٢/٥ هـ) : ذهبت
والشيخ محمد بن ابراهيم الحازمي الى الشيخ مرزوق بن حامد وأبيه
الصاعديين ، وهما من سكان جبل سلع حالياً ، وكانت باديتهما بين المدينة
والفرع ، ولهما معرفة جيدة بهذه الديار وقبائل حرب وفروعها ^(١) .
فتحدثنا عن أماكن كثيرة واستفدت منهما ، ثم عدنا مع صلاة
المغرب .



(١) انظر عنها كتابي « نسب حرب » ، مطبوع .

اليوم التاسع للرحلة

(١٣٩٣ / ٢ / ٦ هـ)

رحلة الى الأجرد

تحركت من منزل الشيخ محمد في الساعة الثامنة صباحاً ، فخرجت من ثنية الوداع - بين سلع والباب الشامي - متجهاً غرباً ، فعبر الطريق فوق جسر على وادي العقيق ، ثم خرج في جلد من الأرض أرى منه الجامعة الاسلامية يساري ، وهي مقامة بجوار قصر سعيد بن العاص ، الذي يقول فيه أبو قُطَيْفَة :

القصر فالنخل فالجماء بينهما أشهى الى القلب من أبواب جَيَّرون

ثم أخذ الطريق بين جبل حَبْشِي - بالفتح - يساره ، وجبل الشظفاء يمينه ، والى اليمين عن قرب أشعب تسمى غُرَّاب : احدها غُرَّاب ، وهي المذكورة مع ما بعدها في غزاة بني لحيان •

ثم اجتمع الطريقان : سكة حديد الحجاز والطريق المعبدة فصعدا ثنية فأنحدرا الى وادي مَخِيْط ، ومنذ وصلت جبل حَبْشِي على (٧) أكبال من المناخة كان الطريق تحت التمهيد ، وكان متعباً ، وكانت سكة الحديد قد نقضت توأ ، وهذه عوارضها مرصعة على قارعة الطريق كأكوام من الحطب ، ثم أخذت بعض السحب الداكنة تظهر بعيداً جهة الغرب على شعوف جبل الأشعر •

مَخِيْط والتَّبراء

وعلى (١٥) كيلاً هبطت وادي مخيط - بالميم والخاء المعجمة ، والمثناة تحت ، والطاء المهسلة - وكل ما سواها غلط •

حدر الطريق ذلك الوادي ، فكانت الحرار تحف بجانيه ، ومن أبرزها حرة البتراء المذكورة في غزاة بني لحيان •

كانت السيارة تسير بسرعة (٦٠ كم) في الساعة مع طريق كثيرة المطبات والبطانيج ، وعلى بعد رأيت ذرى الهضبة أمامي ، وهي أبرز ما في هذه النواحي بعد الأشعر والأجرد ، ولعلي أعثر على اسم قديم لها ، فلا بد أنها كانت معروفة بغير هذا الاسم ، مثل آرة الذي أصبح يعرف بهضبة أم العيال ، والأشعر الذي أصبح يعرف بجبل الفقرة ، وفعرى الذي أصبح يعرف بهضبة غيقة • وغيرها كثير •

وادي الحمض

وادي فحل سبق وصفه في أودية المدينة ، وعلى (٢٦) كيلاً من المدينة هبطت وادي الحمض الذي كان الى يميني منذ أن تجاوزت غُرب ، وأول ما واجهني جسر ضخم أقيم للطريق التي ستعبد وقد عبت أجزاء منها ، وآخر غير بعيد يساراً لسكة حديد الحجاز مبني بالحجر ، بينما الأول مبني بالاسمنت المسلح •

جزعته فاتجهت محاذياً له الى الغرب ، فبدت عن بعد سرة الفقرة أوضح ما تكون على بعدها ، عليها العسام ، وتكاثف حولها ودونها مزن ذات رباب ينذر بالمطر ، وهنا رأيت الى اليسار فهوة واسعة هي فم وادي ملل حين يصب في وادي إضم بعد أن يجتمع به وادي الجفر ، وقد سبق الحديث عنهما ، واستمر الطريق معبداً فعدل بعدول الوادي الى الشمال •

خشنب

وعلى (٣٥) كيلاً وجدت آثار قرية على الضفة اليمنى من الوادي فيها بقايا أنقاض من أهمها ، قلعتان : أحدهما بالآجور الأحمر ذات بوابة

عالية لازالت ماثلة ، والأخرى حجرية مهدمة ، مما يدل على أن القلعة الحجرية تهدمت لطول المدى ثم أقامت الدولة العثمانية أخرى بالآجر ، وهو أمر يدل على عراقية هذه المحطة ، هذه في اعتقادي هي بلدة خشب التي ذكر الجغرافيون والرحالون أنها على مرحلة من المدينة بينها وبين ذي المروة ، ذلك أن المرحلة على نظام القوافل القديم تتراوح مسافتها بين ٢٥ - ٦٠ كيلاً ، حسب وجود المناهل والقرى •

المليح

قرية عامرة بطرف وادي الحمض من الغرب ، في منطقة زراعية تمتد قرابة عشرين كيلاً ، من وادي بواط - مصبه - جنوباً الى حرة مئدرجة شمالاً بعرض يقرب من خمسة أكيال ، أرضها طينية صفراء يكسوها نبات الرمث : نوع من الحمض •

وفي المنطقة مزارع قال لي أحدهم : انها تزيد على مائة بئر زراعية ومياها غزيرة صالحة للزراعة ، وهي ليست مستصلحة كلية فالمساحة الصالحة للزراعة تتسع لأضعاف الموجود الآن •

وفي البلدة مدرسة ابتدائية للبنين ، وامارة تابعة للمدينة ، ومستوصف صحي ، وجامع تصلى فيه الجمعة •

العصيليب

وتجاور المليح من الجنوب قرية العصيليب : قرية صغيرة فيها حركة بناء ومزارع حديثة •

ويزرع في المنطقة : العنب والرمان والخضروات والليمون ، الى جانب النخل الذي هو الزراعة الرئيسية •

وصف الأرض من الملييح

شمالاً : جبال اللثق ، جبال تظهر بعيدة حوالي ٢٥ كيلاً ، دونها حرة مدرّجة ، تمتد من الشرق الى الغرب تحرف وادي الحمض (إضم) الى الغرب ، دونها هذه المنطقة الزراعية من الوادي ، ويسمى هذا الجزع من وادي إضم (المندسة) .

وفي الجنوب : جبال بواط من الغرب الى الشرق ، وفي رأسه ثنية بواط التي سلكها رسول الله ، ﷺ ، في غزاة ذات العشيرة في ينبع ، وتظهر بعيداً شعوف جبال شخايب بينها فجوات عميقة ، وهي أطراف جبل الأشعر حيث تسيل الحورتان (حورة وحويرة) .

أما في الشرق : فترى الهضبة البيضاء ، وهي أبرز علم هنا بعد الأجرد ، شمالها جبل شوّفان : جبل أسمر ، ثم وادي ألتمة في آخر الشمال الشرقي ، تمر دون ذلك الطريق التي أتيت عليها ، ثم تعدل هذه الطريق فتأخذ ألتمة الى اللحن ثم الصلصلة ، وقد صار هو طريق الشام الآن (أثناء تبييض الكتاب) .

وفي الغرب : تظهر نعوف جبل الأجرد من جهته الجنوبية الشرقية عندما يتصل ببواط من أعلاه ، دونه سلاسل جبلية غير منفصلة عنه ، تصل سفوحها الى قرية الملييح .

والمسافة من الملييح الى المدينة (٦٨) كيلاً ، وسكانه جهينة ، وتسكن الضفة اليمنى من وادي الحمض قبيلة ولد محمد من بني سالم من حرب ، ولهم الهضبة ووادي ألتمة المار ذكرهما ، وتمتد ديارهم على الضفة اليمنى للوادي الى شجوى قرب مصب الجزل ، وفي الملييح محطة لسكة حديد الحجاز المعطلة .

عشاءان

خرجنا بعد العصر في نزهة بكامل الأسرة الى الجرف ، غرب المدينة بستة أكيال ، وكان جبل الشطفاء يشرف علينا من الغرب ، ثم عدنا الى المدينة عند الغروب ، وبعد العشاء جلسنا لتناول طعام العشاء ، وبعد أن أكلنا شطراً منه فاذا بالباب يقرع قرع المستعجل ، فقام اليه الشيخ محمد ، فاذا هو الشيخ صالح القين صاحب العمارة والساكن فيها أيضاً ، فقال : ان عندي صديقاً عزيزاً أحببنا أن تشاركوه العشاء فها أسرعوا فقد غرفنا ! وكان الشيخ عزيزاً علينا ، وهو من أهل الصلاح والوقار ، وكان قد كسب ودنا واحترامنا من لقاءاته بنا حول العمارة ، فلبسنا على عجل وصعدنا اليه في الطابق العلوي ، وكان عشاء شهيماً .

القراءة بالبركة

قدم لنا الشيخ صالح ضيفه وكان شيخاً طاعناً في السن ، وقال : انه شيخ القراء في الباكستان . وبعد العشاء أحضروا مسجلاً وطلبوا من الشيخ أن يسجل — بالبركة — بعض آيات من القرآن الكريم . فقرأ الشيخ سورة (ق) ثم سورة (عم) فكان يجيد مخارج الحروف أكثر من مجيدي العرب ، ويجود تجويداً كان موضع إعجاب الحاضرين ، وهو رجل أعجمي .

وعدت بذاكرتي الى ما أسمع من بعض العرب ، فقد قرأ بنا أحدهم ذات مرة في الصلاة (والتفت الساغ بالساغ) وقرأ بعضهم في الفاتحة (المظوب عليهم ولا الظالين) .



اليوم العاشر للرحلة

(٦ صفر ١٣٩٣ هـ)

رحلة الى جبل ثور

ثور جبيل أحير لاطيء في الأرض شمال أحد ، جاء ذكره في بعض كتب المتقدمين على أنه حد حرم المدينة من الشمال •

وفي هذا اليوم أردت أن أشاهده وأحدده ، فخرجت من المدينة من الباب الشامي الساعة الثامنة صباحاً ، وعلى بعد ثمانية أكيال فرق طريق مُعبّد الى اليسار غرباً داخلًا بين جبلي أحد الى اليسار ووَعيرة الى اليمين في فج يسمى (المفهق) ، فانحدر الطريق في مسيل يسيل من هذا الفج الواسع ، وبعد قرابة أربعة أكيال خرجت في طريق ترابي يتجه شمالاً ، فهبط وادي النّقيمي ، وكان جبل أحد ورائي وويرة يميني يسيل منها بعض روافد وادي النقيمي ، وعن بعد ظهرت الهضبة البيضاء شامخة في الشمال الغربي •

قادني الطريق الى بستان كبير في وادي النقيمي ، عرفت فيما بعد أنه لوكيل امارة المدينة • لم أجد من أسأله عن جبل ثور ، فالعمال في المزارع هنا كلهم أجانب ، وكنت أنظر الى ما حولي من آكام بحثاً عن جبل ينطبق عليه وصف ثور فلم أراه •

وأخيراً وصلت الى مزرعة مستطيلة باستطالة الوادي في طرفه الشمالي ، يبلغ طولها قرابة كيلين بعرض أكثر من (٣٠٠) متر تقريباً محاطة بسور من الطوب الأحمر ، فسألت عنها فقيل : اسمها الزبير ، فإذا هي مزرعة الزبير بن العوام التي اشتراها في الغابة بمائة وسبعين ألفاً ، ويبيع في تركته بألف ألف وستمائة ألف درهم •

ويبدو أن هذا طرف الغابة من الشمال ، وأن طرفها الجنوبي هو ما يعرف اليوم باسم العيون ، وبينهما مسافة قد تزيد عن ثلاثة أكيال .

تجاوزت هذه المزرعة الى الطرف الشرقي لوادي الحمض فوجدت أراض استعمرت حديثاً ، مخططة تخطيطاً حسناً ، فوجدت شخصاً من قبيلة حرب فسألته عن جبل ثور فأشار الى ضليع حائز عما حوله كنت مررت قريباً منه ، وقال هذا هو جبل ثور المعروف في هذه الناحية .

توجهت الى تلك الأكمة فصعدتها فوجدت بقايا حجارة مهدمة ، وسطها صخرة تمثل أعلى نقطة في الجبل ، فجلست عليها لأقدم وصفاً لما حوله .

وصف الأرض من قمة جبل ثور

في الشمال : أرى جبل الجُنْدِيَّة : جبل أسمر يصطدم به وادي إضم فينحرف عنه غرباً ، ووادي إضم يسمى بين العيون والجندية وادي الخُلَيْل ، فهو لم يسمى وادي الحمض بعد ، تتصل بالجندية جبال من نوعه ، دون ذلك وادي الخُلَيْل تنتشر فيه المزارع ، وقريب مني في الشمال أيضاً درب سيل وادي النُقْمِي آتياً من اليمين الى اليسار، يصب في الخليل على مرأى من هنا غرباً .

ووادي النقمي يأتي من بعيد حيث يقطع صدره الطريق الى تبوك^(١) .

وفي الجنوب : بعيداً ، طرف جبل غير الغربي مما يلي ذا الحليفة ، دونه جماء تضارع ، والى الغرب من ذلك تظهر الجماء الغربية (جماء عاقل) ثم جبل حَبْشي غرب الجميع ، وهو في الجنوب الغربي من هنا ، وتظهر الى يمين القبلة مباني الجامعة الاسلامية بيضاء ناصعة ، دونها

(١) انظر كتابي « رحلات في بلاد العرب » .

يمتد الوادي أو قل رحبة التقاء أودية المدينة الثلاثة ، وهي رحبة واسعة تتخللها المزارع تضيق بين الجرف وأحد فتسمى الخثليل الى وادي مَخِيط ، وقد تقدم ، ومن هنا ترى نخيل العيون مدلهمة كالليل الداجي ، دون كل ما تقدم — عن قرب — جبل أحد تسمع المنادي منه ، ويحجب عنك المدينة وحرارها وسلعاً فلا ترى شيئاً سواه ، وبيننا وبين أحد تمر طريق معبدة تلب أحد من الغرب فتقطع الوادي عند الجرف فتدخل بين الجماعات فتأخذ فيفاء الخَبَار فتلائم طريق مكة على البيداء ، فهي لا تمر المدينة بل تطيف بها ، قيل لي هنا : انها عملت من أجل الأجانب الذين لا يراد مرورهم بالمدينة : وتحت جبل ثور من الجنوب أقيمت منشآت حديثة •

وفي الحديث : ان حد المدينة من الشمال هو ثور ، ولكن ذلك الطريق استثناه فمر في الحرم ، وليس هناك نص حسب علمي يحرم على الأجانب دخول المدينة ، بل ان كثيراً من غير المسلمين كانوا في المدينة زمن عمر ، الا أن حرم رسول الله ﷺ تجب رعايته وتنزيهه ممن لا يكونون له الاحترام ولا يعترفون بنبوءته خاتمة النبوءات •

وكان أبرز الظواهر في الشرق : جبل وعيرة — بفتح الواو وكسر العين — ترى الذي يشف من فوق رأسه ، ويحجب كل ما وراءه ، ثم قريباً ترى جبالات ضعاضع جابج سمر ، دونها سيح صغير ، وتحيط السيوح بثور من جميع جهاته فلا يتصل به شيء من الحثَر •

أما في الغرب : فأقصى جنوبه جبل الشَّظَفَاء : جبل أسمر بارز تراه وأنت في المدينة غرباً الى الشمال ، يقابل حبشياً بينهما سكة حديد الحجاز ، والجادة المعبدة ، ويشرف شرقاً على الجرف ، ومنه تسيل شعاب غرَّاب •

تتصل بالشطفاء الى الغرب سلاسل جبلية أقل ارتفاعاً منه ، بينها كثانة معها طريق يسلك • دون ذلك وادي الخليل فيه غابات من النخيل بينها فجاج واسعة •

شهرة جبل ثور

سبي جبلاً وهو في الواقع أكمة صغيرة علوتها بدون غناء ، وتأتي شهرته من ناحيتين :

أولاهما : الحديث الذي تناقله أهل المدينة وأخذه الجغرافيون بأن حرم المدينة من ثور الى عيّر ، وهو واضح نصاً ومعقول معنى ، إذ أن كل من ثور وعير لا يبعد - تسامياً عن المدينة بأزيد من عشرة أكبال أو أكثر بقليل ، ولم يطعن أحد في صحة هذا الحديث •

ثانيهما : ذلك الخوض العجيب الذي وقع فيه الجغرافيون في ثور وعير ، فمنهم من قال : ثور مكة وعير المدينة ، ومنهم من قال : مثل ما بين ثور وعير في مكة ، ومنهم من قال : لا يعرف عير ولا ثور في المدينة^(١) • والواقع أن الذي في مكة ثور والعيرة - مؤنث - وأن الذي في المدينة ثور وعير - مذكر •

ولما أن أئحداً وثوراً متجاوران ، وأحدهم أشهر وأكبر فقد اعتبر - فيما أعتقد - عند شق ذلك الطريق ، حداً للمدينة ، وخاصة أن الطريق لو شقت من وراء ثور فستلقي صعوبات لمرورها على طول وادي النقي •

(١) انظر ذلك في « معجم معالم الحجاز » ، مادتي ثور وعير •

سيد الشهداء وجبل الرماة

نزلت من على هذه الأكمة فعارضت طريق الأجانب كما يسميه أهل المدينة ، والذي يسير بسفح جبل أحد ، فمشيت فيه قليلاً فافترق منه درب يساراً بلحف أحد ، بينما استمرت الطريق الرئيسية الى الجنوب الغربي كما سبق وصفها •

فقداني دربي هذا الى مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ابن هاشم ، عم رسول الله ﷺ ، الذي استشهد يوم أُحُد في السنة الثالثة للهجرة ، يقع المشهد بسفح جبل أحد مما يلي المدينة ، وحوله بناء له باب عليه حارس ، والناس كثيرون هنا لزيارته ، وحوله حي يمتد منه باتجاه المدينة يسمى حي الشهداء ، وغرب المشهد مدرسة متوسطة تسمى متوسطة حمزة بن عبد المطلب •

ومن هذا المكان ترى جبل الرماة أو جبل عيَّنين بينك وبين المدينة : أكمة صغيرة كالبرث صخرية حائِزة في السهل ، يفصل بينها وبين المشهد سيل وادي قناة ، هي جنوبه والمشهد شماله ، ويمكن أن تكالم من أحدهما مَن على الآخر •

وكان قد كساه العمران قديماً حتى لم يبق منه مكان ، ثم هجر فاصبح الآن خرائب مهدمة لساكن فيها •

ولا أعلم ولم أجد من يعلم سبب هجر هذه المساكن غير أن الجبل يزار أيضاً بالمشاهدة •

ومن مشهد حمزة خرج شارع معبد واسع الى المدينة ، فسلكته ، وعلى طريقي هذا مررت على مسجدي : المستراح ، والسبق ، وهما من المساجد المشهورة بالمدينة •

اليوم الحادي عشر للرحلة

الاستعداد لمغادرة طيبة الطيبة : لقد قضيت العشرة الأيام الماضية في تنقل مستمر بين الجبال والوديان ، حتى أنني أحياناً اضطر الى اعتبار دروباً لم يسبق عبورها ، وقد لحقني من جراء ذلك تعباً شديداً ونصباً كنت أتجاهله دائماً ، وعندما أزمعت على الرحيل وجدتني في حاجة الى الراحة ولو ليوم واحد فقط ، فقممت في هذا الصباح بتغيير زيت السيارة، ثم ذهبت الى سلطنة الضاحية الجميلة، التي فيها تقع الجامعة الاسلامية، عدت بعد ذلك في التاسعة والنصف فاخلدت الى الراحة على أمل الرحيل غداً .

ولكن الشيخ محمد بعد عودته من الدوام اقترح عليّ أن نقوم بزيارة لوالده في (الواسطة) القرية التي كانت تعرف بالصفراء قديماً ، فلم أجد ما يعذرني منه ، بل رأيت هذه الرحلة مفيدة جداً فوالده من أعرف الناس بهذه النواحي .



اليوم الثاني عشر للرحلة

رحلة الى الواسطة :

قرية كبيرة تتكون من ثلاث عيون متجاورة ، وهي : الصّارة ، عين جارية قوية الدفع ، والجديدة ، وهي ضعيفة ، والسفلى ، وهي مندثرة .
تبعد الواسطة (١٢٨) كيلاً عن المدينة ، في وسط وادي الصفراء .

بعد ظهر هذا اليوم في الساعة (٤:٣٠) تحركنا من المدينة ، والطريق كما هي اليوم تأخذ على باب العنبرية ، ثم حرة الوبرة ، فبئر عروة بيسار ، ثم تجزع وادي العقيق ، ثم على سفح جناء تضارع ، فجاعل الغرابة ثم الدعيثة يمين ، فعلى ذي الحليفة ، فالبيداء ، فصمد صُلصل ، فمفرّحات . الخ .

وعلى (٤٨) كيلاً جعلنا الفريش على يميننا حيث جنب الطريق عنها على مرأى ، وهنا جاءنا من اليسار سيل الدوداء ، مقابلاً للفريش من مطلع الشمس ، وعلى (٥٢) كيلاً — كل المسافات من المدينة — سعدنا ريعاً فانحدرنا في وادي (عار) فسار الطريق فيه عشرة أكيال فجاءنا من اليمين وادي الرّحبة ، وفي رأس الرحبة العوّيقل : ريع يطلعك الى سويقة الهاشيمين في حرزة .

فاذا اجتمع عار بالرحبة سمي الوادي السدارة الى المسيجد ، وبعد (٦٨) كيلاً مررنا بعرق الظبية : نعف أشهب يمين الطريق يكنع في درب السيل ، يسمى اليوم طرف ظبية ، وكان على يسارنا جبل ورقاق ذو الرؤوس الشخائب المغر ، تسيل منها شعاب كثيرة في وادي السدارة منها : سفا شرق عرق الظبية يرى منه ، وهبّت ، بعد العرق بقليل .

الروحاء

وعلى (٧٤) من المدينة وصلنا الى بلدة الروحاء : مقهيان أو ثلاثة وبيوتات يعدها الناظر ، ومنها ترى شئوكة : تلة كبيرة تسيل من الشمال من الفقارة أو مما يتصل بها ثم تدفع على بئر الروحاء من الشمال . وهي التي يقول فيها كثيرون :

كذب صفاء الود يوم شئوكة وأدركني من عهدهن وهون^(١)
ويقول أيضاً :

فإن شفاي نظرة إن ظرتها الى ثافل يوماً وخلفى شنائك
وإن بدت الخيمات من بطن أرثد لنا وفيافي المرتين الدكادك^(٢)

وكانت الروحاء محطة قديمة على درب الأنبياء ، نزلها رسول الله ، **ﷺ** ، فيها بئر كانت تسمى سجسج ، لا تزال توجد ، ويسمونها اليوم بئر الراحة ، وهو اسم الروحاء عندهم . فيها مسجد ، ونزلها على فم شئوكة ، وقد جنب الخط عنها بسفح جبل الجرف - بفتح الجيم - فانتقلت المقاهي الى الطريق ، وهي المرحلة الثانية من المدينة على نظام القوافل القديم ، وكانت المرحلة الأولى السيالة ثم صارت الفريش - متوازيتان - ثم تحولت المحطة الى المسيجيد ، فكادت الروحاء تندثر ، الى أن قام طريق السيارات فصار بعض الحجاج المغاربة يزورون الروحاء فاتعشت قليلاً .

(١) ديوان كثير ص ١٧٣ نشر دار الثقافة .

(٢) ص ٣٤٨ المرجع السابق .

وصف الأرض من الرّوحاء

في الشمال : وادي شَنُوكَة : تراه فجاً بين الجبال يدفع عند الروحاء ، تتصل به من الشرق جبال مفر منها عرق الظبية ، وتتصل به من الغرب جبال منها الطرف الأحمر ، متسلسلة الى الفقرة (الجبل الأشعر) •

وفي الجنوب : يشرف عليها مباشرة جبل الجرّف - بفتح الجيم - : جبل ضخّم تمر الطريق المعبّدة بسفحه من الشمال ، ويمر بطرفه الشرقي وادي هبت ، بينهما ضائع أجبل تضرب الى الحمرة ، وهبّت يفصل بين الجرّف وورقان ، ومنه ثنية هبت تذهب جنوباً فتعبط على وادي الجي •

من الشرق : جبل ورقان : جبل أشقر شامخ ذو شناخيب محدّدة الرؤوس ، وتقرب من هنا متون منه ، يسيل منه وادي سفا (ربما هو سفوان) ترى فوهته من الروحاء مستقبلاً مغيب الشمس ، ثم وادي السّدّارة نفسه ، فعرق الظبية - بين الشرق والشمال - أمغر منقاد يكنع في وادي السّدّارة من الشمال ، دون ذلك الطريق المعبّدة •

ومن الغرب : يضيق الوادي قبل وصوله الى المسيجيد ، حتى تصطك الجبال ، الطرف الأحمر من الشمال ، وجبال الجرف من الجنوب ، ووراء ذلك بلدة المسيجيد على سبعة أكّيال •

المسيجيد

وبعد مسيرة سبعة أكّيال من الروحاء وصلنا الى المسيجيد ، التي تبعد (٨١) كيلاً من المدينة ، والمسيجيد بلدة عامرة فيها امارّة تابعة لامارة بدر ، ومسجد تقام فيه الجمعة ، ومدرسة متوسطة وأخرى ابتدائية ، ومدرسة للبنات ، وسوق ومقام ونزل كثير •

وكانت تعرف بالمنصرف ، والمسيجد - والمفروض أن يقال
المسيجد - تصغير مسجد ، وهو مسجد ينسب الى رسول الله ﷺ ،
توجد آثاره في شعب يأتي البلدة من الشمال ، من الثمامي (جبل) •
وهي المرحلة الثانية على نظام القوافل لمن أتى من المدينة ، والعاشرة
لمن أتى من مكة عن طريق مستورة ، يخترقها طريق الاسفلت ، وبُعِيدَها
مما يلي مكة يفترق الطريق الى شعبتين :

واحدة تستمر غرباً على طول وادي الصفراء ، فتأخذ على النازية
ثم ربيع المستعجلة فعلى سَيْر ، ثم على الخيف والحمراء الى الواسطة
(الصفراء) الى بدر •

والأخرى تأخذ جنوباً على وتر ، ثم على أسفل الجي ، ثم محطة
الرويتة ، ثم البناية في الجي وتسمى بئر الغنم ، ثم الشفِيَّة (شرف
الأثابية) ثم العرج الى السقيا (١) •

وهذا هو طريق رسول الله ﷺ ، وهو درب الأنبياء •

وصف الأرض من المسجد

في الشمال : جبال خشيرمة ، والثمامي ، تشرف على البلدة ، وهي
جسم جبل ضخيم ذو رؤوس وفجوات ، يلي ذلك من الغرب وادي رحقان
الذي يأتي من بعيد من جبل الأشعر، وهو من أكبر روافد وادي الصفراء،
فيه قرى ومزارع معظمها بعل ، وأهله الأحامدة •

(١) انظر وصف هذا الطريق وصفاً دقيقاً في الرحلة الثالثة ، في
هذا الكتاب •

وفي الجنوب : جزء من سهل النازية ، يليه من الشرق جبال أعلاها
جبل الحوراء : جبله تراها بارزة بين الجباب ، لونها مشوب بحمرة ،
دونها متون ونعوف •

وفي الشرق : جبل الخضراء ، بعض بيوت البلد في سفحه ، يليه
من الشمال وادي السدارة بينه وبين جبل الثامي الذي يقابله من الشمال •
ومن الغرب : سهل النازية ، ومن ورائه جبال خرّص ، تراها
من هنا يليها من الجنوب ريع المستعجلة ، فيه محطة محروقات ومقاه ،
وفي الجنوب الغربي ترى جبل خلّص تراها بارزاً أسمر شامخاً ، يلتقي
بسفحه مما يلي النازية ، وادي الجي بمضيق الصفراء ، وسمعت هنا
أنه قد قرر سد الوادي في ذلك المضيق ، وهذا المشهور في كتب الجغرافية
بمضيق الصفراء ، وقد بدأ عمل السد فعلاً سنة ١٣٩٨ هـ •

بين المسيجيد والخيف

خرجنا من المسيجيد في سهل واسع نسبياً يسمى سهل النازية ،
تلتقي فيه وحوله أربعة أودية ، هي : وادي السدارة الذي أتينا معه ،
ووادي رحقان من الشمال كما تقدم ، ووادي الجي : وادٍ فحل يأخذ
مياهه من جبال قدس وورقان ، فيسمى هناك الحلقة ، أي حلق الوادي ،
وتأنيث مثل هذا عندهم مسموع ، ثم يدفع فوق مضيق الصفراء بقليل ،
ووادي خرص : يأتي من الشمال يوازي رحقان من الغرب ، ولكنه
أصغر منه ، فيصب فوق ريع المستعجلة عند بئر عباس •

ثم مررنا ببئر عباس فصعدنا ريع المستعجلة ، ثم هبطنا منه فكان
(سَيْر) يسارنا بجانب المضيق ، فكنا نرى رملته الصغيرة من على
الطريق ، وهو المكان الذي قسم عنده رسول الله ﷺ غنائم بدر كما
جاء ذلك في السير •

وعلى بعد (٢٥) كيلاً من المسجد وصلنا الخيف (خيف الحزامي،
وخيف البرعي ، وخيف بني سالم) كلها أسماء لقرية واحدة ، وهي قرية
ظلت عامرة تسقيها عين ثم انقطعت •

وبعد الخيف بقرب مررنا بعين أم ذيَّان : عين جارية عليها زراعة ،
وبها سوق يبين الطريق •

وبعدها بقليل جاءنا من اليمين وادي طاشا أو ألاب ، ذلك أنهما
يجتمعان فيصبان في وادي الصفراء معاً ، يأخذان مأوئهما من الفقرة
(الأشعر) ثم جاءنا من اليمين أيضاً وادي رحاب ، وعند الكيل (١٦)
من الخيف وصلنا الى الحمراء

الخيف

بقايا قرية تقدم وصفها ، فيها خرائب تدل على أنها كانت من أعمز
قرى هذا الوادي ، فلما انقطعت عينها هجرها أهلها ، الا قليلاً منها ،
وفيه مسجد ومدرسة ابتدائية وسوق كبير يوم الجمعة ، تبعد عن
المدينة (١٠٥) أكيال وعن المنصرف (٢٥) كيلاً ، وعن الحمراء
(١٦) كيلاً •

وصف الأرض من الخيف

تقع في مضيق من الوادي تشرف عليها الجبال الشاهقة ، حتى
لا تكاد ترى من بعض جهاتها سوى بضع مئات من الأمتار ، يركبها من
الجنوب جبل شَيْبَان : جبل ضخّم شاهق : أسمر يصل سفحه الى بعد
٥٠ متراً من البلدة ، ثم مجرى السيل يخف المدرسة الابتدائية من
الجنوب •

من الشرق : جبل (فقه) نفع من جبل شيبان أسود •

من الغرب : السَّيْف : عرف أسود منقاد من الجنوب الغربي الى الشمال ، حتى يكنع عند شريعة أم ذِيَّان •

ومن الشمال : يشرف عليها نعف جبل صغير أسود طيني التربة ، تنغشاه مبان حجرية خربة متراسة لاتدع بينها غير مسالك للمشاة ، تدل كثافتها على عمران هذه البلدة الغابر ، وانها كانت كثيفة السكان ، أما اليوم فسكانها لا يزيدون عن مائتي نسمة ، وبطرف الطريق مما يلي الوادي قلعة مجصصة مهدمة بقي جدارها الغربي ، فيه فتحات للرمي بالبنادق ، هذه القلعة بناها الشريف عبد المطلب بن غالب سنة ١٢٦٨ هـ عندما غزا ديار حرب فقتل وسبا منهم كثيراً (١) •

ويظهر من وراء ذلك الجبل الصغير الوَرَّيق : عالياً أسود ، والوادي ينعطف قبلهما من الشمال الى الجنوب ، واذا تجاوزها انعطف إلى الشمال ، فهي في مكان يكوّن الوادي عليه قوساً ، وهي في ظهرة بين ذلك • سكانها بنو سالم من حرب •

الحَمْرَاء

بلدة كانت عامرة كثيرة الزرع والنزل ، وكانت لها عين جارية الى سنة (١٣٧٠ هـ) فانقطع مأواها وتفرق أهلها فاصبحت خرائب ليس بها ساكن ، ثم قامت فيها زراعة على الآبار فظهر مأواها غزيراً ، الا أن أهلها لم يعودوا اليها ، ولن تعود كما كانت ، فقد توطن أهلها في مكة وجدة ، وأصبحت لهم منازل فخمة وتجارة عريضة ، وكان سكانها قبيلة الحوازم • وهي المرحلة التاسعة من مكة لمن جاء على طريق مستورة فغيقة ، وتبعد عن الواسطة (٢٦) كيلاً • في الشمال الشرقي ، وتبعد عن المدينة (١٢١) كيلاً •

(١) « نسب حرب » ص ١٤٢ •

وصف الأرض من الحمراء

في الشمال : المطاوسية : جبل أسود ذو رأس أزليج مسا يلي الغرب ، يليه من الشرق حَمَّة الهاشمي ، دون ذلك الهويشمي : عين مندثرة في لصق المطاوسية من الجنوب •

وفي الجنوب : ترى تلعتي العقدة وأم حراش ، ثم ينعطف الطريق مكثوناً قوساً من جنوبها يفصل بينهما درب السيل •

أما غرباً : فجبل الحمراء ، مستطيل استطالة أرض العين ، عليه بعض الخرائب التي كانت منازل أهل الحمراء ، ومنه ريع يطلعك غرباً على الصفياء حيث توجد مقبرة مشهورة ، فيها قبر يقال له : قبر أبي عبيدة ، يزعمون أنه أبو عبيدة عامر بن الجراح ، رضي الله عنه ، وهذا من أوهام العامة الذين يأخذون دائماً بتطابق الاسماء ، والثابت أن أبا عبيدة توفي في عمواس بفلسطين ، بمرض الطاعون ^(١) •

شرقاً : جبل العَمَّارِيَّة ، ممتداً محاذياً لأرض العين ، تسيل منه تلة العمارية ، دونه الطريق على استطالته ، ثم الوادي يحف بأرض العين ، تنياه عنها ضفائر وضعت لصدّه •

وبسفح هذا الجبل مما يلي العين كان سوق الحمراء والمحطة الرئيسية ، وبه كانت القلعة التي بناها الشريف عبد المطلب بن غالب لاختضاع أهل الحمراء ، وذلك سنة ١٢٦٨ هـ ، وقد اندثرت القلعة ، وانمحى أثر السوق •

وبعد الحمراء جاءنا من اليمين وادي الصفياء ، وفيه وادي العُش ،

(١) انظر « معجم معالم الحجاز » ، مادة الصفياء •

يأتيه من الغرب ، ومن هذا المكان يفترق الطريق الى : طريق ينبع ، يأخذ أسفل الصفياء ، ثم ريع ذفران (قلعة حرب) فواسط فبئر سعيد . وهذا هو الطريق الذي أخذ رسول الله ﷺ في غزاة بدر ، حين قرر عدم الدخول بين جبلي الصفياء اللذين أمامنا بقليل ، الا أنه لما هبط من ذفران عدل يساراً على الجبال الصفر - معروفة غرب الواسطة - ثم على الدببة ثم بدر .

وواسط هذا هو الذي يقول فيه كثيرون :
أجدوا فأمّا آل عزة غدوة فبانوا وأما واسط فمقيم

الواسطة

وعند الكيل (١٢٨) من المدينة المنورة دخلنا قرية الواسطة ، مقر الشيخ ابراهيم بن سلامة والد القاضي محمد بن ابراهيم صهرنا ومرافقنا ، وكنا قبيل دخولنا اياها مررنا بقرية الخرماء يسارنا على حذفة . والواسطة قرية عامرة ، تتكون من ثلاث عيون ، فيها مركز امارة تابعة لامارة بدر ، ومستوصف صحي ، ومركز شرطة ، ومدرسة متوسطة وأخرى ابتدائية ، ومسجد جامع ، ولها سوق كبير تقام يوم السبت ، أي بعد سوق الخيف يوم، تباع في هذا السوق جميع الحاجيات حتى الابل ، فإذا انتهى يوم السبت كاد ذلك السوق يقفر .

وسكانها قبائل من بني سالم من حرب ، مثل : الحوازم ، والعمور والحيطات ، وغيرهم .

وأكثر عمرانها اليوم خرائب ، لأن كثيراً من أهلها هجروها الى مكة والمدينة وغيرهما من المدن ، حيث فرص العمل ، والرفاهية ، وكانت تسمى الصفياء وبها سمي وادي الصفياء ، والعيون التي تتكون منها هي : الجديدة ، الصارئة ، والسفلى .

وصف الأرض من الصفراء

يخترق الوادي القرية بين الصارئة والجديد ، والسوق بطرفه من
جهة الجديد .

ومن الشمال : جبل يتفرع الجديد ، تحته بنيان كثير من اللبن
يخالطه قليل من الحديث بالطوب الاسمتي .

وفي الجنوب : يشرف على الصارئة جبل أسمر بينهما الطريق
العامة ، والمباني على سفح الجبل مما يلي الطريق ، وهذه جل مساكن
أهل الواسطة (الصفراء) ومعظمها خرائب من اللبن متراصة مما يدل
على ازدهار عمراني قديم ، وكثافة سكانية كانت فبادت^(١) .

ويظهر في الجنوب الشرقي جبل شيبان من وراء جبل أقل منه
ارتفاعاً .

أما في الشرق : فترى جبل سمرة ، جبل كبير يضرب الى الحمرة ،
يظل الصباح عين الخرماء ، والوادي يمر دونه .

ومن الغرب : يشرف على القرية جبل ذَيْرَان ، دونه شعب السراج
وذيران وسمنة هما جبلا الصفراء اللذين تجنَّبَ ﷺ ، المرور بينهما ،
ذلك في غزاة بدر عندما سأل عن اسميهما ف قيل له : هذا اسمه مخرى
وذلك مسلح .

(١) كان أهل هذه الديار أهل جمل ، وكان جل نقل الحاج بين مكة
والمدينة والى عرفة عليهم ، فأثروا وعمرؤا القرى ، ثم جاءت السيارة
فحلت محل الجمال وحل بحلولها فقر أهل هذه الديار فهجروها جماعات
ووجدانا . انظر « نسب حرب » .

فعدل طريقه الى ذفران فالأصافر فالدببة فبدر ، ونستدل من هذا
على أمرين •

أحدهما : أن الرسول ﷺ ، كان شديد الرغبة بمعرفة الديار ،
وقد فعل ذلك أيضاً في غزوة خيبر •

والثاني : كراهيته للاسماء القبيحة •

كنا قد صلينا المغرب في الحمراء قصرأ وجمعاً ، ووصلنا في الساعة
السابعة والنصف ، فنزلنا على الشيخ ابراهيم بن سلامة أمير أولاد أبا
الحياء من الحوازم ، وهو والد الشيخ محمد صهرنا ومرافقنا ، كان
منزله رجباً ذا جدر من اللبن عالية ، وبعد العشاء تحدثنا عن بعض
الأماكن هنا ، والشيخ هو دليلي في كثير من أماكن الصفراء ، وقد أكد
لي أن ذيران وسمنة جبلا الصفراء المار ذكرهما •

كنت متعباً فتمت مبكراً ، استعداداً لرحلة الغد •



اليوم الثالث عشر للرحلة
(الخميس ١٠/١٢/١٣٩٣ هـ)

من الواسطة الى غَيِّقَة

كان الجو جميلاً ، وأخذت السحب تتكاثف مع نسائم رقيقة
رخية وشيء من الرطوبة .

تحررنا في الساعة السابعة والنصف ، أنا والشيخ إبراهيم والد
الشيخ محمد والطالب علي ، والطالب عبد الحميد بن محمد بن إبراهيم .
خرجنا من الواسطة على الطريق المعبدة مسافة ثلاثة أكيال باتجاه
بدر فمررنا بقريتي : دُجَج ، والحسنية ، ثم فرق بنا طريق غَيِّقَة يساراً
جنوباً عدلاً ، على طول وادي الخائع الشامي قابلاً ، بين جبال سمر
لأنبات فيها ، والوادي شعب جرجوب لا زرع فيه ولا نبات إلا الحرمل
وشجر السمر ، وبعد عشرة أكيال وصلنا إلى بئر رائق بن عوادة المحمادي
— وديار المحاميد تبدأ من هذا المكان فتشرق إلى الجي — وبعد ثلاثة
أكيال من تلك البئر صعدنا ريع الخائع ، ثم انحدرنا في الخائع اليماني .

الخائع

شعبتان : أحدهما : تسمى الخائع الشامي ، والأخرى : تسمى
الخائع اليماني ، تتقاسمان الماء من ثنية ريع الخائع ، والأولى تصب في
وادي الصفراء (يليل قديماً) .

والثانية تصب في غيقة من الشمال .

وبهذا الوصف أوردهما ياقوت في « معجمه » .

وقال كئير عزّة :

عرفت الدار كالحلل البوالي بفيف الخائعين الى بعال

وبعد سبعة عشر كيلاً وصلنا الى بئر البتراء ، وكانت هضبة غيّقة على يسارنا من أشمخ الجبال ، وكانت تعرف باسم (فِعْرَى) وترى في الشمال منها جبل صُبْح (ثافل الأكبر) ووادي الملف - ملف غيقة - بينهما . وهنا أخذ وادي الخائع في الاتساع ، ونباته غابات من شجر السمر ، ولا زراعة فيه ، ثم سرنا بمسير الوادي جنوباً غربياً حتى صار جبل فعري خلفنا بيسار ، فتركنا الوادي ينحدر يميناً واعتدل الطريق جنوباً عدلاً ، فصار فعري خلفنا وثافل أمامنا .

بئار ابن حصاني

وعلى (٢٦) كيلاً من الواسطة (الصفراء) وصلنا الى بئار ابن حصاني قاعدة غيّقة ، التي كانت يوماً عامرة ، فوجدناها خراباً ياباً .

طفنا حول بئار ابن حصاني فتعديناها ، وعلى مسافة كيل واحد وجدنا بئراً زراعية عليها زراعة ضعيفة وماؤها قليل ، ليس في تلك الجهة زراعة غيرها ، وكان صاحب هذه المزرعة يدعى سعيد الصغير من بني صبح أهل هذه الديار ، فدعانا الى الشاي ، وعليه تحدثنا عن الأماكن المحيطة (١) ، وكان ذا معرفة تامة ببلاده .

وبئار ابن حصاني هذه كانت محطة عامرة على إحدى طرق الحج الى سنة (١٣٦٠ هـ) وهو العام الذي انقطع عنها فيه سير القوافل بحلول السيارة محل الجمل ، فقضي عليها ، فوجدناها ذات

(١) انظر بحثنا عن غيقة في الرحلة الثالثة من هذا الكتاب .

حوانيت عديدة مهدم بعضها ، وبعضها لازال صالحاً للاستعمال ، وبنائها كله بالحجر تتخللها أزقة ضيقة تفتح إليها أبواب تلك الحوانيت ، وفيها قصر مجصص مكون من ثلاثة أجنحة لازال قوياً صامداً ، وقد نزلت أبوابه ونوافذه ، قالوا هنا : أنه كان من أملاك الدولة كان يقيم فيه حاكم البلدة ومفرزة من الجند .

وبجانب البلدة ثلاث أبار الى جهة الغرب ، وواحدة الى الشرق ، وهي في وسط وادي غَيْقَة يفترق عنها تحميها أكيمات سود تقع منها الى الشرق ، وتبعد عن المدينة (١٥٤) كيلاً ، وهي منسوبة الى ابن حصاني ، وهو لقب شيوخ بني صبح من بني سالم من حرب ، وكان أحدهم حفر هذه الآبار فصارت محطة يقال لها غيقة ، الا أن الغالب نسبتها الى ابن حصاني .

ومنها يفترق الطريق الآتي من مستورة الى شعبتين : شعبة تقبل وادي غيقة فتأخذ في ملف غيقة ثم وادي التنظيم (العرج قديماً) ثم تأخذ الشَّيْبَة ، الى المسيجيد ، وأخرى تأخذ الخائع شمالاً ، الى الواسطة فالحمراء فالخيف فالمسيجيد .

وهي المرحلة الثامنة من مكة ، وكنا ذكرنا - في مستورة - إن الطريق يفترق هناك الى ثلاث شعب ، فهذه احداها .

وصف الأرض من بئار ابن حصاني

في الشمال : ترى - عن بعد - سلسلة الأجييل ، يمر دونها وادي القُصْبِيَّة ، وهو أسفل الخائع اليماني : وادٍ متسع يصب في غيقة بعد بئار ابن حصاني . دون ذلك كله - عن قرب - بروت صغيرة يفصل بينها وبين البلدة مشليق من الوادي .

في الجنوب : جبل ثافل الأكبر : جبل شامخ يضرب الى الحمرة ،

وهذا أوله هنا ثم يمتد في سلسلة مجنبا الى الأبواء ، ويسمى اليوم جبل صبح ، ومن أبرز القمم جبل المنصير : جبل شاهق ذو شخايب أمغر ، وهو أحد رؤوس ثافل ، يجاوره من الغرب مشعر ، وهو غير مشعر حزره ، وفي الجنوب الغربي يبدو جبل الغصاص : جبل حائز الى جهة الساحل يمر دونه وادي بيئة من الشرق الى الغرب ، دون ذلك بريثات سود تحد النظر تسمع منها المنادي ، ثم قيم الوادي ودلبح سيلة •

في الغرب : ترى جبل كراش الى الشمال الغربي ، دونه وادي القصيبة المتقدم ، وآخر الغرب من جهة الجنوب ترى جبل ظبية ، يمر سيل غيقة بينها وبين جبل الغصاص بعد أن يصب فيه وادي بينه ، ثم يسمى الوادي المعرج •

وفي الشرق : يعترض جبل صبح ، وترى المنصير من هنا مقنئفاً ، ثم فجوة بينه وبين جبل فعري (هضبة غيقة) هذه الفجوة هي امتداد لوادي غيقة ، وتسمى هناك وادي الملف ، وهو اسم قديم يعرف بملف غيقة •

من تاريخنا العائم

عدنا الى الواسطة فوجدنا الغداء جاهزاً ، وظهر أن الشيخ ابراهيم قد أوصى من يذبح ذبيحة فيعدها أثناء غيابنا ، فحضر بعض المدعوين من أهل البلد ، فتذاكرنا أسماء هذه الديار وتاريخها ، وقضايا المحاكم والنزاع في الأراضي ، وهو أمر اشتد في السنين الأخيرة لاقبال الناس على أحياء القفر •

ومما جاء ذكره : ان سيلاً اجتاح هذا الوادي سنة ١٣٣٠ هـ يسمونه (أبو نفوس) لكثرة ما أغرق من الناس •

وقيل : ان ارتفاعه وصل طيرة القمرية^(١) ، وقد أصبح بعض الناس
مقشياً في رؤوس النخل • وهو سيل يعرف في ديارنا — جهات خُلَيْص —
بسيل (أبو طبحة) لأنه كان يبطح الجبال ! وقد أراني والدي — يرحمه
الله — متناً عالياً من أحد الجبال فقال : ان البقر أصبح يتضاح هناك ،
فدلي بالجبال الى السهل •

ومن طرائف هذا السيل : ان رجلاً بالحمراء كان يعد نقوداً
ذهبية ، فداهمة السيل فوضعها في ذيله ليسرع بها قطعاً الوادي فأدركه
السيل فقذف به في رأس نعف من نعوف الجبال فأصبح هناك في شبه
غيوبة وهو ممسكاً تلك النقود ضاماً ثوبه عليها !

ومنها : ان جارية — أمة — اجترفها السيل من قرب ملل غرب
المدينة فتمسكت في فرع شجرة فظلت سابحة حتى رماها قرب مدينة
الوجه فالتقطها من باعها على رجل من أهل المدينة ، فلما عرفها سيدها
قاضى مالها الأخير ، فشهدت لسيدها السابق ، وذكرت قصتها •



(١) اي : أعلى مدى تطيره في السماء •

اليوم الرابع عشر للرحلة

(١١ صفر ١٣٩٣ هـ)

العودة الى المدينة

عدنا الى المدينة على الطريق التي أتينا عليها ، فوصلنا اليها في الساعة العاشرة صباحاً ، وأدينا صلاة الجمعة في المسجد النبوي الشريف ، وكان مزدحماً ازدحاماً شديداً ، فصلت صفوف كثيرة خارج أبواب المسجد .

وقد يقتل الانسان بعض التطب

كان طبيب منطقة مكة العسكرية قد كّون لي صيدلية اسعاف فيها كثير من الأقراص العلاجية ، عن كل ما يمكن أن يحدث للمسافر ، كالصداع ، والمغص ، وللوقاية ضد الملاريا .

وفي هذا اليوم بلعت حبتين دفعة واحدة من أقراص ضد الملاريا ، وآخرين من أقراص الفحم ، وقرص من فيتامين (ب ١) ، وبعد قليل شعرت بصداع أليم ، فابتلعت على أثره قرص نوفالجين ، وبعد المغرب قرصاً آخر ، ولم أذهب الى المسجد لصلاتي العصر والمغرب .



اليوم الخامس عشر للرحلة

(السبت ١٢ صفر ١٣٩٣ هـ)

مواصلة الرحلة في طريق العودة الى مكة

في الساعة السابعة والنصف صباحاً ودعت الأهل هنا ، وأوصلت بعض أبناء العائلة الى المدارس ، ثم خرجت من المدينة على طريق مكة .

سويقة والسيالة وصخيرات اليمام

سرت (٤١) كيلاً على الطريق المعبدة فصرت بين ملل والفريش ، ففر يميناً طريق الجفر الذي سبق ذكره ، فأخذته هابطاً وادي الضنيكة (مضيق الفريش عند عبثود) ، وبعد أقل من كيل واحد فرق طريق حزة يساراً فسلكته متجهاً غرباً عدلاً ، ومن هنا بدت لي شعوف جبال الفقارة من وراء سلاسل أقل منها ارتفاعاً ، ثم سارت الطريق في صحاصيح وسيوح ، وبعد خمسة أكيال هبطت أعلى وادي الرمث فقبله الطريق منحرفاً جنوباً ، وفيه بئر سقي على ٨ أكيال من الاسفلت ، ثم عاد غرباً فهبط وادي حزة فأخذه قابلاً قليلاً فظهرت لي ربوة ليست بالعالية ، فيها بئر واسعة الفوهة ليس فيها ماء ، ويظهر أن تلك الربوة مزرعة لتلك البئر ، وتبعد عشرة أكيال عن الطريق المعبدة ، تكتنفها الجبال السود ، وتجاورها من الشمال أضلع حمر ، وتعرف ببئر الرتيعي ، رجل من الرتعة من حرب .

سَوِيقَة

قبل الطريق وادي حرزة ، وفيه آثار تدل على أنه كان زراعياً مسكوناً ، أما الآن فلا يشرب منه الظمآن ، ثم بدأ الوادي يتسع حتى صار رحبة بين هضاب مغر ، وهنا وجدت امرأة ترعى غنماً وتهش عليها من أشجار السمر ، فسألتها عن سويقة ، فقالت عند البئر التي أسفل الوادي أو دونها بقليل ، وأردفت قائلة : (أنت يوم افك تنشد عن سويقة تبي تظهرها ؟) فقلت لها : تظهر اذا أراد الله • فقالت (جزاك الله خير) •

وهذا الحديث مع هذه المرأة يدل على أن أهل هذه الديار يعلمون أن سويقة كانت عيناً جارية بدليل قولها : (تبي تظهرها) والظهور عندهم للعيون فقط •

عدت حادراً الوادي ، وقبل البئر السابق ذكرها رأيت الى يميني آثار في نفحة من الأرض لا يشك من رآها أنها كانت تسقى بعين ، هذا اذا كان ذا خبرة في هذه الديار ، فجنبتي إليها فاذا أنا أمام بركة كبيرة واسعة اندفن معظمها • فنزلت فعاينتها فاذا هي بقايا ذلك المجد المؤثّل وذلك الماضي المشرق ولا غير •

سَوِيقَة اليوم

الأرض التي كانت تزرع على جانب وادي حرزة الأيمن ، وتبلغ قرابة (٧٠٠) متراً طولاً ، وعرضاً يتراوح بين مائة متر الى ما يزيد عن مائتين ، ويشمل اسم سويقة اليوم هذا الجزء من الوادي ، ويطلق عليها بعض أهل الديار سويقة الأشراف •

ولهذه الأرض بركة كبيرة يبلغ ضلعها (١٩٥٠) متراً أو قرابة العشرين متراً ، والباقي من ارتفاعها أقصاه (١٤٠) سم ، ثم آثار مجاري

مياه تتخلل الأرض لم تبق منها الا علائم باهتة ، وهناك آثار تظهر على شكل رجوم ، يبدو أنها كانت منازل وقصوراً ، لم يبق منها الا أكوام حجارة ، وبعض خطوط حجرية داخل الأرض الزراعية تدل على تقاطيع بالضفائر ، أي : حوائط •

ولا تزال أرضها صالحة للزراعة •

وصف الأرض من سويفه

يأتيها وادي حزره من الغرب ، ضيقاً فينخرج عند شريعة العين ، ثم يتسع حيث الأرض الزراعية ، ثم يتجاوزها الى مطلع الشمس ، ثم يعرج شمالاً شرقياً فشمالاً عدلاً ، كل ذلك على مرأى من العين ، وتكتنفها ثلاثة أجبل :

أحدها : من الغرب الى الجنوب ، والأرض الزراعية بلصقه ، وفيه بعض الآثار من بقايا القصور المهذمة ، والثاني : من الشمال العدل بينه وبين البركة والأرض الزراعية مجرى السيل ، وفيه من الشرق آثار قصور كثيرة يظهر أنها كانت القرية الرئيسية ، والثالث : من الشرق ، ممتداً من الجنوب الى الشمال ، وبلصقه حجارة كبيرة تزين أنهيال التربة عن الزراعة ، وتأتيها من الجنوب تلعة صغيرة فيها ريع بين الجبلين الأول والثالث يأخذه طريق الى وادي الرمث ، ثم الى السيالة يسمى (درب الخوى) ، والخوى مكان يقرن مع هذه المعالم قديماً •

وجبال سويفه تضرب الى الخضرة ، حولها شجر طلع كبار مما يدل على رواء الأرض ، وهي تبعد عن المدينة بـ (٥٢) كيلاً ، منها (٤١) كيلاً معبداً ، والباقي ترابي ، والفريش عنها في الجنوب مع ميل الى الشرق على (١٢) كيلاً ، والسيالة جنوباً من سويفه على ستة أكيال •

خُرِجت من عند البركة فتوجهت الى تلك الآثار الواقعة في الشمال الشرقي ، فصعدت سفح الجبل المشرف على سوقية من الشمال ، فوجدت عدة أكوام من الحجر تدل على بقايا قصور ، وكان أضخمها قصر أقيم على برث من الجبل بحيث يكشف كل الوادي حول المزرعة •
ومن هذا المكان ظهر لي رأس ورقان جنوباً عدلاً عليه العسام •

سوقية في التاريخ

كانت سوقية قرية عامرة لبني الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما ، وكان أهلها قد خرجوا على الخلافة العباسية فقتلوا وعضد نخلها وغورت عينها مراراً ، وقد اشتهرت في كتب التاريخ بأنها بلدة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم •

كانت الدعوة في عهد بني أمية لآل البيت عامة دون تخصيص ، ثم اجتمع بنو هاشم فانتخبوا محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكان ممن بايعه أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي فيما بعد ، فلما نجحت ثورة بني العباس واستولى أبو العباس الهاشمي على الخلافة بايع بنو علي الا محمد بن عبد الله وأخاه ابراهيم ، ولما تولى أبو جعفر المنصور لم يبايعاه ، فجد في طلبهما وصار يعزل كل وال للمدينة لا يستطيع القبض عليهما ، ثم حبس أباهما عبد الله بن الحسن ، رضي الله عنه ، ثم ولي على المدينة رياح بن عثمان المُرِّي - وبنو مرة لهم سوابق سوء في المدينة - فشدد على آل علي وضيق عليهم •

وفي سنة ١٤٥ للهجرة ظهر محمد بن الحسن في المدينة وأطلق السجناء وخطب أهلها فمالوا إليه وبايعوه ، وجرت بينه وبين المنصور مكاتبات ورسائل •

ثم ندب اليه المنصور عيسى بن موسى ، وكان أبو العباس جعله ولي عهد بعد المنصور ، فسار بالجيش الى فيد - قرب حائل - فلما سمع أهل المدينة الخبر تفرق بعضهم عن محمد وسارع بعضهم الي عيسى ، فخذق محمد حول المدينة ، ولكن الجيش داهمه فقاتل قتلا شديداً حتى قتل في الرابع عشر من رمضان من السنة المذكورة ، وكانت مدته سبعة عشر يوماً ^(١) . ثم تقدم الجيش الى سويقة معقل بني الحسن فدمرها تدميراً .

قال البكري في « معجمه » ^(٢) : باسناد عن اسماعيل ، قال : لقيني موسى بن عبد الله ، فقال : هلّم حتى أريك ما صنّع بنا بسويقة ، فانطلقت معه ، فاذا بنخلها قد عضد من آخره ، ومصانعها ^(٣) قد خرّبت ، فخنقتني العبرة . فقال : إليك ، فنحن والله كما قال دريد بن الصّمّة :
تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى مكان البكا لكن جبلت على الصبر
وقال سعيد بن عقبة (الجهني) :

نزلت ببطحاء سويقة ، فاستوحشت لخرابها ، الى أن خرجت ضبّع
من دار عبد الله بن الحسن ، فقلت :

اني مررت على دار فاحزني لما مررت عليها منظر الدار
وحشاً خراباً كأن لم تغن عامرة بخير أهل لمغتّر وزوّار
من للأرامل والأيتام يجمعهم شتى الموارد من جلس وأغوار ^(٤)

(١) راجع « تاريخ الدولة العباسية » ص ٦٠ وما بعدها .

(٢) مادة سويقة .

(٣) المصانع : القصور والقلاع .

(٤) في « بلاد ينبع » ص ١٩٠ ، وأكوار ، فاخترت هذا اللفظ لأن الغور ضد الجلس ، فهو يقول : من أهل الجلس وأهل الغور ، ولا وجه للأكوار هنا .

مأوى الغريب وساري الليل معتسفاً
بها مساكن كان الضيف يألفها
فيها مرابط أفراس ، ومعتلج
فيها معالم الا انها درست
فيها معان وآيات ومختلف
ثم انجلت، وهي قد بادت معالمها
وخوايات كساها الدهر أغشية
جار الزمان عليها فهي خاشعة
فعاظت العين لما عيل مجرعها
ودارت الأرض بي حتى اعتصمت بها
حتى اذا طال يوم ما يفارقني
وحان مني انصرف القلب وانكشفت
لا يبعد الله قوماً كان يجمعهم
الباذلين إذا ما الثقل أعدمهم
والرافعين لساري الليل نارهم
والدافعين عن المحتاج خلته
والقائلين له أهلاً بمرحبة
والضامين القري في كل راكدة
والمدركين حلوماً غير عازبة
والعاطفين على المولى حلومهم
والعائدين إذا ضنت بدرتها

وعصمة الضيف والمساكين والجار
عند التسنم من نكباء مهمار
وحامل أخريات الليل من مار
من واردين ، ونزال وصدار
في سالف الدهر، من باد وحضار
ألقي المراسي فيها وابل سار
من البلى بعد سكان وعمار
طورين، من رائح يسري، وأمطار
فيض القري جفت عنه يد القاري
واستك سمعي بعرفان وانكار
ما أوجع القلب من حزن وتذكار
عمياء قلب شره النوم مهجار
مندى سويقة أخياراً لأخيار
جادت أكفهم بالجود مدرار
حتى يؤم على ضوء من النار
حتى يحوز الغنى من بعد اقتار
لج في انفساح ورحب أيها الساري
فيها سديف شظايا تامك واري^(١)
والناهضين بجذ غير معثار
حتى يفيء بحلم بعد إدبار
أمّ الفصيل فلم تعطف بادبار

(١) التامك : السنام العظيم المكتنز بالشحم .

والناشرين إذا ماشتوة ، جمدت
 والمائنين غداة الروع جارهم
 والرافعين صدور العيس لاعبة
 على حراجيج أظلال معوذة
 فليتني قبل ماأمسي لحزنكم
 لثقت علي شفاه القبر في حدث
 ولم أر العيش في الدنيا ولم يرني
 ولم أقض عبرات من مواكلة
 فلم يحس بنار قدر أيسار
 بكل أجرد، أو جرداء مخطار
 تبغى الإله بحجاج وعمار
 ترمي الفجاج بركبان وأكوار
 وكل شيء ببيقات ومقدار
 عرى المنون، فرادي تحت أحجار
 ولم يجثني بأنياب وأظفار
 على كريم، بسفح الواكف الجاري^(١)

ويقول البكري : هي على مقربة من المدينة ، وبها كانت منازل بني
 حسن بن حسن بن علي رضي الله عنهم . وحدث يموت بن المزرع ،
 عن ابن الملاح ، عن أبيه ، عن اسماعيل بن جعفر بن ابراهيم ، عن
 موسى بن عبد الله بن الحسن ، قال : خرجت من منازلنا بسويقة جنح
 ليل ، وذلك قبل خروج محمد أخي ، فاذا بنسوة توهمت أنهن خرجن
 من دارنا ، فأدركنني الغيرة ، فأتبعتهن لأظفر حيث يردن ، حتى اذا كنَّ
 بطرف الجمير ، التفتت احداهن وهي تقول :

سويقة بعد ساكنها يياب لقد أمست أجد بها الخراب
 فقلت لهن : أمن الانس أتنّ فلم يراجعني . فخرج محمد بعد
 هذا ، فقتل وخربت ديارنا .

وقال ياقوت : موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن أبي طالب ،
 رضي الله عنه ، وكان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، قد خرج (فيها) على

(١) « معجم ما استعجم » (سويقة) ، و (بلاد ينبع) ص ١٩٠ وما بعدها .

المتوكل - من ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ - فأنفذ إليه أبي الساج في جيش ضخم
فظفر به وبجماعة من أهل بيته فأخذهم وقتل بعضهم وأخرب سويقة ،
وعقر بها نخلاً كثيراً وخرّب منازلهم وحمل محمد بن صالح الى سامراء •
ثم يقول ياقوت : هي من جملة صدقات علي •

وهذا وهم حدث من تطابق الاسماء ، فسويقة علي - كرم الله
وجهه - في ينبع ، لازالت معروفة •

وقال نَصِيب :

وقد كان في أيامنا بسويقة وليلاتنا بالجزع ذي الطلح مذهب
إذ العيش لم يمرر علينا ولم يحل بنا بعد حين ورده المتقلب
ومما تقدم تعرف أن سويقة استعادت مجدها بعد محمد بن عبد الله
حيث دمرت سنة ١٤٥ هـ ، ثم دمرت في عهد المتوكل في القرن الثالث •

السيالة

خرجت من سويقة عائداً على طريقي التي أتيت عليها ، فافترق الى
اليمن طريق الخثومي ، فسرت عليه فهبط وادي الشرفة (شرف السيالة)
فقبلته فاذا أنا أمام آثار سوق فيه بئران كبيران دائرياً الفهوتين •

وكنت سألت كثيراً عن السيالة فلم أجد من يعرفها ، فلما سألت
شخصاً هناك ، قال : السيالة ، هذه التلعة أما المحطة فهي بئر مرزوق •

فسألت عن مرزوق ، فقال : رجل من حرب •

فعرفت أن السيالة قد حرفت الى هذا الاسم •

والسيالة احدى محطات رسول الله ، ﷺ ، وظلت تمر بها قوافل
الحجاج رداً كبيراً من الزمن ، حتى سيطرت قبيلة حرب على هذه الديار ،

وسيطرت بالتالي على وسائل النقل على هذا الطريق ، فصارت الطرق تفترق حسب رغبة شيوخ القبائل ، فافترق الطريق من المدينة الى الروحاء الى شعبتين : احدهما الطريق السلطاني القديم ، تأخذ من تربان على فرش ملل ثم خشم عبود فوادي الغميس فصُخيرات اليَمَام ، فالى السِيالة ثم عرق الظبية ، والأخرى تأخذ يساراً الى بئر درويش في وادي الفريش ، وهي المحطة التي سميت فيما بعد بالفريش ، ثم من الفريش على ريع عار فوادي عار ، فتجتمع مع الطريق السابقة عند التقاء وادي عار بوادي رَغِيبة . ورغم افتراقهما فان المسافة بينهما لا تزيد على ستة أكيال .

ولعل للبحث عن الماء وشدة الازدحام دوراً في افتراق الطريقين . وعندما جاء عهد السيارات شقت الطريق المارة بالفريش ، فهجرت السِيالة هجراً تاماً ، فلم يعد أحد يذكرها ، وكانت قد سميت بئار الصفاء لأن حفرها في صخر جله ، ثم سميت بئر مرزوق كما تقدم . وتبعد السِيالة عن المدينة (٤٧) كيلاً تقريباً في الجنوب الغربي على الطريق السلطاني القديم ، وهو المسمى (درب الأنبياء) .

وصف الأرض من السِيالة

تأتيها من الشرق تلعة تسمى السِيالة الغربية ، وقد يقال لها الشامية ، ذلك أن ثلاث تلاع تأخذ الماء من جبل واحد تسمى كل منها سِيالة : تسيل الأولى الى الفريش شرقاً ، فتسمى الشرقية ، والثانية تسيل في وادي عار ، فتسمى رَغِيبة ، والثالثة التي فيها محطة السِيالة تصب في غميس الحمام . ويأتي البلدة من الجنوب مفرح (ثنية) تراه منها جنوباً ينقسم مأوها الى البلدة في الشمال ، والى رَغِيبة في الجنوب ، وهذا كان يسمى شرف السِيالة ، ويسمى اليوم الشرفة .

ومنها ترى صخورات اليمام على بعد ثلاثة أكيال شرقاً الى الشمال،
يصلهما ببعض الطريق السلطاني • ويطلّ لها من الغرب حيد ليس عالياً ،
منقاد من الشمال الى الجنوب ، والبلدة بلسقه الشرقي •

فيها بئران كبيران دائريا المحيط فيهما الماء، وتتصل بهما من الجنوب
آثار سوق تمتد على ضفتي الوادي ما يقرب من مسافة كيل ، آخرها من
الجنوب بقايا قصر مجصص ، قال لي شيخ هناك : انه للدولة • والجادة
المارة بها وبصخورات اليمام لازالت واضحة كل الوضوح •

والى جنوبها الغربي مكان يسمى الشهداء ، وهو مقبرة في وادي
رغية ، لعلها ذات علاقة بما جرى في سوقية التي تبعد من هنا ستة
أكيال (١) •

البحث عن صخورات اليمام

كان لعثوري على السيالة فرحة كبيرة ملأت نفسي غبطة وسروراً
وانستني الكثير من المتاعب السابقة ، وبهذه الفرحة دخل الى نفسي أمل
العثور على صخورات اليمام •

خرجت من السيالة فانحدر الطريق في وادي رغية متجهاً جنوباً ،
فوجدت شيخاً يضع على عينه نظارة طبية ، فسألته ، ومنه حصلت على
معظم ما قدمت عن السيالة ، وبعد قليل عارضت الطريق المعبدة فعدت
عليها باتجاه المدينة ، فصعدت ريع عار فوجدت مقهى فجلست فيه وشربت
الشاي ، وهناك تقدم الي رجل فرحب بي متوهماً انني أحدهم ، وعرفت
من يعني فاذا هو من أصدقائي ، ورغم أنني لست بغيته فقد دفع عني ثمن
الشاي ، وأرشدني الى صخورات اليمام •

(١) انظر مخططة في الرحلة الرابعة •

تحركت من المقهى في الساعة الحادية عشر والنصف صباحاً ، فسرت على الطريق المعبدة أمتاراً مشرقاً ففرق درب ترابي الى اليسار متجهاً شمالاً عدلاً ، جاعلاً بلدة الفريش يميني .

وبعد كيل هبطت وادي الميالة الشرقية : تلة كبيرة تقدم الحديث عنها آنفاً .

وبعد ثلاثة أكيال من ريع عار وصلت الى سفح ضلع يسمى (التثيس) تصغير تيس ، جبل أسمر ذو رأسين أحدهما أطول من الآخر وأكبر ، يقع غرب بلدة الفريش بينهما جبل فيند الذي يظلل الفريش عشياً .

ومنه رأيت جبل عبثود شمالاً شرقياً ، ونظرت السيارات المارة في وادي الفريش على الطريق العامة ، ثم صعدت ريعاً يدع التيس على يساره ، ولم أجد طريقاً مطروقاً للسيارات ، فاعتبطت طريقاً كان وعراً ، فكانت الحذانيف تبرز حتى ظننت عجالات السيارة تنزق^(١) .

وبعد ثمانية أكيال وصلت الى ضليع صغير أسود ضننته الصخور على الوصف ، يمر الطريق السلطاني تحته من الجنوب ، فوجدت ثلاث بنات يرعين غنماً ، قد تغشت ذلك الضليع ، فتوقفت لأسألهن ، وما أن رأيتني أترجل عن السيارة حتى فررن كالغزلان فتشعبطن تلك الصخور السود التي تشكل قمة الجبل^(٢) .

(١) الحذانيف : جمع حذوف ، وهي الحجارة الحادة الأطراف .

(٢) تشعبط ، وتفرشى ، وتغريش : صعد صعوداً حاداً بسرعة . ولم أر من ذكرها من أهل المعاجم التي بين يدي ، ولكنها - لاشك - فصيحة ، ليست للعامة ولا للعجمة فيها صبغة ، وقد نهت مراراً أن لفتنا ليست كلها مدونة في المعاجم .

كان هذا أمراً سيئاً بالنسبة لي ، فالأرض خلاء بياب الاء منهم ،
وها من قد تحرزن بهذا الضلع ، ولو تابعتن كان تصرفي أسوأ نتيجة •

حينئذ اتكأت على مقدمة السيارة وبدأت أخمس وأسدس ، وكن
هن على أعلى صوت للمنادي يراقبني مراقبة الحذر المرتاب! وأخيراً ناديت
عليهن بأعلى صوت واعلمتهن بأنه لا قصد لي سوى معرفة مكان الصخيرات
فقلت احدهن : (الصخيرات أرعها ، يعلمك عنها الرجال هناك) •

واشارت الى الصخيرات التي هن عليها • فقلت : أين الرجل ؟
قالت : (انظريه في هذاك الشير) •

الصخيرات

ضليع أسود رأسه صخور سود مناصيب بشكل عمودي ، يمر
طريق الحاج القديم بصلقه من الجنوب تبعد عن السيالة ثلاثة أكيال شرقاً
شمالاً ، وعن محطة الفريش سبعة أكيال •

وصف الأرض من الصخيرات

تعرف اليوم باسم الصخيرات مطلقاً •

ترى منها السيارات السائرة على الطريق العامة بين الفريش وملل ،
مطلع شمس ، دون ذلك وادي الفريش غابة من شجر السمر ممتدة من
أقصى اليمين الى أقصى الشمال ، وفي الجنوب : ترى جبل التيس —
تصغير تيس — بينك وبينه وادي أبي النفوس ، وترى من الغرب من
ذلك أول وادي السيالة الغربية ، ويسمى وادي الشرفة ، لريع في رأسه
يسمى الشرفة ، كان يعرف بشرف السيالة ، فاصل بين الغور والجلس ،
ذلك أن كل ما سال من شرف السيالة وريع عار وما والاهما ينقسم سيله
الى : شمالاً في وادي ملل ثم الى إضم ، وهذا جلس ، وجنوباً الى وادي

السدارة فالصفراء ، وهذا غور • وإذا مددت نظرك وراء السيادة رأيت
ذات الجيآ من أشمخ جبال تلك الناحية ، بها ريع العويقل ، وتتصل
غرباً بجبال الفقارة ثم الأشعر ، وتعرف ذات الجيآ اليوم بالشرآاء •

وفي العويقل يقول ابن أذينة :

ليت العويقل سدته بجمتها ذات الجيآ عليه ردم ماجوج
فيستريح ذوو الحاجات من غلظٍ ويسلكوا السهل مشى كل متوج

فأجابه الخارجي ، وكان قومه سكان هذه الناحية :

خلوا الطريق إليه إن زائرهم والساكنين به الشمّ الأبالج
ما زال منذ أزال الله موطنه ومنذ أذن أن البيت محجوج
يهدى له الوفد وفد الله مطربة كأنها شطب بالقد منسوج
وكيف يوثقه سداً وهم لهم لبيك لبيك تكبير وتشجيع

ومن هذا المكان - الصخيرات - ترى جبل عبثود شمالاً شرقياً
حيث تجتمع أودية : الفريش وتربان بملل ، ثم يتكون فرش ملل .
المشهور بمعاله التاريخية •

وتبعد صخيرات اليمام عن المدينة قرابة (٤٤) كيلاً على الجادة
القديمة ، وبينها وبين السيادة ثلاثة أكيال كما قدمنا ، هذه جهة المدينة ،
والسيالة جهة الروحاء •

السيالة والصخيرات في التاريخ

قال ياقوت : السيادة بتخفيف ثانية ، أرض يطؤها طريق الحاج ،
قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة ، قال ابن الكلبي : مر
تبّع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسمّاها السيادة •
وقال البكري : قرية جامعة ، بينها وبين المدينة تسعة وعشرون

ميلاً ، وهي على الطريق منها الى مكة ، وبين السيادة الى ملل سبعة أميال ، وملل أدنى الى المدينة ، وقبل أن تصل الى السيادة بميلين مسجد لرسول الله ، ﷺ .

وروى سالم بن الغيب مولى ابن مطيع ، قال : كنت مع أبي هريرة فلما أشرف على السيادة قال : والذي نفسي بيده انها لمنازل أهل الأردن .

والسيادة لولد الحسن بن علي (رضي الله عنهما) ومنها الى الروحاء اثنا عشر ميلاً ، وحدث الحسين بن علي بن داود الجعدي ، قال : كنت مع عمي الحسين بن داود بن أبي الكرام بالسيادة ، وكان شديداً بربع الحجارة ^(١) ، فربعنا حجراً ، فاذا فيه :
يا لك دهرأ خلا بنا عجه حوّل رأساً من حمقه ذنبه

واذا تحته : وكتب أبو خردلة الجني لسنة تسع .

صخورات اليمام : قال ياقوت : تصغير جمع صخرة ، وهي صخورات الشام ، بالثاء المثلثة المضمومة ، والشام بنت ضعيف له خوص أو شبه بالخوص ، وربما حشيت به الوسائد : وهو منزل لرسول الله ، ﷺ ، الى بدر ، وهو بين السيادة وفرش ملل .

وقال ابن اسحاق ، في غزاة ذات العشيرة : فسلك على نقب بني دينار ، ثم على فيفا الخبر ، فنزل تحت شجرة يبطحاء ابن أزهر ، يقال لها : ذات الساق ، فصلى عندها ، فثم مسجده ، وصنع له عندها طعام ، فأكل منه ، وأكل الناس معه ، فموضع أثافي البرمة معلوم هناك ، واستقي من ماء به ، يقال له المشترب ، ثم ارتحل فترك الخلائق بيسار ، وسلك شعبة يقال لها : شعبة بني عبد الله ، وذلك اسمها الى اليوم ، ثم

(١) ربع الحجارة : تمثيلها للبناء . وهذه المسافات التي ذكرها البكري مضبوطة تماماً .

صب الى اليسار حتى هبط ليليل^(١) ، فنزل بمجتمعه ومجتمع الضبوعة ، واستقى من بئر الضبوعة ، ثم سلك الفرش : فرش ملل ، حتى لقي الطريق بصخيرات اليمامة^(٢) .

وفي غزاة بدر ، قال ابن إسحاق : فسلك طريقه من المدينة الى مكة ، على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذي الحليفة^(٣) ، ثم على أولات الجيش . قال ابن هشام : ذات الجيش .

ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، ثم غميس الحمام من مريين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السيلة ، ثم على فجج الروحاء^(٤) .

قال صاحب الرحلة : والصواب عندي ما قال ابن اسحاق : (صخيرات اليمام) لأن ابن اسحاق أعرف بالمدينة ، ولأن أرضها لاتنتب الثمام ، ولاكنها مغان للقمري ، واليمام والقمري نوعان من الحمام ، وواديها يدعى غميس الحمام .

الفريش مرة أخرى

بعد أن هبطت من صخيرات اليمام أخذت شرقاً في وادي غميس الحمام بين طلح دوح كبار ، فعطفت الى الجنوب فوجدت رجلاً من الرحلة سكان هذه الأرض ، فشرح لي كل ما أريد ، ولفت نظري قوله : (أم الرين) فلما حددها لي عرفت أنه يقصد تلك البلدة التي ظلت عامرة ، وجاء اسمها بصيغ كثيرة . انظرها فيما يتبع^(٥) .

(١) الصواب : ملل .

(٢) سيرة ابن هشام ص ٥٩٨ ، ٥٩٩ .

(٣) وهي الطريق المطروقة اليوم .

(٤) سيرة ابن هشام ص ٦١٣ .

(٥) انظرها في الرحلة الرابعة .

عدت الى الفريش وكانت الساعة الواحدة ، ولم يؤذن أحد في الفريش رغم وجود مسجدين ، فتوجهت الى أحد المسجدين فوجدته مغلقاً ، ثم الى الآخر فوجدت شيخاً يصلي منفرداً ، فصليت وخرجت الى مقهى عرفت من صاحبه أن الناس قد تفرقوا عن البلد ، وأن المسجد الحكومي هنا مغلق ، ذلك أن الطريق جنّب عن البلدة — كما أسلفنا — فظهرت المقاهي والحوانيت مهجورة •

بئر درويش

وفي الفريش بئر درويش ، تقدمت الاشارة اليها ، وكانت هذه المحطة تسمى بها الى عهد الثورة العربية الكبرى ، حيث كانت احدى قواعدها ، ثم أخذت اسمها من الوادي ، وهي بئر واسعة الفوهة ، مطلّعة عن السيل ، دائرية المحيط ، غزيرة الجم ، تقع في بحر الوادي على طرف البنيان من مطلع الشمس •

الروحاء مرة ثانية

خرجت من الفريش على طريق الاسفلت باتجاه وادي الصفراء ، فنزلت الروحاء على بعد ٢٥ كيلاً من الفريش، وهنا كان الاعياء قد بلغ مني مبلغاً لم أعرفه قبلاً ، فيدي لم تعد قادرة على مسك القلم ورجلي أخذت تعجز عن الدعس على موقد المحرك، وبدا على كتابتي الاختصار ، وبدأت أفكر جدياً في انهاء الرحلة ، ارتيمت على سرير في المقهى ، وما أسرع ما أخذني نوم عميق قطعة علي المقهوي ينهني الى الشاي الذي كان أبغض طعام عندي في هذه الآونة ، فأخرجت الصيدلية من درج السيارة وتناولت قرصاً من النوفالجين ، وتمددت مرة أخرى •

وبعد قليل شعرت بشيء من الاتعاش ، فشرعت أدون ملاحظات اليوم ، وتحدثت الى شيخ عن الأماكن المحيطة بالروحاء •

الى المنصرف والصفراء

في الساعة الخامسة تحركت من الروحاء الى المسيجيد (المنصرف قديماً) على سبعة أكيال من هنا ، فوجدت نقرأ من قبيلة الأحامدة ، فأرشدوني الى موضع المسيجيد ، وهو المسجد المنسوب الى رسول الله ﷺ ، في هذه الناحية فاذا هو في شعب يأتي البلد من الشمال من جبل الشامي ، والمسيجيد للحجلة من بني سالم ، وتسكنه قبيلة الأحامدة لقرب ديارهم •

ثم واصلت سيري على الطريق التي سبق وصفها في اليوم الثاني عشر للرحلة ، فوصلت الى الخيف قبيل غروب الشمس ، وفيها وجدت مجموعة من الرجال يتفيثون مبنى مستوصف الخيف ، وفيهم شيخ من أهل القرية ، حصلت منه على معلومات عن القرية وما حولها •

ثم واصلت سيري فمررت بالواسطة ، ثم صليت المغرب في العالية : قرية على عين بعد الواسطة مما يلي بدرأ •

بدر

بلدة عامرة ، ذات تأريخ اسلامي مشرق ، اقترن بالنصر المبين الذي أكرم الله به نبيه ﷺ ، وهو أول نصر في الاسلام ، حين التقت فئة المسلمين المؤمنة القليلة بفئة المشركين الكافرة الكثيرة، فنصر الله الفئة المؤمنة ، ودحر الكافرة وجعل كيدها في تضليل •

وكانت غزوة بدر المشهورة في السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة •

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة ، وعدد المشركين ألف رجل ، وفي ذلك خلاف^(١) .

وهي اليوم من أعرى القرى بين مكة والمدينة ، تبعد عن المدينة (١٥٥) كيلاً ، وعن مكة (٣٠١) كيل ، وعن جدة (٢٧١) كيلاً ، و (١١٦) عن رابغ ، و (٩٠) كيلاً عن ينبع البحر .

فيها امارة تضم الأرض الواقعة بين الروحاء — ٧٤ عن المدينة — الى الرايس على البحر ، قرابة (٤٥) كيلاً من بدر غرباً ، وتتبعها امارة القاحه . فيها مكتب زراعي ، ومحكمة شرعية ، ومكتب مواصلات سلكية ولاسلكية ، وفيها مدارس للبنين والبنات ، ومحطات لبيع الوقود ، وسكانها بنو صُبْح من بني سالم من حرب ، وتصل ديارهم الى العالية المتقدم ذكرها مما يلي الواسطة ، والى البحر عند الرايس ، وتمتد جنوباً شرقياً فتضم غَيْقَة وكل جبل نافل الأكبر .

وفي بدر عين جارية ، عليها زراعة حسنة .

ومن السكان : حي من الاشراف كانت لهم أمرة البلد قبل العهد السعودي ، وحي من السادة ، يقال : ان الجميع حلفاء لبني صبح . يشرف عليها من الغرب الجبل الأصفر ، في سفحه الشرقي قبور الشهداء ، ويشرف غرباً على الساحل ، فليس بين بدر وساحل البحر غير هذا الجبل .

ويشرف عليها من الشرق جبل (أبو مغطّاة) . ومن الشمال جبل الدف ، وفي سفحه (قوز علي) وهو ما كان يعرف بالحنّان ، والعزّاف ، وهو ماحول مقبرة الشهداء من رمال ، تحاك حولها خرافة قرع الطبول .

(١) راجع « معجم معالم الحجاز » مادة بدر ، « وسيرة ابن هشام » ص ٦١٣ وما بعدها .

يلبي الحنان من الغرب الى الجنوب العدو الدنيا ، حيث كان
المسلمون يوم بدر .

أما من الشمال فمجرى الوادي ، يأتيها من الشمال الشرقي ضيقاً
ثم يتسع ، فاذا تجاوزها ضاق ضيقاً شديداً ، فيسمى الحلق الى أن يصل
مفرق ينبع ، وهذا الجزع من وادي الصفراء كان يسمى يليل .

واذا حاذى الوادي بلدة بدر كانت العدو القصيا على يساره ومن
ورائها جنوباً شرقياً ترى وادي أدمان عليه بعض أهل بدر ، وهو الذي
يقول كُتِّير فيه وفي أبرق الحنان :

لمن الديار بأبرق الحنان فالبرق فالهضبات من أدمان
أقوت منازلها وغير رسمها بعد الأنيس تعاقب الأزمان
فوقفت فيها صاحبي وما بها ياعزّ من نعم ولا إنسان

البزواء

خرجت من بدر ، فسار الطريق غرباً في مضيق يليل المعروف بالحلق ،
وبعد خمسة أكيال وصلت الى مقاه ومحطات وقود تسمى المفرق : مفرق
ينبع . وهذه حدثت في عهد السيارات ، حيث صار الذهاب الى ينبع يفرق عن
الطريق العامة في هذا المكان ، وبعد هذا المكان يبضع من الأكيال ظهر
الطريق في البزواء : وهي تلك الصحراء الساحلية الجرداء التي تسير فيها
من هنا الى مستورة .

وكانت منازل بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فهجّاهم
كثير ، فقال :

ولا بأس بالبزواء أرضاً لو أنّها تظهر من أثارهم فتطيّب

وقال أيضاً :

دوافع بالروحاء طوراً وتارة مخارم رضوى مرجها فرمالها
يقيّلن بالبزواء والجيش واقف مزاد الروايا يصطببن فضالها

ثم مررت بمستورة ، ورابع ، وصعبر ، ثم خليص ، وكلها تقدم
الحديث عنها ، وعند مقهى الدف نمت - وكانت الساعة الثانية عشر -
الى الصباح ، ثم وصلت مكة صباح اليوم الثالث عشر من شهر صفر
١٣٩٣ للهجرة الشريفة .

الختام

قطعت في هذه الرحلة مسافة (٢١٦٢) كيلاً ، حسبما أشار العداد
وقابلت عشرات من الأخوة الفضلاء ، رحبوا بي وأعانوني ، فجازاهم الله
خير الجزاء ، واليهم أتقدم بالشكر الجزيل .



الرحلة الثانية

بين بدر وينبع

في الخامس عشر من شهر صفر سنة ١٣٩٦ هـ ، كنت عائداً من رحلتي الى نجد ^(١) ، وما أن وصلت الى بدر حتى وجدت رغبة في زيارة ينبع .

تحركت من بدر بعد صلاة الظهر ، فوصلت الى المفرق على ستة أكيال ، ثم فرق طريق ينبع ذات اليمين وهو طريق معبد تعبيداً حسناً .
فعبّر على أسفل وادي الصفراء .

الغرايات

وبعد سير خمسة أكيال في السهل الساحلي ، رأيت الغرايات على يسلي ، وهي : أضلع صغار سود تتّزر بالرمل من سفوحها الغربية ، وهي صفة معظم جبال الساحل ، يفصل بينها وبين بدر الجبل الأصفر ، الغرايات غربية وبدر شرقية ، ولا غربها الا الساحل .

واسط والعذبية

سرت في سهل ساحلي تتخلله الصمود ، وعلى ٢٠ كيلاً جاءني من اليمين وادي واسط : وادٍ يأخذ من الجبال الواقعة غرب الحمراء ثم يدفع في الساحل في طرف صحراء العذبية من الجنوب ، وهو يفرق عند

(١) انظر كتابي « الرحلة النجدية » مطبوع .

نزوله الى الخبت فتكوّن منه شعب : السناوي ، وفيه مركز السّليم
يسار هذا الطريق ، ويأتي الحديث عنها في الرحلة الثالثة • ووادي
أويسط : الفرقة اليمنى من واسط على ٢٨ كيلاً من المفرق •

وسبق لواسط ذكر عند الحديث عن الحمراء •

فاذا تجاوزت أويسط رأيت الى يمينك جبلاً من أشمخ جبال هذه
الناحية ، ذلك هو (نصع) وتحت ضلّيع أسود لاطيء ، هذا هو
(نعيّجة العذبة) • وسكان هذه الناحية من بني سالم من حرب •
وكل السهل بين ثال وادي الصفراء الى ثال وادي ينبع يسمى العذبة،
لازال بهذا الاسم •

وكل هذه المعالم لها ذكر في الأدب القديم ، ففي الغرابت يقول
كثيرٌ عزّة :

فظلت بأكناف الغرابت تبتغي مظنتها واستمرأت كل مرتد (١)
وفي العذبة يقول كثير أيضاً ، واسقط هاءها :

خليلي ان أم الحكيم تحمّلت وأخت لخيمات العذيب ظلالها
فلا تسقيان من تهامة بعدها بلالاً وان صوب الربيع أسالها
وكنتم تزينون البلاد (٢) ففارقت عشية بنتم زينها وجمالها (٣)

وفي نصع - المتقدم - يقول كثير :

فقلت وأسررت الندامة : ليتني وكنت امرءاً أغتش كل عذول
سلكت سبيل الرائحات عشية مخارم نصع أو سلكن سبيلي (٤)

(١ و ٣) ديوان كثير ص ٧٥ ، ٤٣٣ •

(٢) في الديوان (البلاط) وهو تصحيف ، والتصحيح من « معجم
البلدان » ، مادة العذبة •

(٤) ديوان كثير ص ١١٣ •

ويقول مزرّاد :

أتاني ، وأهلي في جهينة دارهم
تأوّه شيخ قاعد وعجوزه
بنصع فرضوى من وراء المرابد
حزينين بالصلعاء ذات الأساود^(١)

وقال أبو العباس الشهبي :

أبا لبزواء أم بجنوب نصّع
أم احتلت رواياها العنابا^(٢)
وأهل الديار ينطقون نصعاً بفتح النون ، وقد ورد في المراجع
القديمة بكسرها وسكون الصاد .

شَطْب

وعلى (٥٧) كيلاً هبط الطريق وادي شَطْب ، وهو فرقة من
وادي ينبع النخل ، فيه زراعة قليلة ، ويشرف عليه من الجنوب صمد
فيه مركز للشرطة ، يسمى مركز مشرفة .

ومشرفة : اسم ذلك الصمد .

وفي شطب يقول كثيّر :

أفي رسم أطلال بشطبٍ فمرجم
دوارس لما استنطقت لم تكلم

ويقول أيضاً :

لعسري لقد بانت وشط مزارها
إذا أصبحت في المجلس في أهل قرية
عزيرة لاتفقد ولا تتبعّد
وأصبح أهلي بين شطب فبدد

(١) « معجم البلدان » ، نصع .

(٢) « معجم البلدان » ، نصع .

الدهناء

وقبل وصولي الى مدينة ينبع بخمسة وعشرون كيلاً أشار شيخ جهني رافقني من شطب، أشار الى جبل أحمر بارز يمين الخط غير قريب، فقال : هذاك يسمى (عرعور) •

يقع على الضفة الجنوبية لوادي ينبع ، وهو من هنا مطلع الشمس • وقال الشيخ : ان الدهناء تقع شرقة بمسافة تقدر بثمانية أكيال ، وتعرف اليوم بالسانية ، فيها آثار ظاهرة ، وهي واقعة في ديار حرب ، وحدودهم ليست بعيدة منها شمالاً ، ثم تبدأ ديار جهينة •

والدهناء بلدة كانت عامرة كثيرة النزل والزراعة الى أول القرن العاشر الهجري ، فدمرها السلطان الغوري ، فهي اليوم خرائب وآثار • وقد كانت محطة رئيسية من محطات الحجاج السالكين هذا الطريق من مصرين ومغاربة، ويظهر أنه على أثر خرابها ازدهرت مدينة ينبع البحر فأصبحت محطة رئيسية ، فجنب الطريق عن كل عيون ينبع النخل^(١) •

المسيحلي

وعلى (١٥) كيلاً قبل ينبع البحر مررنا بالمسيحلي ، كانت محطة لتوفر الماء فيها تقع على الفرقة الوسطى من وادي ينبع اذا أسحل ، فوادي ينبع يفترق هنا الى ثلاث فرق : الأولى شطب ، وقد تقدم ، والوسطى الحَجْر - بكسر الحاء المهملة - وهي هذه ، والثالثة تسمى المرخية ، تصب على مدينة ينبع البحر •

ويشرف على محطة المسيحلي من الجنوب غير بعيد صمد مشهور هناك يسمى صمد المجبرية •

(١) راجع كتابي « معجم معالم الحجاز » •

يقال أن اسماعيل بن مبريك أمير رابع كان يدعي أن حدوده تصل الى هنا .

فكان يقول : ملكي من ريع الثنية - ثنية عسفان - الى صمد المجبرية .
وكان شرب مدينة ينبع من المسيحلي ، الى أن مد لها الماء من
عيون ينبع النخل .

وبعد المسيحلي بكيل واحد أثار محطة تسمى (المنيزة) بالتصغير،
وهو دليل على أنها كانت محطة ضعيفة ، ثم هبطنا وادي الحجر
المتقدم الحديث عنه آنفاً .

ينبع البحر

اذا ذكر ينبع في كتب المتقدمين فانما المقصود ذلك الوادي الفحل
كثير العيون والنخل ، والذي سنتحدث عنه فيما بعد ، ولم يعرف ينبع
البحر كميناء ولم يرد له ذكر أبداً حتى تضاعف أمر الجار ، ذلك الميناء
الذي كان يشبه جدة في يومنا الحاضر - أنظره - وعلى أثر اضمحلال
الجار بدأ يظهر ذكر ينبع ، ويورد الشيخ حمد الجاسر عن المقرئ : ان
الأيوبيين اشتروا هذا الميناء أو موضعه سنة ٦٢١ للهجرة ، فأنشأوا فيه
منشآت وحصنوه وجعلوه الميناء الثاني في الحجاز ، وكانوا يرسلون
السفن التي تحمل ما يحتاج اليه الحجاج وغير ذلك عن طريق ميناء ينبع .

ثم أراد الأشراف الحسنيون : أهل ينبع النخل استعادة هذا الميناء
فاستولوا عليه ، ولكنهم لم يصمدوا لقوة الأيوبيين ، فاسترجعه الأيوبيون
ثم أخذ أمر ينبع يقوى ، حتى صار أميره يعين من الدولة ، مثله مثل مكة
والمدينة ، وتنازع بعض الأشراف امرته ، وكانت قبيلتنا حرب وجهينة
تدخلان النزاع الى جانب هذا أو ذاك .

وذكره الجزيري في أول القرن العاشر بأنه أصبح بلدة عامرة .

وكان تأريخه مختلط ومرتبطة بينبع النخل لأنهما متجاورتين •
ولما دمر السلطان الغوري الدهناء ، وكانت محطة رئيسية للحاج ،
حلت ينبع البحر محلها ، فصار الحاج يأخذ على الساحل ولا يمر
بينبع النخل •

وكانت أمرة بلاد ينبع أول القرن العاشر لذوي درّاج من
الأشراف الحسينيين^(١) ومنهم اليوم ذوو هجار ، أشراف ينبع النخل ،
وهم بنو هجار بن دراج^(٢) •

ثم تطور ينبع — ولسنا بصدد تفصيل لتأريخه — ولما قامت الثورة
العربية الكبرى كان قاعدة من قواعدها في الشمال •

ثم صار مقر قيادة عسكرية في العهد الهاشمي •

وقد أصبح اليوم مدينة متقدمة ، ذات تخطيط حسن وعمران
حديث ، ولها امارة تضم ينبع النخل ، وشمالاً الى الحوراء ، ولا تبعد
كثيراً في الجنوب ، حيث السثليم — على ٦٣ كيلاً — تابعة لبدر •

ثم أقيم اليوم فيه مشروع صناعي ضخم ، وصار مقراً لفرع الهيئة
الملكية للتصنيع ، وقد قدر أن يكون سكانه مليونين عندما يتم مشروع
التصنيع •

جبل رضوى

تجولنا في ينبع البحر ، واطلعنا على كثير من معالمه ، وكنا نرى جبل

(١) انظر «بدائع الزهور» الجزء الرابع، و«بلاد ينبع» لحمد الجاسر.

(٢) هذا قول الجاسر ، وفي « الدرّة السنية في أنساب الحسينية
والحسينية » : دراج بن معز بن هجار بن وبير بن نجار ، من الأشراف
الحسينيين •

رضوى المنيف الى الشرق الشمالي مظل على الساحل ، وبنفس الوقت
نرى البحر صافياً تنعكس عليه شمس العشي •

ثم خرجنا منه شمالاً على طريق معبدة ، فكان جبل رضوى الى
يسيننا قريباً واضحاً حتى يخيل اليك أنك ترى بعض أشجاره ، وهو جبل
أحمر شاهق ليس بينه وبين الساحل شيء ، ويشرف في الجنوب على ينبع
النخل على طول امتداده ، ومسافته تزيد على (٦٠) كيلاً امتداداً في
الأرض ، وهو لجهة ، وفيه شعاب ومياه ، وكثير من أوديته يصب في
ينبع النخل وبعضها في الساحل •

ومن الأودية التي تسيل منه في الساحل : ثَمًا : يصب على مدينة
ينبع من الشمال الشرقي •

نمرأ : تصب في شرم ينبع ، شمال البلدة بقليل •

وعويص : وادٍ يجتمع مع نمرأ فبلونان ما يسمى بالجفينة ، ثم
يصبان معاً في الشرم • وقد خططت الأراضي المحيطة بالشرم اليوم
تخطيطاً هندسياً وبدأ فيها العمران فعدت حياً من أحياء ينبع البحر •

وعلى عشرة أكيال مررنا عند رأس الشرم فعبرنا على جسر فوق
الجفينة ، وعلى خمسة عشر كيلاً مررنا بشعيب يسمى حَجَّ : بلفظ
شعيرة الحج •

وعلى (٢٢) كيلاً مررنا بالفري : شعيب أيضاً •

ثم مررنا بلطعان : حزم مرتفع على قارعة الطريق ، على ٢٣ كيلاً
من ينبع •

ثم جزعنا وادي خُمَال : وادٍ يأتي من جبل رضوى ومن أبي
الغُرَابر - جبال - ثم يصب في البحر •

وأبو الغرير : بالتصغير : سلسلة جبلية بارزة تمتد من رضوى شمالاً الى وادي الحمض ، وآخرها من الشمال يسمى (حَبْرَان) ، وهي تشبه رضوى في لونها ، ولكنها أقل منه ارتفاعاً .

ويقع غرب هذه السلسلة وعلى مرأى من وادي خُمَال جبال الطوال البيض : جبال مناصيب تلي أبا الغرير من جهة الساحل ، وهي ليست بالطوال البيض التي تذكر مع هرشي، وليست بيضا بالمعنى المفهوم، ولكنهم يسمون كل جبل يضرب الى البياض بالأبيض، وكذلك ما يضرب الى الحمرة أو السمرة . والى جوار الطوال البيض جبل بارز يسمى (مُشَيِّط) .

وعلى ٥٤ كيلاً من ينبع، وعلى مرأى من وادي خُمَال حيث يقطعه الطريق ترى سلسلة جبلية بارزة ، وليست عالية ، تعترض الطريق حتى تكنع في الخبت من جهة الشرق ، وهذه تسمى (العَوَّصَاء) .

توقفنا في مقهى في وادي خُمَال ، ثم واصلنا السير شمالاً ، فمررنا فوق جسر مسلح على وادٍ يسمى الخنو ، ثم الواديين : اسم لوادٍ واحد يصب من الطوال البيض فيمر تحت الطريق الى البحر .

وعلى (٩٠) كيلاً جاءنا من اليمين وادي (نَبْط) : وادٍ له ذكر في رحلات بعض الحجاج يصب في البحر يسار الطريق ، عليه جسر مسلح .

ينبع النخل

عدنا الى ينبع البحر ، ونمنا في مقهى على أول طريق جدة ، لا يختلف عن جل مقاهي الحجاز اليوم ، فهو يقدم لرواده سرراً من الخشب محبوكة بطريقة تجعل الجلوس والنوم عليها مريحين ، وهو يقدم الطعام الى جانب القهوة والشاي .

وبكرنا مشرقين باتجاه مطلع الشمس ، فسرنا في خبت ساحلي أبيض

وكان جبل رضوى على يسارنا مشرفاً شامخاً ، وكأنه هو الآخر في رحلة الى مطلع الشمس ، وعلى ٣٠ كيلاً صعدنا أجبل ليست بالشوامخ شق فيها الطريق المعبد ، وهذه الأجبل وامتدادها شرقاً على طول الضفة اليمنى لوادي ينبع تسمى صمد العاصي ، وسألت شيخ وجدته عند البثنة عن سبب هذه التسمية ، فقال : خرافات بدو !

وعلى ٣٦ كيلاً هبطنا من هذه الأضلع الى أول عمران ينبع النخل ، فوصلنا الى قرية البركة ، وحولها آثار مهدامة ، يتوقع أن تكون هي (ذو العُشْكِرة) التي غزاها رسول الله ﷺ ، غزوته الثالثة فوادع بها بني مُدْلَج وبني ضمرة ثم مررنا بين القرى الملتف نخلاً ، وعلى (٥١) كيلاً وصلنا الى السوق - تصغير سوق - وهو أعمر مكان في ينبع ، فيه منشآت حكومية ، وسوق عامرة ، وهو قاعدة ينبع النخل ، فيه امارة ، ومدارس ، وبلدية .

ويشرف عليه من الشمال جبل رضوى من وراء جبال أقل ارتفاعاً . ويكاد السوق يكون الحد بين قبيلتي جهينة وحرب ، وهو مشهور بتلك الواقعة التي وقعت بين القبيلتين (١) .

تجاوزنا السوق شرقاً فصار الطريق بين الجبل يساراً والعيون يميناً ، فكانت على يميننا عين سُوَيْقَة ، وهي عين تشترك مع السوق في الحوادث بين حرب وجهينة ، وهما سويتان متجاورتان : احدهما لحرب ، والأخرى لجهينة .

وقد توهم الشيخ حمد الجاسر - في كتابه بلاد ينبع - أن سويقة هذه هي سويقة عبد الله بن الحسن ، التي تقدم الحديث عنها قرب المدينة ، فجعل تأريخ هذه القرية موصولاً بتأريخ تلك (٢) .

(١) انظر « نسب حرب » ، مطبوع .

(٢) « بلاد ينبع » ص ١٦ .

والصواب أن سويقة عبد الله وبنيه ليست في ينبع ، وإنما هو تطابق
أسماء ، والسويقات في بلاد العرب كثيرة (١) .

وبعد يسير من المسافة كانت على يميننا عين البثنة ، وكانت أيضاً
لعبد الله بن حسن بن حسن بن علي ، رضي الله عنهم .

وربما كانت سويقة ينبع لهم أيضاً ، وإنما مسماة على سويقة المدينة،
كعادة العرب ، وهي أن يسمو على من يعجبون به ، وكذلك ما يعجبون
به من المال .

ويأتي البثنة من الشمال وادٍ جرجوب لانبث فيه ولا زرع ، يأتي
من رضوى ، ذلك هو (أيلة) ويجمعونها مع أخرى لا زالت قدامنا
فيسمونها أيلات : أيلة الشامية ، وأيلة الجنوبية أو اليمانية .

وأيلة هذه التي يقول فيها كثيرون :

رأيت وأصحابي بأيلة موهناً وقد لاح نجم الفرق المتصوب
لعزة نارا ما تبوخ كأنها اذا مار مقناها من البعد كوكب

ومن نفس القصيدة يقول أيضاً :

ولو بذلت أم الوليد حديثها لعصم برضوى أصبحت تتقرب
تهبطن من أكناف ضأس وأيلة إليها ولو أغري بهن المكلب (٢)

وبعد أن تجاوزنا البثنة ، وعلى ٥٥ كيلاً من ينبع البحر توقف
الطريق المعبدة عند قرية ذات زبائر تدل على قدمها .

فوجدنا شيخاً خرج بنا خارج القرية ليشرح لنا ما استفسرنا عنه من
معالم ، فما أراناه :

(١) انظر « معجم معالم الحجاز » .

(٢) « ديوان كثير » ص ١٥٨ ، ١٠٦ .

١ - من هذا المكان وأعلى من ينبع يسمى الفرعة ، وهو صدر وادي ينبع ، فيه مزارع أكثرها على الأبار .

٢ - ضأس : نعف من رضوى وشعب أيضاً متجاوران على الطرف الشرقي من رضوى مأوئهما في الفرعة ، يجاورهما مما يلينا أيلة الشامية ، وهذه المعالم شمالنا عدلاً من هذا المكان .

وتقدمت الإشارة الى ضأس آنفاً في شعر كثير .

وفيه يقول كثير أيضاً .

وحتى أجازت بطن ضاس ودونها رعان فهضبا ذي التّجّيل فينبع
وسألنا الشيخ عن : رعان أو دعان ، وحفنين ، وصندد ، التي تتردد في شعر كثير .

فقال : انها لاتعرف في هذه الجهات .

٣ - وأشار الى جبل بارز يشرف على الفرعة من الشمال الشرقي وقال : هذا اسمه (وعَر) بالتحريك .

٤ - وأشار الى جبل أسود يقع الى الشرق منا ، فقال : هذا أظلم . وهو أسود فاحم ليس بالعالي . ومعظم جبال العرب السود ان لم يسمو أحدها غراباً سموه أظلم وهي كثيرة .

٥ - وسألناه عن عبائر . فأشار شمالاً شرقياً فقال : وادٍ يصب في الفرعة من الشرق .

وهو الذي يقول فيه كثير :

وأعرض ركب من عبائر دونهم ومن حدّ رضوى المكفهرّ جبين^(١)

(١) « ديوان كثير » ص ١٧٢ ، ولعل (ركب) تصحيف ركن .

ويقول أيضاً :

فمرّ فأروى ينبعاً فجنوبه وقد جيد منه جيّدة فعباثر^(١)

٦ - ثم سألنا الشيخ عن بواط الغوري : فقال : هناك - وأشار بيده - أعلى وادٍ يصب في الفرعة ، وله ريع يخرج الى بواط ثم الى وادي الحمض •

ولم يرض الشيخ أن يشرح لنا بعض المعالم الواقعة في ديار حرب ، مثل : البلدة ، والبقاع ، ونخلي ، وقال : (هذي ما تخصني) •

أي : لادخل لي بها • وهي قاعدة تكاد تكون عامة عند القبائل ، فالهذلي - مثلاً - لا يخبرك عن شيء من ديار عتيبة ، وكذلك الثقفى ، وغيره •

وتقع كل من نخلي ، والبقاع ، والبلدة ، والبليدة ، الى الجنوب من مكاننا مع ارتقاء الى الغرب ، وهي شمال السوق على الضفة اليسرى من وادي ينبع •



(١) نفس المصدر ص ٣٧٤ •

الرحلة الثالثة

من رابع الى الجار فشرف الأتاية فالسقى

تحركنا من رابع في صباح اليوم السابع من ذي الحجة سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ٧ القوس ١٣٥٥ هجرية شمسية ، ٢٨ تشرين الثاني نوفمبر سنة ١٩٧٦ م أي في أواخر فصل الخريف •

وكانت الرحلة نصف رسمية ، ذلك أنني كنت أعمل قائداً لسلاح الحدود في بلدة رابع، وكانت حدود ذلك القطاع تبدأ من البريكة (الجار قديماً) شمالاً الى ذهبان جنوباً ، ويسمى - اصطلاحاً - قطاع رابع • وتبلغ المسافة من البريكة الى ذهبان (٢٢٠) كيلاً تقريباً ، على طول الساحل •

وكان يرافقني الابن حسين الطالب بالمدرسة الثانوية •

خرجنا من رابع في الساعة السابعة صباحاً على الطريق المتجهة الى المدينة ، وكان منظر الأرض حولنا كالآتي :

الى اليمين سلسلة جبلية صغيرة تمتد من الشمال الى الجنوب ، تتصل شمالاً بالأصافر ، وجنوباً تنتهي عند التقاء وادي النويبع بوادي مرّ (وادي رابع) •

هذه السلسلة تسمى جبال (فِخْذَى) : أضلع غير مرتفعة ، يقع النويبع - الوادي المشهور بعذوبة مائه ومنه سقى رابع اليوم - على سفوحها الشرقية ، وتطل سفوحها الغربية على السهل الساحلي ، على مرأى من رابع شرقاً الى الشمال ، وفيها تقول احدى شوارع البلدية : ياركب اللي سرت من بطن فِخْذَى تالي الليل

وأصبح مع الغائضة وهو يبي ينذر رموعي

قالت : بطن فخذي • ذلك أن تلعة كبيرة تتخلل هذه الأجبل تسمى
فخذي أيضاً •

ومن وراء تلك السلسلة تظهر جبال تهامة الشوامخ ، وأكاد أميز
منها بحران ، وآرة : الشامخ شمالاً شرقياً •

والى جنوبها حرار الجحفة ، يظنها الرائي حرة واحدة ، وهي
مجموعة حرار سود تكتنف الجحفة وغدير خمّ ، تراها من رابع شرقاً
الى الجنوب قليلاً •

وقد تقدم الحديث عن الجميع في الرحلة الاولى •

وتسمى تلك الحرار — في مجموعها — القِدَام : جمع قدمة ،
ويقولون : انها كانت ذات مزارع ونخيل •

انظر ما تقدم عند الحديث عن غدير خمّ •

الأصافر

ويتصل بجبال فخذي آتفة الذكر من الشمال الأصافر التي يتردد
ذكرها في كتب الجغرافيا ، وقد مرت معنا في الرحلة الاولى ، ويتصل
بالأصافر شمالاً حرة هرّشي ، وسيأتي الحديث عنها في آخر هذه
الرحلة •

وفي الأصافر يقول كثيّر عزّة :

عفا رابع من أهله فالظواهر فأكناف هرشي قد عفت فالأصافر
مغانٍ يهيّجن الحليم الى الصبا وهنّ قديمات العمود دوائر

الطوال البيض

واذا مددت بصرك شمالاً رأيت جبال الطوال البيض : جبال طوال

مناصب ، تسمى اليوم طوال حمامة ، وحمامة تلعة كبيرة تمر بين الطوال
البيض وهرشي ، وتأخذ مياه الطوال البيض الغربية والجنوبية ، وهي
للبلادية وبني محمد من بني عمرو من حرب •

والى الشمال من هنا جبل ثافل الأصغر ، كأبرز علم يشرف على بلدة
مستورة من الشمال الشرقي ، ويتصل به من الشمال ثافل الأكبر ، وإذا
قربت النظر رأيت حرة منقادة تعترض الطريق يجدها أنفها في الساحل •
هذه الحرة تمتد شرقاً فتتصل بهرشي ، ثم حرة الشيباء شرق هرشي
وتسمى قرب هرشي حرة (بيض) وعندما تصطدم بالطريق تسمى الخشم •
وكل هذه المعالم ذكرت في الرحلة الاولى في اليوم الثاني ، غير أن
وصف الأرض من هنا أملى الاعادة •

الخرار

سرنا على هذا الطريق مشملين مسافة ٢٥ كيلاً ، مررنا بأشعب
تسمى رحاباً ، ورحيباً ، وكلهف ، ثم فرق طريق الخرار يساراً •
والخرار : مرسى صغير لصيادي الأسماك ، فيه مخفر لسلاح
الحدود ، ومهمتنا هنا التفتيش على المخفر ، وعلى قرابة عشرة أكيال من
الطريق المعبد وصلنا الى الخرار (١) •

وادي النهدي

خرجنا من الخرار شمالاً مع ميل الى الشرق ، فمررنا بمكان
يسمى اللعوب : فرقة من سيل وادي النهدي والنهدي : اسم يطلق على
وادي الأبناء في الساحل ، وبعد قليل مررنا بفرقة تسمى (اليعملة) فيها
نخل وأبار هامجة •

(١) هذا غير الخرار المذكور في طريق الهجرة .

ثم دخلنا وادي النهدي الرئيسي ، ثم مررنا بمخفر مستورة ، وهو مخفر لسلاح الحدود في مرسى مستورة • ومرسى مستورة : ميناء صغير ترسو فيه سفن الصيد ، وشاطئه جميل ، وكان الجو صافياً رائعاً معتدلاً ، والمسافة بين المخفرين (٢٠) كيلاً •

السطح

ومن مخفر مستورة توجهنا شمالاً على سيف البحر ، وكان أبرز ما يرى يميننا سلسلة جبال ثافل ، يظهر - غربها - وكأنه من سفوحها - قوز حسنى ، الذي يقول فيه كثير :

عفا ميث كلنقى بعدنا فالأجاول فأئماد حسنى فالبراق القوابل
كأن لم تكن سئعدى باعناء غيقة ولم تثر من سئعدى بهن منازل
ولم تربع بالشرير ولم يكن
لها الصيف خيمات العذيب الظلائل

وفي الشمال الشرقي يظهر علم بارز يقع غرب فوهة وادي غيقة ، ذلك هو جبل (كراش) الذي يقع بين بدر وغيقة ، ولا يكاد يغيب عن نظرك ما دمت على هذا الساحل ، حتى تتجاوز مفيض وادي الصفراء شمالاً ، أما السهل الساحلي الذي نسير فيه ، فلا ترى منه الا فضاء لا متناه ، والطريق ترابي يمر في سباح خطرة ، كثيراً ما هوت فيها السيارات فلا تخرج الا بشق الأنفس ، وهو قليل النبات الا في وقت الربيع حيث تكثر الأعشاب ، وبين حين وآخر ترى زبر الملح البيضاء ، حيث يقوم بعض الساحليين بشق خلجان من البحر الى حفر يخفرونها لذلك ، فاذا امتلأت سدوا تلك الخلجان ، فينشف الماء بفعل حرارة الشمس ، تاركاً وراءه طبقة سميكة من الملح الأبيض ، فيأخذون في تزييره على شكل حلال تشبه التلال ثم يعبئونه ويجلبونه الى جدة ومكة والمدينة •

وعلى (٢٧) كيلاً تقريباً وصلنا الى مخفر السطح ، والمكان المعروف بالسطح : قاع أملس أبيض كسطح البيت ، على شاطئ البحر ، فيه مخفر لسلاح الحدود على مرسى صغير لصيادي الأسماك ، وعند الجنود القائمين عليه شربنا الشاي والقهوة ، ثم واصلنا رحلتنا الى الشمال .
والسطح هذا أبعد النقاط على هذا الساحل عن العمران •

البُضَيْع

شكرنا الأخوة ودعونا لهم بالمعونة ، وواصلنا سيرنا على هذا الساحل ، وقبيل أن نهبط وادي الشرير وجدنا صمداً أحمر بارزاً نوعاً ما ، على شط البحر ، يسمى (الصمد الأحمر) تطلع الشمس عليه من ثافل الأصغر ويعتبر من العلامات المميزة على هذا الساحل ، وله شهرة في الاهتداء والنعت ، ولا أدري لِمَ توقفت عنده وتبادر الى ذهني أنه (البُضَيْع) الذي يذكره كثير كثيراً في هذه النواحي ، ومما قال كثير فيه :

غفت غيقة من أهلها فجنو بها	فروضة حسنا قاعها فكثيها
منازل من أسماء لم يعف رسمها	رياح الثريا خلفه فزريها
تلوح بأطراف البُضَيْع كأنها	كتاب زبور حط لدناً عسيها ^(١)

وقوله :

يجتزن أودية البُضَيْع جوازعاً أجواز عينونا فنعف قبال^(١)

الشرير

ثم لم نلبث أن هبطنا شعباً منخفضاً بين الحزوم يسمونه وادياً ،

(١) « ديوان كثير » ص : ٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ١٩٤ ،

وهو فرقة من سيل وادي الصفراء اذا ساحل، وسكانه النوافع من زَبِيد
وفيه مزارع حجب على المطر ، ولو أبحر سيل وادي غَيْقَة — وقلما
يبحر — لمر على هذا الشعيب أو بقربه ، هذا الشعيب هو (الشَّرِير)
الوارد في شعر كثير عزّة ، حيث يقول من قصيدة طويلة :

وأورثته نأياً فاضحى كأنه مخالطه يوم الشَّرِير جنون^(١)

ومن قصيدة أخرى يقول :

كأن قنا المَران تحت خدورها ظباء الملا نيّطت عليها الوشائح
تحمّل في نجر الظهيرة بعد ما

توقد من صحن الشَّرِير الصرادح^(١)

ويقول :

ديار بأعناء السَّرير كأنما عليهن في أكناف غَيْقَة شيد
تمر السنون الخاليات ولا أرى بصحن الشبا أطلالهن تبيد

ويقول أيضاً :

كأن لم تكن سَعْدَى باعناء غَيْقَة ولم تثر من سعدى بهنّ منازل
ولم تتربع بالشَّرِير ولم يكن لها الصيف خيمات العذّيب الفلائل

وقد أضاف السرير الى البضيع ، وهو ما يعزز توقعي أن ذلك
الصمد هو البضيع ، حيث قال :

حيث ورّكن دوّة يمين وسرير البضيع ذات الشمال
والبيت من لامية بدأها من الغميم وسار بها الى ما وراء المدينة •

(١) نجر الظهيرة : شدة حرارتها ، الصرادح : جمع صراح : الأرض
التي لانبات فيها ، جلد ألين من القاع ، وأصلب من اللحم ، ولعل صحن
السرير هي السطح المتقدم .

وعلى قرابة ٢٢ كيلاً من السطح وصلنا الى مخفر سلاح الحدود
يسمى مخفر الرقيقة ، وهو مكان من الساحل يدفع عنده السرير المتقدم
وهو من المراسي الكثير المنتشرة على طول هذا الساحل ، وفيه بناء
- كجميع المخافر هنا - بالاسمنت المسلح ، وتموين أهله من الرايس
وهو قد امانا على عشرة أكيال .

الرايس

ثم واصلنا سيرنا الى قرية الرايس : قرية على الساحل شمال رابع
على قرابة مائة كيل ، ذلك أن سيرنا ما كان قصداً ، وهي جنوب الجار
على عشرة أكيال ، فيها مرسى عند نخيلات قد أهملت ، وفيها مركز
امارة وبلدية ومركز شرطة ، وتتبع بداراً ادارياً ، وعلى هذا المرسى مخفر
لسلاح الحدود ، نزلنا على أفرادهم وشربنا القهوة .

ويعتبر أفرادهم محظوظين لوجود هذه القرية ، فلمهم فيها مساكن ،
ويجدون حاجياتهم أو بعضها في ديكينات ضعيفة هنا .

وخير ما في هذه القرية بناء أنيق بارز يضم الامارة والبلدية ، والى
جواره مدرسة ابتدائية للبنين .

وسكان الرايس خليط من زُبَيْد وبني صُبْح ، وكلاهما من
حرب ، الا أن القرية في حدود بني صبح ، وتمتد ديارهم شرقاً حتى تكون
لهم غيقة وكل ثافل الأكبر ، ولهم عيون وراء بدر مما يلي المدينة .

الجار

خرجنا من مخفر الرايس شمالاً فشققنا القرية مع النصف ، وقدرنا
بيوتها بخمسين بيتاً .

وعلى عشرة أكيال كنا في (البريكة) وهو الاسم الذي يطلق اليوم على موضع مدينة الجار التاريخية ، ونزلنا على مخفر سلاح الحدود ، وكانت الساعة الثانية عشرة ظهراً ، فحاولوا جهدهم استبقاءنا للغداء معهم ، ولكننا اعتذرنا ، واكتفينا بشرب الشاي ، ومن عندهم خرجنا فطفنا حول خليج يفصل بين المخفر وآثار مدينة الجار ، وهو خليج يتصل بالميناء القديم لازال صالحاً لرسو السفن الصغيرة ، انظر المخطط المرفق .

آثار الجار

وقفنا على زبر تشرف على ذلك الخليج من الشرق ، وهي تحجب تحتها معظم آثار الجار ، المدينة التاريخية ، فرأينا بقايا عين مندثرة ، وأطم مدفونة ، وحلق مثبت في مبان بالحجر ، كان مرابط السفن التي ترسو في الميناء .

الجار مدينة تاريخية

والجار مدينة تاريخية كانت تشبه جدة اليوم ، فكان البحر الأحمر ينسب شرقيه إليها ، فيقال : بحر الجار ، وظلت ميناء عامراً للمدينة المنورة حتى القرن السادس الهجري ، وورد ذكر لغارات الأعراب عليها ، ثم تقلص أمرها حتى اندثرت .

ولا شك أن للتأخر الذي أصاب الحجاز منذ أواخر الدولة العباسية ، وسوء الأمن وكثرة الحروب بين القبائل ، دور في اندثار هذه المدينة ثم بروز مدينة ينبع النخل تحت حماية الدولة الأيوبية ثم دول مصر المتعاقبة ، ومن آثار الجار تنظر الى جزيرة صغيرة مغيب الشمس ، هذه الجزيرة هي التي كانت تسمى (قراف) فيما ذكر عرّام .

الجار في التاريخ

قال ياقوت : بتخفيف الراء : مدينة على ساحل بحر القلزم ، بينها وبين المدينة يوم وليلة ، وبينها وبين أيلة نحو عشر مراحل ، وإلى ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل ، وهي في الاقليم الثاني . فرضة ترفاً اليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن وسائر بلاد الهند ، ولها منبر ، وهي آهلة ، وشرب أهلها من (البحيرة) ، وهي عين ليل ، وبالجار قصور كثيرة ، ونصف الجار في جزيرة في البحر تكون ميلاً في ميل ، لا يعبر اليها الا بالسفن ، وهي مرسى الحبشة خاصة ، يقال لها قراف ، وسكانها تجار كنحو أهل الجار ، يؤتون بالماء من فرسخين ، ذكر ذلك كله أبو الأشعث الكندي عن عَرَّام بن الأصبع السلمي ، وقد سمي ذلك البحر كله الجار ، وهو من جدة الى قرب مدينة القلزم (مدينة السويس حالياً) .

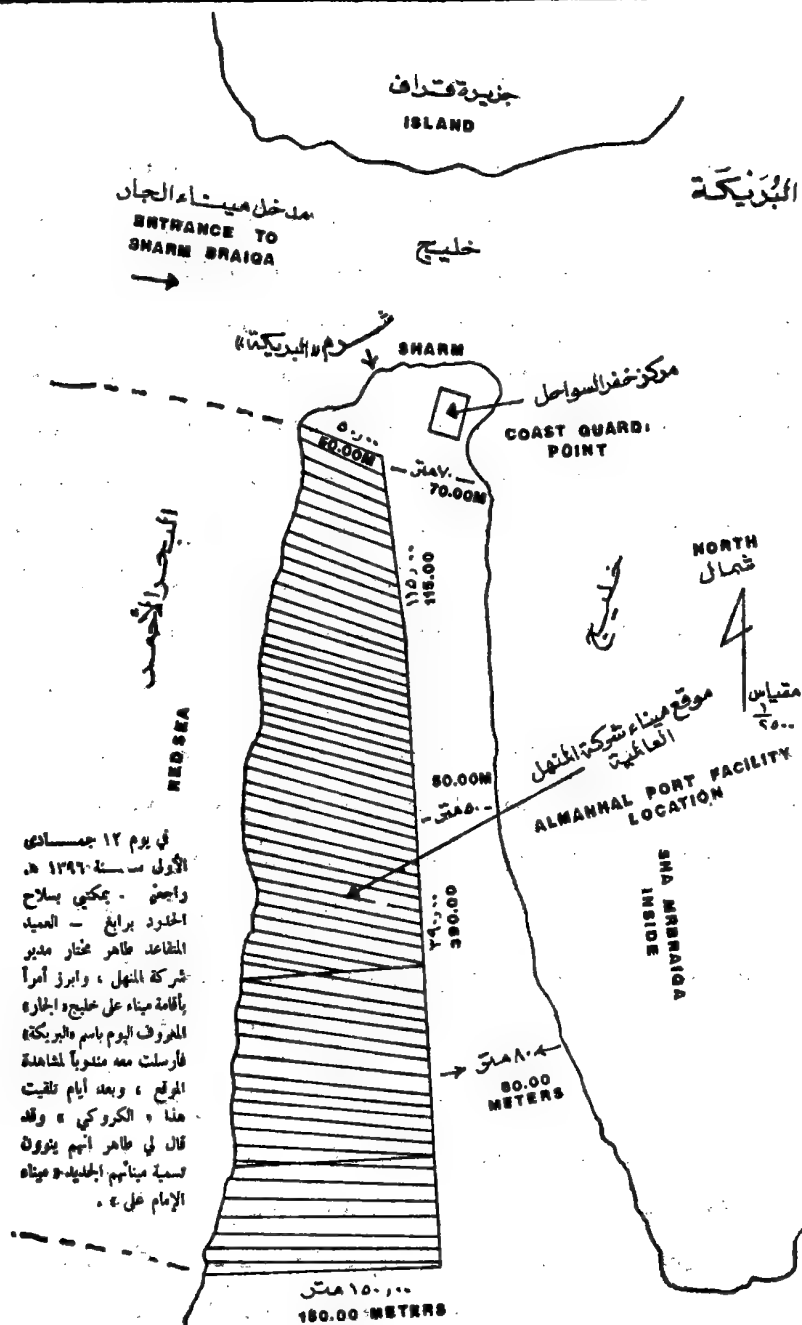
قلت : وقوله : بينها وبين المدينة يوم وليلة ، وهم ، والصواب أن بينها خمسة مراحل ، على نظام القوافل القديم : منها الى بدر مرحلة ، ثم الى الحمراء مرحلة ، ثم الى المنصرف أو الروحاء مرحلة ، ثم الى السبالة مرحلة ، ثم الى المدينة .

الا أن يقصد يوماً وليلة للركاب ، وهي المطايا التي يستخفها الناس في السفر ، وفي ذلك نظر .

قال بعض الأعراب :

وليتنا بالجار ، والعيس بالفلا معلقة أعزاده بالجنائب
سمعت كلاماً من ورا سجد محمل كما طلّ مزن صيّب من سحاب
وقائلة لاح الصباح ونوره عسى الركب أن يحظى بسير الرائب
عسى يدرك التعريف والموقف الذي

شغلنا به عن ذكر فقد الجنائب



في يوم ١٢ جمادى
الأول - سنة ١٣٩٦ هـ
واجتمع - بمكتبى سلاح
الحدود برايق - العميد
المساعد طاهر مختار مدير
شركة المنهل ، وابرز أمراً
بإقامة ميناء على خليج وإجاره
المعروف اليوم باسم «البريكة»
فأرسلت معه مندوباً لمشاهدة
الموقع ، وبعد أيام تلقيت
هنا «الكروكي » وقد
قال لي طاهر أنهم يترون
تسمية مينائهم الجديد «ميناء
الإمام علي » .

• ويورد ياقوت عدداً من أسماء المحدثين المنسوبين الى الجار •
وروى البكر خبراً طريفاً في سبب تسمية الجار ، فقال ، بعد أن
أورد ما يتفق ورواية ياقوت ، وكلاهما ناقل عن عرّام : قال ابن الكلبي :
لقي مضاض الجرهمي ، مَيّة بنت مهلهل بالساحل ، فقال لها :
أعيزك بالرحمن أن تجمعي هوى . عليه وهجراناً وجبّك قاتله
فسمي الجار •

أي اعتبر قوله : أعيزك ، أي : استجير بالرحمن ، فهو جار له •
وابن الكلبي — رحمه الله — كثير تعليل اسماء البلدان ، ولكن إذا
كان يقصد المهلهل بن ربيعة أخا كليب وخال امرئ القيس ، فليست هذه
ديار قوم المهلهل كما أن زمن المهلهل ليس قريباً من زمن مضاض الجرهمي
وبنت المهلهل المشهورة ، اسمها ليلي ، وليست مَيّة •

السّليم

خرجنا من الجار شمالاً فوجدنا مخفراً لسلاح الحدود تابعا لقطاع ينبع
في مكان يسمى (السّكّجة) ، وهو أول قطاع ينبع من الجنوب ، كما أن
البريكة آخر قطاع رابع من الشمال •

وتقع السّكّجة على ثمانية أكيال من الجار ، ومنها عدلنا يمينا ،
متجهين شمالاً شرقياً ، فسرنا في (ثلّة) وادي الصفراء ، حيث ينفرش
هنا وتتفرق مشاليقه كأصابع اليد ، فتكثر هنا الغابات من المرخ والسمر
والعَبش ، والعبش في لغة البادية : مَادِق وزحف من الأشجار، مثل الشام،
والعراد والرمت ، ونحو ذلك •

وتكثر هنا المزارع العثرية في حيجان يعملونها بعقوم كالسدود من

التراب فتروّض الماء حتى تروى الأرض ، ثم يحرثونها ويزرعونها فتوتى
أكلها عشياً ، وهذه صفة معظم أراضي تهامة الى اليمن •

الا أن هذه الأرض مقفرة لم نر بها عربياً طيلة سيرنا ، على كثرة
ما بها من تلك الحيجان ، ويبدو أنهم لا يأتون اليها الا وقت شربها •

ثم مررنا بحزم بارز في هذا الساحل يتوسط تلك المزارع ، هذا
الحزم يسمى مبرّة ، وهو الذي يقول فيه كثير :

لعينيك منها يوم حزم مبرّة شريجان من دمع : نزيع وسافح^(١)
وقوله :

أقوى الفياطيل من حراج مبرّة فخبوت سهوة قد غفت فرمالها^(١)
وشمال مبرّة مررنا بمزارع أو قل أراض للزراعة العثرية ، تسمى
(مخشوش) وهي غير مخشوش ينبع ، ولعلها سميت لأنها خائشة
بين الحراج •

وتشتهر منطقة مخشوش بجودة الحجب وكثيرين من أهل بدر
مزارع فيها •

ومن هنا بدا لنا بناء يقيم في هذا الخبت يلوح بيننا وبين الغرابات
التي ظهرت من هنا بعيدة ، وتوقفنا فصلينا الظهر والعصر قصراً وجمعاً ،
ثم يممنا ذلك البناء •

وصلنا اليه في مكان يبعد ثلاثين كيلاً غرب بدر فاذا هو مخفر
السليّم ، تلك المحطة التي اصبحت مهجورة •

(١) « ديوان كثير » : ١٨١ ، ٣٥٤ ، تحقيق احسان عباس .

ماذا في السليم

وفي السليم مركز امارة كان أميره غائباً وأمامه سيارتان واقفان ومقهيان مهجوران، ومخفر شرطة مهجور أيضاً، وكان بعض الأخوياء^(١) اتخذوا منه مسكناً ، ذلك أننا عندما اقتربنا منه رأينا به روع نساء ، فجنبنا عنه .

وقابلنا أحد الأخوياء فدعانا الى مركز الامارة ، فشكرناه وواصلنا سيرنا .

وسبب هجر هذه المحطة أو المنهل القديم ، هو أن الطريق لما عبّد بين المفرق وينبع مربها فقامت بها مقامٍ وجعل فيها مخفر مرور ، ولما جدّد الطريق جنب عنها مطلع الشمس فهجرها أهلها .

ولا أدري ما سبب بقاء هذا المركز في أرض لا عريب فيها ولا مجيب والسليم واقعة في ديار بني يحيى من بني سالم من حرب ، وبقر بها الحدود بينهم وبين بني صبح .

السليم قديماً

قال البكري أثناء الحديث عن الجار : وذات السليم : ماء لبني صخر بن ضمرة قرب الجار .

ثم ذكر ذات السليم في بابها وأورد شاهداً لا يعينها .
ولم يذكرها كثير — فيما اطلعت عليه من شعره — وهو الذي خلد جاراتها : مبرة ، والبضيع ، والسري ، وغيرها .

ويعرف اليوم فرع من الأحامدة بالصخارنة (بنو صخر) ولا أعلم هل لهم صلة بضمرة أم لا ، ومساكنهم في الأشعر غير بعيدة من هنا .

(١) كلمة تطلق على خدام الأمير واعوانه ، وكأنها تعني (حرس) .

استغلال لا رادع له

واصلنا سيرنا جنوباً شرقياً باتجاه المفرق الذي يبعد عن بدر خمسة أكيال جنوباً غربياً •

وأثناء خروجنا من السليم كان يبرز الى يسارنا جبل نصع : أبرز الأعلام في هذه الناحية ، وتحت تربض النعيجة (نعيجة الغذية) ثم الى الجنوب من ذلك الغرابات ، بينها وبين نصع يجري وادي واسط ، وتمتد صحراء العذبية منا شمالاً الى شَطْب •

وكل هذه الأعلام تحدثنا عنها في الرحلة الثانية من هذا الكتاب •

نصف دجاجة بعشرين ريالاً :

وصلنا الى المفرق في الساعة الثالثة بعد الظهر ، وكانت المقاهي مكتظة بروادها من الحجاج ، ومحطات الوقود ليس بها موقف ، فتوقفنا أمام مقهى كبير ودخلناه فطلبنا نصف دجاجة مع الأرز ، وهو ما نسميه (كبسة) لأنهم يكبسون الأرز على الدجاج •

فجيء بذلك فاذا بأوصال الدجاج تبشّ دماً ، والأرز مائك غير مملوح ، فذهب حسين ليأتي بملح فلم يجد الا ملحاً كالحصاء ، نقوساً يبلغ حجم بعضها حجم البينة أو أكبر •

وقال : انه سمع صاحب المقهى يقول لأحد الحجاج : نصف الدجاجة مع الأرز بثلاثين ريالاً ! فاستأنا لذلك ، وتشاورنا الا نعطيه غير خمسة عشر ريالاً ، مع أنه ثمن فاحش ، وعندما نهضنا سألته عن الحساب ، فقال : عشرين ريال ، ومع أن المبلغ يساوي قيمة ثلاث دجاجات نيئات ، فقد فضلنا الدفع على النزاع •

وقد قدرت — كحد أدنى — أن من يأكلون في هذا المقهى يقارب الأربعمئة شخص يستهلكون مائة دجاجة على أقل تقدير ، تدر من

الربح (٣٠٠٠) ريال يومياً ، وهي حركة تستمر في هذا الطريق ثلاثة أشهر ، وعليك الحساب .

وأهل هذه المقاهي يستغلون الحجاج والمسافرين أسوأ استغلال ، فالكل هنا مسافر وليس لديه وقت للنقاش ، ولن يأتي هذا النقاش بفائدة وربما قذف بالمناقش الى خارج المقهى ، وليس لديه وقت للشكوى ، وربما تكون السلطة غائبة في مثل هذا اليوم السابع ، قبل الوقوف بيومين ، ولم نر تسعيرة في هذه المقاهي ، ومع غياب الروادع الحسية ، واغراء المادة ، أعطو ضمايرهم اجازة ، وحملوا عباد الله من ضيوف الرحمن وغيرهم مالا يرضاه العدل .

بنار الشيخ

خرجنا من الفرق على طريق مستورة جنوباً ، فسرنا في البزواء ، وكان الطريق مزدحماً بالسيارات ، وترى يمينه ويساره ضحايا الحوادث من السيارات المقلبة والمصدمة ، فسرنا في هذا الطريق حتى رأينا النصائف ، وهي مركز يتوسط البزواء ، ويعتبر المنصف بين بدر ومستورة ، وهو آخر سلطة رابع في الشمال ، وبالتالي الحد بين امارتي مكة والمدينة ، فجاءنا من اليسار وادي غيقة ، يدل عليه هذا الشجر من السمر الكبار الذي لا يوجد في هذا الساحل الا فيه .

فأخذنا مشرقين في أرض ميثاء ، تسير عليها السيارة بسهولة .

كنا ميممين بنار الشيخ ، والآبار في الحجاز كان لها شأن عندما كان قوام الحج على قوافل الجمال ، وكان وجود بئر على طريق من طرق الحاج يعني وجود محطة ، فاشتهرت بنار ابن حصاني ، وبئر مبيريك ، وبئر القاضي ، وبئر قيسي ، وغيرها كثير .

سرنّا خلال هذا الوادي في غابات من شجر السمر ، فمررنا بعد ود
كثيرة ، قال أحدهم : انها للمحاميد من بني سالم من حرب ، وليست
هذه ديار المحاميد ، انما خف ساكنها من بني صبح فوجد قوم من
المحاميد بها مسكناً طيباً ، فحفروا فيها الآبار وسكنوا جزءاً من هذا
الوادي الشجير .

ومنذ أن كنا في الرايس مروراً بالجار فالستليم فالفرق الى هنا ،
ونحن لازلنا في ديار بني صبح ، ولهم كما تقدم بدر وعيون كثير مما
يلي المدينة ، وكل وادي غيِّقة وما سال فيه ، وكل جبل ثافل الأكبر ،
الذي يسمى بهم فيقال : (جبل صبح) .

وهذا الوادي يسمى هنا (المَعْرَج) وأعلاه غيِّقة ، وما فوقها
الملف (ملف غيقة) ثم العرج ، ويعرف اليوم بالنظيم ، وسيأتي معنا غداً .

وكان الى يسارنا تكنع في الوادي سلسلة جبلية بسيطة تسمى هنا
(الثَّصِيْلَة) ووراءها رأى العين جبل (ظَبْيَة) تتصل شمالاً بجبل
كراش الذي يقع بين بدر وغيقة ، وظبية هذه التي عناها كثير بقوله :
فَعَيْقَة فالأكمال أكمال ظَبْيَة . تطل بها آدم الأطباء تروود

وعند منتصف المسافة بين النصائف وغيقة — تقريباً — وصلنا الى
بتار الشيخ : آبار في وسط الوادي يشرف عليها من مطلع الشمس عرق
رمل يسمى (الحبل) يظل ذلك العرق من المشرق جبل (ثافل الأكبر)
ويسمى اليوم كما تقدم جبل صبح . واياه عني كثير بقوله :

وان شفائي ظرة إن نظرتها الى ثافل يوما وخلفي شنائك
وان بدت الخيمات من بطن أرثد لنا وفيافي المرختين الدكادك

وتكون بتار الشيخ من ثلاث آبار واسعة الفوهات ، رهية الماء .
والى جانبها عشتان أو ثلاث مهجورة ، ويوت شعر ليست بعيدة عنها ،

ظهر الينا منها رجل فسألناه عن بعض المواضع فأخذ يخفي علينا ، فلما واجهناه باسماء ما نعرفه منها ، قال : (حنا نسمي الوادي وادي والجبل جبل) ! •

غَيْقَة

وادي فحل من أودية الحجاز الغورية ، يأخذ جل مياهه من ثافل الأكبر : شرقه وشماله وجزء من غربه أو غربه كله •

ويسمى أعلاه النّظِيم ، وهو ما كان يعرف بالعرج ، ثم ملف غيقة ، وهو اسم قديم ، ثم غيقة : باحة بين الجبال كالروضة العظيمة ، يشرف عليها من الجنوب ثافل الأكبر ، ومن الشمال الشرقي (فِعْرَى) ومن الغرب جبل كراش عن بعد ، وظبية •

تتوسط الوادي بئار ابن حصاني كما تقدم ذكرها في الرحلة الأولى ويصب فيها من الأودية : وادي بينة : من ثافل الأكبر • ووادي الخائع اليماني : يأتي بئار ابن حصاني من الشمال ، واسفله البتراء ، ثم القصيبة • وأودية أخرى ستمر معنا •

وقد وهم المتقدمون — رحمهم الله — فتناقلوا رواية منسوبة الى عرّام بن الأصبح تقول : ان وادي ليليل يصب في غيقة ، وقالوا : يصب في ينبع • وجاء الشيخ حمد الجاسر فسايرهم في هذا الوهم حيث حدّد غيقة بأنه : خبت على ساحل البحر ، يمتد من ينبع الى قرب بدر ، وتصب فيه سيول الصفراء وما بقربها من الأودية ، وسيول غيقة تصب في البحر • وهذا وهم أيماوهم ، فأين صحراء العذيب ؟ •

والصواب أن ما حدده الجاسر هو صحراء العذيب • وزاد وهماً حين قال : ويصب سيل رضوى في غيقة ، ثم يصب في البحر !؟ والشيخ

حمد الجاسر تنقل في جهات الصفراء وينبع ورغم ذلك فهو ناقل في معظم
المواضع التي ذكرها هناك .

بين بئار الشيخ وغيقة

وعندما تركنا بئار الشيخ متجهين الى غيقة كان الوادي قد عدل
شمالاً ، فعدلنا بعدوله ، فكان أمامنا في الشمال جبل ظبية ، ومن ورائه
جبل كراش ، والى اليمين قليلا جبل (غصّاص) ووراءه بعيداً يظهر
جبل فعري ، أما في الشرق فالرمل يدنو كثيراً ووراءه ثافل يعطي الأفق ،
فتذكرت قول كثير : وان شفائي ... الشعر المتقدم .

والحقيقة أن جبل ثافل أحمر جميل ، يوجي بالشموخ والعظمة .
والواقف في وسط غيقة مستقبلاً ثافلاً تكون شنوكة خلفه ولكن
على بعد ، ولعل القافية اضطرت كثيراً الى ذلك والا لو قال : وخلفي
فراقد ، كان وصفاً حقيقياً .

بينة

شرنا شمالاً مع ميل تدريجي الى الشرق فاعترضنا دعص يعيق
السير شقته سيارتنا بصعوبة ، ثم ظهرنا في دائرة غيقة الفيحاء ، وأول
ما وطأنا منها وادي (بينة) وادٍ هو أكبر روافد غيقة على الاطلاق ،
وهو يختلج الوجه الغربي لثافل الأكبر ثم يصب في غيقة بين بئار ابن
ابن حصاني وبئار الشيخ .

وبينة هذه التي يقول فيها كثير :

ألم تربع فتخبرك الطلول بينة رسمها رسم محيل
تحمل أهلها وجرى عليها رياح الصيف والسَّرب الهطول

ويقول أيضاً :

الشبوق لما هيجتك المنازل بحيث التقت من بيتين الغياطل
تذكرت فانهلت لعينك عبرة وجود بها جار من الدمع وابل^(١)

ويقول أيضاً :

أشواقك برق آخر الليل خافق جرى من سناه بينة فالأبارق
قعدت له حتى علا الأفق ماؤه وسال بفعم الوبل منه المدوافق

وتصحفت بينة على شارح ديوان كثير^(٢) فقال : (بيشة) • وكل
بيشة في شعر كثير هي بينة •

وقال كثير في بينة أيضاً :

سبتي بعيني ظلية يستنمها أغن البُعَام أعيس اللون راشح
الى أُرْك بالجزع من بطن بينة^(٣) عليهن صيّن الحمام النوائح^(٤)

وقوله أيضاً :

أمن أمّ عمرو بالخرق ديار نعم دارسات قد عفون ققاز
وأخرى بذى المشروح^(٤) من بطن بينة

بها لمطافيل النعاج صوار

وواصلنا السير قليلاً ، وعلى ٢٤ كيلاً من بئر الشيخ وصلنا
غَيْقَةَ ، وقد تقدم وصفها •

(١) ديوان كثير : ١١٨ ، ٢٩٣ ، ٤١٥ ، ١٨٦ •

(٢) هذا الديوان الذي رجعنا اليه : جمع وشرح الدكتور احسان عباس •

(٣) في الأصل بيشة •

(٤) ويروى المشروح •

ملف غيقة

ثم أخذنا في الملف صعوداً جاعلين الخائع وفعرى يسارنا ، وثافل
الأكبر فوجدنا شيخاً عند غنم له ترعى في فن السمر وكانت فقر عين
غيقة تتخلل ذلك الشجر .

فسألنا الشيخ عن المواضع التي تتردد في شعر كثير ، فأجابنا على
التالي منها :

بُعَال : أشار إليها الشيخ فاذا هي شعبة تصب من جبل فعري غرباً
في الخائع اليماني من الشرق ، على مرأى من بطن غيقة .
وبعال هذه التي يقول كثير فيها :

اربع فحىّ معالم الأطلال بالجزع من حرض فهنّ بوال
فشراج ريمة قد تقادم عهداها بالسفح بين أثيل فبعال
وقوله :

عرفت الدار كالحلل البوالي بفيف الخائعين الى بعال
كتانة : وأرانا كتانة ، قائلان : هما كتانتان : واحدة تصب في الخائع
اليماني من الغرب مقابلة بعال ، ترى من موقفنا هذا ، والثانية تقاسمها
الماء فتصب في وادي الصفراء عند عين الحسنية .

فراقد : قال : اظهرها مقابلة بعال من الغرب تصب من جبل الأجيل
في الخائع اليماني من الغرب ثم تصب الجميع : الخائع ونواشعه في غيقة .
وقد جمعها كثير في قوله :

وذكرت عزّة اذ تصاقب دارها برحيب فأراين فنخال
أيام أهلونا جميعاً جيرة بكتانة ففراقد فبعال^(١)

(١) في الأصل : ثعال ، وهو تصحيف .

وجمة : أشار الشيخ بيده فقال : تصب من الهضبة (فِعْرَى)
أيضاً غرباً في الخائع اليمانية مجاورة بُعال من الجنوب بينها وبين ملف
غيقة ، والهضبة اسم جبل فعرى اليوم ، ويسمونها هضبة غيقة •
وفي وجمة وكتانة يقول كثير :

أجدت خفوقاً من جنوب كتانة الى وجمة لما اسجهرت حرورها
ومرت على التقوى بهن كائنها سفائن بحر طاب فيها مسيرها (١)

نخال : وسألناه عن (نخال) التي وردت في الأبيات السابقة •

فقال : تجاور رحيباً في طرف وادي الصفراء من الشمال •

قلت : رُحَيْب في وادي الصفراء فوق الحمراء مما يلي المدينة ،
يجاور رحاباً •

وآراين : بالباء الموحدة ، وصوابها الآراين ، بالياء المثناة تحت •

ولم يعرف ذلك الشيخ (التقوى) • وأظنها أنا ريع الخائع حيث
يتقاسم الخائعان ماءهما ، ذلك أن من يريد جهات وادي الصفراء من
جنوب كتانة ووجمة لا بد أن يمر في هذا الريع •

وريسة قرب الروحاء مما يلي المدينة ، أما حرض ، فصوابها :
خُرْص • وقد تقدم (٢) •

(١) ديوان كثير ص ٣١٣ •

(٢) عندما نقول لشيء قد تقدم ترجى مراجعة الدليل لمعرفة موضعه •

من غيقة الى المسيجيد

سرنا مصعدين في ملف غيقة فضاق الوادي وأصبح حثراً لاسهل فيه ، بين سلاسل من جبال عالية ، أهمها سلاسل ثافل التي لازالت تسايرنا ، وأهمها هنا (المنصير) أحد رؤوس ثافل الشمالية ، والذي يحتاج الناظر اليه من هنا الى أن يرفع رأسه الى أعلى .

وعلى (٢٩) كيلاً من بئار ابن حصاني افترق الوادي: فوادي النظيم (العرج قديماً) استمر مشرقاً ، وهو يلب ثافلاً من الشرق حتى يجعله بينه وبين غيقة . ووادي (العود) عاد يساراً شمالاً ، وهذا هو طريق الحاج قديماً الى المدينة ، فرنا فيه قرابة كيلين اثنين فصعدنا (الشفية) وهي ما كان يعرف بشرف الأثاية ، وهذه ستتحدث عنها في رحلتنا غداً . كانت الشمس قد قاربت المغيب ، فحشنا السير باتجاه المسيجيد للمبيت هناك .

ومنذ أن خرجنا من الشفية الى قرب المسيجيد ونحن نسير في وادي الجي .

ليلة باردة

وصلنا المسيجيد بعد فوات الصلاة بقليل ، فتوقفنا وصلينا المغرب والعشاء ، فاذا الازدحام يبلغ أشده ، فهذه الليلة الثامنة في الثمان^(١) ، وغداً هو يوم التروية ، والحجاج في أقصى سرعتهم ، والمقاهي هنا متسخة وبد لنا المبيت هنا صعباً جداً ، فاقترح الحسين أن نواصل سيرنا الى

(١) أهل مكة يقولون لليوم الاول من ذي الحجة : واحدة في الثمان اي الایام التي تسبق الوقفة .

المدينة ، وهكذا كان • وصلنا المدينة بعيد صلاة العشاء فتعشينا في
المناخة ، وخرجنا الى مقهى قرب بئر عروة ، وكان التعب قد أخذ منا كل
مأخذ ، فدخلنا الى داخل المقهى فاذا به يعج بالصخب ، فاذا جمع من
اليمنيين يملأونه ، وظهر أن أكثرهم يبيت فيه ، ولذا فقد فضلنا أن نبيت
على سرر من هذا المقهى في العراء بجوار سيارتنا ، وهذه الليلة توافق
الثامنة من فصل القوس ، التاسعة والعشرين من تشرين الثاني نوفمبر ،
وهو فصل تبرد فيه المدينة — عمرها الله — وكانت ليلة ليلاء أحسنا
فيها كأن الثلج يدخل بيننا وبين البطانيات التي كنا نلتحفها •
وفي الصباح عدنا الى المدينة فافطرننا ، وعدنا الى المنصرف لنواصل
رحلتنا على درب الأنبياء •



اليوم الثاني للرحلة بين المنصرف والرؤيثة

قد مر معك فيما تقدم أن المسافة بين المدينة والمنصرف واحد
وثمانون كيلاً .

وصلنا الى المنصرف في الساعة الثامنة والنصف صباحاً ، ومنه
أخذنا درب الحاج القديم (درب الأنبياء) الذي يمر بمحطات : الرؤيثة ،
وشرف الأثاية ، وبئر الطلوب ، والقاحة ، والسقيا الى مكة .

وتر

وعلى خمسة أكيال مررنا بمحطة مهجورة فيها بئر تور ، كانت
بعض القوافل تحطها تحاشياً للزحام في المسيجيد ، هذه المحطة تسمى
(وتر) : تقع على مصب شعب يعرف بهذا الاسم ، ينقض من يسار
الطريق من جبل أحمر يسمى (الحوراء) : تراه من المسيجيد قبلة
المصلي . ولم تكن هذه المحطة من المحطات المشهورة قديماً ، غير أن
العصور المتأخرة زاد فيها عدد حاج المسلمين ، فازدحمت المحطات
القديمة ، فصارت كل قافلة تبحث عن مورد ماء فتجعله محطة .

فنشأت محطات كثيرة ، منها هذه المحطة وغيرها ، كبئر الشيخ ،
وبئر ميريك ، وآبار عديدة على هذا الطريق .

ووجدنا الطريق هنا قد مهد تمهيداً يوحى بأنه سيعبد قريباً ، لذا
فهو يسير مستقيماً ، بينما طرق القوافل كانت متعرجة تميل يميناً ويساراً
طلباً للمياه والأرض الصالحة للمناخ .

الرؤيثة

وسألنا شيخاً كان بوتر عن الرؤيثة ، فقال : لا أعرفها ، ولكن أول
محطة للجمال بعد المسيجيد تجدونها جنب ذاك الجبل الأحمر .

وبعد ما يقرب من عشرة أكيال من وتر فرقنا عن الطريق الممهّد
يميناً فجزعنا سيل وادي الجي ، وعلى ١٧ كيلاً من المنصرف كنا في
محطة قد تدعى معظم ما بها من مبان سريعة الفناء ، فاذا هي في مضيق
وادي خلص بين جبلين • ووادي خلّص : واد يسيل من جبل خلّص
الذي يشرف على مضيق الصفراء من الجنوب ، وعلى الجي من الغرب ،
والوادي يسيل من الجهة الجنوبية الشرقية من جبل خلص ، فيتجه شرقاً
فيصب في وادي الجي من ضفته اليسرى ، وقد استفاد السكان من
وجود ذلك المضيق فحفروا آباراً لازال بعضها يورد ، بينما اجتحفت
السيول بعضها ، فترى منها الشقماء والمطمورة والمندفنة •

وفي المحطة آثار مبان بالحجر ظاهرة ، ولكنها مهجورة ، وبعض
حوائيتها لازال صالحاً للاستعمال •

وعلمنا من الشيخ أنها هجرت مع بداية السيارات على هذا الطريق
وبالتحديد بين (١٣٤٧ و ١٣٥٠ هـ) •

هذه المحطة هي ما كان يعرف بالروثة ، وترددت في كتب الجغرافيين
انها متعشى ، غير أن نظام القوافل تغير وتطور بعد أن سيطرت قبيلة
حرب على هذا الطريق بين القرن الثالث — تقريباً عندما أصبحت لها
صولة وجولة — الى منتصف هذا القرن^(١) ، فنظمت المحطات ، وقصرت
حسب وجود المياه وراحة الجمال التي تظل خمسة أشهر تتردد على هذا
الطريق •

أما المحطة فقد عرفت عندهم باسم (محطة خلّص) لوجودها
في وادي خلص •

(١) انظر كتابي « نسب حرب » •

البنائية أو بئر الغنم

وعلى ستة أكيال من الرويثة شرقاً وصلنا الى (البنائية) بئر الغنم ،
والاسمان معروفان : محطة في وادي الجي على بئر كبيرة ، وعندها
حوانيت ومدرسة ابتدائية ، وهي للروثان من بني سالم من حرب ، وهذه
المحطة هي التي ذكرها صاحب المناسك ، وسماها الجي ، والجي الوادي
كله ، وانما أراد محطة الجي ، حيث قال ، ومن الرويثة الى (جي)
أربعة أميال . وهو قول صحيح . وقوله جي ، الجي : بالتعريف دائماً
ولم يذكر بدون ال .

ووجدنا شاباً على البئر انقطعت سيارته من الوقود ، فاعتذرنا منه
بأننا نسير في طريق ليس فيها وقود ، فلما عرف أننا سنستمر على هذا
الطريق الى رابع عذرنا ، وقال فعلاً ليس أمامكم الا ان وجدتم في أم
البرك ، ولكنهم يبيعونه بالصفائح بلا ضخ وبقيمة مضاعفة .

وادي الجي

وادي فحل يسيل من جبال قدس من سفوحها الغربية ، ويأخذ مياه
ورقان الجنوبية ، ويسمى أعلاه الحَلَّة ، ثم الجي ، فيصب في وادي
الصفراء من ضفته اليسرى فوق مضيق الصفراء ، وليست فيه زراعة ،
وكل ما فيه من سكن دائم هو هذه المحطة (البنائية) .

شرف الأثاية

منذ أن خرجنا من المسيجيد (المنصرف) وأمامنا علم بارز يعلو
كل ما حوله من أعلام ، يضرب الى الحمرة ، هذا هو المنصير الذي
تحدثنا عنه بالأمس .

وعلى (٣٠) كيلاً من المسيجيد افترق طريق شرف الأثاية عن
الطريق الممهّد الى اليمين ، حيث قُتْز الطريق الممهّد على طول وادي الجي
ثم يدعاً فالرصفة فالقاحة ، وتجنب طريق الأثاية والعرج لأنه يمر في ثنايا
صلبة وأودية ضيقة .

تركنا الطريق المهد فسرنا في براح جلد يرتفع تدريجياً حتى يصير نجداً مستوياً تكون عقبة شرف الأثاية نهايته الجنوبية ، وبعد مسير أربعة أكيال فقط من هذا المفرق كنا في محطة شرف الأثاية ، أي على ٣٤ كيلاً من المنصرف و ١٧ كيلاً من الروثة •

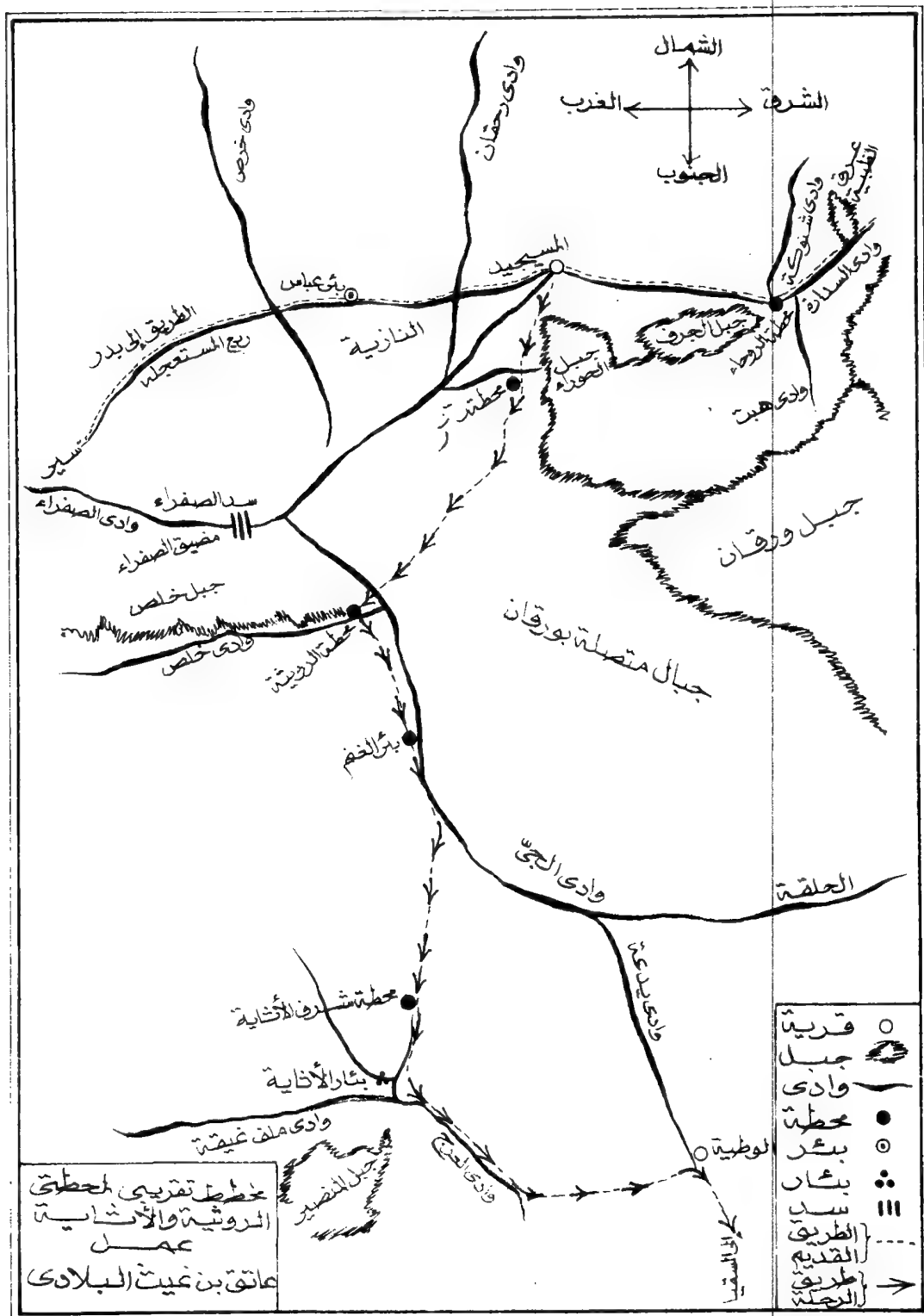
وينص صاحب المناسك على أنها على أحد عشر ميلاً • وهو قول مطابق تقريباً لهذه المسافة •

وظلت هذه المحطة على مر العصور قائمة تحدثت عنها كتب الجغرافية ، وأطال بعضها في نصوص ليست واردة هنا ، وذكر الهمداني أن قبائل حرب أوقعت بابين ملاحظ يوم شرف الأثاية^(١) •

الشفية

وشرف الأثاية عرفت — ولا زالت — عند أهل القوافل والديار باسم (الشفية) تصغير شفة ، ذلك أنها تشف من جهة على جهة أخرى وهو اسم يطلق على نظائرها مثل: شفية الفرع : وشفية الصلصة وغيرها .
وقفنا على هذه المحطة فاذا بسوق مهجور فيه ما يزيد على (٢٠) حانوتاً ، ما زال كثير منها قائماً مقفلاً بقل ، مما يدل على أن السكان يستعملونها كمذاخر للحشيش وقت الربيع ، ويخترقها الطريق من الشمال الى الجنوب بين صفين من هذه الحوانيت المبنية بالحجارة غير المخصصة وماؤها يأتيها من آبار الأثاية الآتي ذكرها ، وهي في قرارة ، يمتد منها شمالاً ذلك السهل الذي وصفناه آنفاً ، وينحدر الطريق منها جنوباً انحداراً حاداً في شعب ضيق وعر باتجاه العرج ، ويتصل بها جبلان من الغرب والشرق •

(١) راجع « معجم معالم الحجاز » و « نسب حرب » ، مادتي شرف الأثاية ، والأثاية .



آبار الأثاية

تسمى اليوم بئار الشفيفة نسبة الى المحطة المتقدم ذكرها ، وصلنا اليها في نهاية انحدار العقبة على كيل ونصف الكيل تقريباً ، وهي عدة آبار بعضها ما زال يستقى منه ، وبعضها قد هجر ، وهي في ملتقى ذلك الشعب الذي أتينا معه ووادي الوهيق الذي يأتي الطريق من مغيب الشمس ، وجل الآبار ذات طي محكم وسعة ظاهرة ، ويشترك في ملكية هذه الآبار أشخاص من قبائل شتى من حرب •

وكان المتقدمون يفرقون بينها وبين شرف الأثاية ، فيقولون لك : شرف الأثاية ، وهم يعنون تلك المحطة ، لأن الشرف هو المكان المشرف • ويقولون : الأثاية ، ويعنون هذه الآبار المنسوب ذلك الشرف اليها • وقد ذكروا أن بها مسجداً لرسول الله ﷺ (١) ، ولم نجد له أثراً •

وعند احدى الآبار حائط صغير غرس فيه ودي لم يطلع بعد ، عدده عشرون ودية ، يسقى بالدلو •

الوهيق

وادي الأثاية يسمى الوهيق : بالتصغير ، وجدنا صبيّاً على احدى الآبار يسقي حميراً ، يظهر أنه في الثالثة عشر من عمره ، قال : انه يدرس في مدرسة بئر الغنم ، سألناه عن ذلك الوادي فقال : يسيل من جبال (المَعْدَبَة) بين خلص وفِعرى ، ثم يتجه شرقاً ، وفيه آبار ونخيل عثارى ، الى أن يصب هنا ، واذا تجاوز هذه الآبار يسمى (العَوْد) فيسير حتى يجتمع بوادي التنظيم (العرج قديماً) فيكونان وادي الملف

(١) راجع « معجم معالم الحجاز » و « نسب حرب » ، مادتي شرف الأثاية ، والأثابة •

(ملف غَيْقَة) وكان وصفه دقيقاً وقوله صدقاً رغم أنه لا يعلم أننا نعرف شيئاً من هذه الديار .

العَرَجُ والمنبَجِس

غادرنا ذلك الغلام الصدوق منحدرين مع وادي العود ، فلم نلبث أن جاءنا من اليسار وادي العرج ، ويعرف اليوم بوادي التنظيم كما تقدم ، وهو كما أسلفنا يجتمع مع العود فيكونان ملف غيقة ثم غيقة ثم المعرج الى الساحل .

وعلى ملتقى الواديين الى داخل العرج قليلاً حائط عثري يصب عليه شعب من يسار الطريق ، هذا الحائط يسمى (المديراء) من المدر ، وهو الطين .

وهذا المكان ينطبق عليه اسم (المنبَجِس) حيث قال صاحب المناسك : المنبجس في أدنى العرج ، فيه عين ربما كان فيه ماء وهو عن يسار الطريق في شعب بين جبلين^(١) .

لكن لم نجد أثراً للعين ، ووجدنا أهل بيوت شعر على الطريق فسألناهم عن العين ، فقالوا : انهم لا يعلمون عنها شيئاً .

وسألناهم عن مسجد لرسول الله ﷺ ، عند سلمات وقبور . قالوا : قدامكم الوطية في وادي يدعا ، يقال : ان فيها موطئاً لرسول الله ﷺ ، وكلمة (موطىء) عند أهل هذه الديار تعني مكان يروى أن فيه أثراً لرسول الله ﷺ ، صعدنا في الوادي ، وفيه أبار متفرقة ونخل عثري عند افتراق الطريق عن الوادي .

(١) عما رويناه عن صاحب المناسك راجع دليل المناسك .

وبعد مسيرة عشرة أكيال افترق الطريق يساراً عن الوادي ،
فاستمر الوادي ممعناً بين الجبال حيث صار الآن يلب ثافلاً من الشرق
ويوغل حتى يأخذ كثيراً من مياه وجهه الشرقي ، أما الطريق فعلا أكمة
انحدر بعدها في وادي يدّعا : أحد روافد وادي الجي •

أكبر أعلام الحجاز

ومن هذا المكان في مرتفع بين العرج ويدّعة - كذا رواها ياقوت
بالهاء وبالتحريك ، ويرويها أهلها يدعا بالقصر - متاح لك فرصة أن
تري أعظم أعلام الحجاز وأشمخها ، فأمامك مطلع شمس تبرز جبال
قدس سادّة الأفق ، متجهة من الشمال الى الجنوب ، وهي قرية جداً
من هنا ، والى يسارك غير بعيد ترى جبل ورقان منتصباً شامخاً ، والى
خلفك جبل ثافل غير بعيد ، يدرك كل ماوراؤه ، وإذا مددت بصرك
باتجاه الجنوب ، وكان بصرك حديداً رأيت ذرى جبل آرة الذي يرى من
هنا كما يرى من زابغ ، أما الى يسارك شمالاً فإمكانك أن تتهجس قمم
جبل الأشعر ، بعيداً من وراء وادي الصفراء •

وادي اليدعة والوطية

خرجنا من العرج فعلونا ذلك الحزم الذي وصفنا منه أعلام الحجاز
الشهيرة ، فهبطنا في وادي اليدعة - كما نطقه شيخ هناك - وهو :
وادي يأتي من يمين الطريق الى يساره ، فإذا اجتمع بالحقلة كونا وادي
الجي ، وهنا لاءمنا الطريق الممهّد الذي تركناه يسير في الجي عندما
فرق طريق شرف الأثاية •

ومن هنا رأينا شمالاً عدلاً شرفة الغائر : ذلك النقب العسر
الذي يفصل بين سلسلة قدس وجبال ورقان ، والذي كان الجمّالة
يضطرون الى انزال ركا بهم عن الجمال أثناء الصعود فيه مما يلي مكة •

وفيه يقول أحد الجمّالة :

لي سيّد ماعطا الغائر ولا شاف ورقان بعيونه
ولا شاف دمّ الحشا سائل والترك بام خمس يرمونه

وكان الغائر يعرف بركوبه ، وقد أخذه رسول الله ﷺ ، في
مهاجرته الى المدينة ، وهي من أعسر مسالك العرب ، قال بشر بن أبي
خازم :

سبته ولم تخش الذي فعلت به منعمة من نشء أسلم ومعصر
هي الهم لو أن النوى أُنصبت بها ولكن كراً في ركوبة أعسر

فذهب عجز بيته الأخير مثلاً ، فقيل : (كراً في ركوبة أعسر) •

وحدا ذو البجادين برسول الله ﷺ ، وهو صاعد في ركوبة ،
فقال لناقته :

تعرضي مدراجاً وسومي تعرضّ الجوزاء للنجوم

هذا أبو القاسم فاستقيمي^(١)

سرنا على ذلك التمهيد قرابة خمسة أكيال فوصلنا الى المكان
المسمى بالوطية ، على (١٦) كيلاً من شرف الأثاية ، أي على قرابة
عشرة أميال على الحساب العربي القديم •

وفي الوطية أو الوطأة قرية مهجورة تحيط بها ثلاثة حوائط بها
نخل باد عليه الظمأ ، وهي وسعة أرض كالفرعة بين الجبال ، وهي صدر
وادي اليدعة على طريق الحاج القديم ، وإلى يسار الطريق مسجد شمسي
محدد بصف من الحجر ، ولا استبعد أن يكون هو مسجد رسول الله ﷺ ،
حيث ذكر صاحب المناسك : أنه على خمسة أميال من العرج ،

(١) « معجم البكري » و « معجم البلدان » ، مادة ركوبة .

وأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، كان يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهجرة فيصلي الظهر في ذلك المكان^(١) . وهذا المكان منطبق تماماً على هذا الوصف ، فالمسافة منذ خرجنا من بطن وادي العرج الى هنا قرابة ثمانية أكيال ، أي قرابة خمسة أميال .

الحفّاة

خرجنا من الوطية ، وقد عاد الطريق الى الجنوب ، فأخذنا في سهل هو على طول وادي يدعا ، وعلى عشرين كيلاً من شرف الأثاية أي أربعة أكيال من الوطية انحط بنا الطريق في منحدر لحب بين جبلين ، هذا المنحدر يسمى (الرصّفة) : شعب وعقبة يأخذ الطريق الى القاحه فيهما ، وهو أحد روافد القاحه وأول نواشغها مما يلي العرج ، وفي رأس الرصفة تتقاسم الماء اليدعة والرصفة ، تلك في الجي ثم وادي الصفراء ، وهذه في القاحه ثم الأبواء ، وسميت الرصّفة لأنها كانت وعرة فرصفت ودرجت فصارت الجمال تسير فيها بسهولة .

وهذه أول ديار عوف .

وبعد ثلاثة أكيال أي ٣٣ كيلاً من شرف الأثاية وصلنا الى الحفّاة، وهي متسع نسبي كاللدّوار تتكون فيه ثلاثة روافد ، ثم يبدأ وادي القاحه الشهير .

وهذه الروافد الثلاثة هي : الرصفة المتقدم ذكرها ، وشعب فيد : شعب يأتي الحفّاة من الشمال العدل ، يأخذه طريق الغائر ، يأخذ فيدا ثم يهبط طرف اليدعة الشرقي ، ثم يأخذ ريع العقنقل ثم يهبط وادي الحلقة ، ثم يصعد الغائر ، والرافد الثالث يسمى الحفّاة أيضاً : يصب من

(١) « المناسك » ص ٤٤٩ تحقيق حمد الجاسر .

مطلع الشمس من جبل قدس ، ويسمى الصافح الذي يسيل منه من
قدس الحفاة أيضاً ، فالحفاة محطة ، وشعب ، وجبل .

والمحطة مهجورة تماماً ، وفيها آبار قديمة حسنة الطي واسعة
الفوهات ، تنسب كل بئر منها الى رجل من أهل الديرة ، وفيها حوانيت
مهدمة ، ولا حياة في المكان سوى بويتات شعر هناك .

وقد تعود الحياة الى هذه المحطة ومثيلاتها اذا عبّد هذا الطريق
فهو أقصر من تلك التي تمر ببدر ، وله ذكريات تاريخية جميلة .

وكانت هذه المحطة تسمى بئر الطلوب ، وهي التي اطلع فيها معاوية
فأصيب باللقوة .

وكان حلول السيارات محل الجمال مؤذناً بخراب هذه الديار
فهاجر أهلوها جماعات جماعات حتى أقفرت ديارهم فخرت قراهم
وأصبحت في عداد الآثار ، كالروثة والشفية ، وهذه المحطة^(١) .

ويشرف على المحطة بل قل يتفرعها جبل قدس عالياً شاهقاً ، حتى
أنك تستغرب اذا قيل : ان في شعوفه سكاناً لهم نخيل ومعاسل
يعملون عليها .

وقد ذكر قدس في الشعر بأنه معقلاً وحصناً حصيناً . وهذا كثير
يقول فيه :

كأن أخاه في النوائب ملجأً الى علم من ركن قدس المنطق
ويقول :

كل المضرحي عدا فأصبح واقعاً من قدس فوق معاقل الأوعال^(٢)

(١) عن هجرت حرب ، انظر كتابي « نسب حرب » .

(٢) ديوان كثير ص ٢١٥ ، ٢٨٨ .

وقد سبقت الإشارة الى أنه ينطق اليوم (ادقس) شرحنا ذلك في
الرحلة الأولى من هذا الكتاب ، في اليوم الثالث •
وسكانه اليوم وملأك أرضه قبيلة عوف من مسروح من حرب •

بئر قَيْضِيّ

وعلى (٣٥) كيلاً من شرف الأثاية و (١٢) كيلاً من الحفاة
وصلنا الى بئر قَيْضِيّ : بئر في الجانب الأيمن من وادي القاحة ، حفرها
رجل من عوف يسمى (قَيْضِيّ) فعرفت به ، فصار الحاج اذا ازدحم في
الحفاة سار من لم يجد مناخاً الى بئر قَيْضِيّ ، فاصبحت محطة ، فلما
تحول طريق الحاج الى طريق السيارات هجرت المحطة كباقي محطات
هذا الطريق •

وفي أواخر الثمانينات من هذا القرن عيّن الشيخ بخيت بن ناصر
ابن بخيت بن بنيان اللهيبي أميراً على وادي القاحة ، وكان أبوه ناصر
أمير اللهبّة عند حلول الدولة السعودية محل الدولة الهاشمية ، وكانوا
أهل جمل وثروة ، وفي نهاية الحرب العالمية الثانية توقف عمل الجمل في
هذه الديار ، فاجتاحتها مجاعة مخيفة ، حتى كان الرجل يهاجر بالسبعة
أو الثمانية من أسرته فلا يصل الى مكة الا بأقل من النصف ، هكذا
حكاه الأحياء منهم •

وهاجر ناصر بأسرته مع من هاجر ، وبقيت هذه الديار شبه خلاء ،
ولم يعد إليها من هاجر من أهلها ، بل توطنوا في المدن وأصبحوا أهل
ثروة ومناصب كبيرة ، ولم يعد منهم من يتصور مجرد عودته إليها وهو
أمر طبيعي •

ثم عين بخيت المذكور أميراً على القاحة ، فلما وصل الى هنا لم
يجد في امارته كلها قرية واحدة ، فلجأ الى بئر قَيْضِيّ ، فقامت بعض

المباني القليلة هنا ، مثل : مبنى الامارة ، ومدرسة ابتدائية ، وبوتقات ينزلها المدرسون ، وهذا كل ما يوجد هنا .

وبهذا أصبحت بئر قيسي قصبة القاحة القاحلة ، ولا تتبعها قرى ، وانما بيوت شعر هنا وهناك ، قد يبلغ عددها المائة ، وتتبع هذه الامارة امارة بدر .

والقاحة قاحلة من الزراعة الا ما يوجد حول بلدة السقيا ، والسقيا وما جاورها خارجة من امارة القاحة ، ذلك أنها لقبيلة العبدية من بني عمرو من حرب ، ومركزها يتبع الفرع .

وفي القاحة هذه مر رسول الله ، ﷺ ، في مهاجرته الى المدينة ، وفيها حدث الخلط بين القاحة : بالقاف والحاء المهملة ، وبين الفاجة : بالفاء والجيم .

والفاجة : بالفاء والجيم : أحد روافد القاحة : بالقاف والحاء المهملة (١) .

وكان الوقت وقت الظهيرة ، والطقس معتدل ، فتجاوزنا بئر قيسي وتوقفنا للصلاة ثم تناول طعام الغداء مما أحضرنا معنا من طعام ، وكان الحطب كثيراً هنا مما يسر لنا عمل الشاي .

كنا نسير يومنا في طريق وعرة متعبة ، وكنت في هذا الوقت بالذات أحس بشيء من الارهاق ، فقلنا تحت شجرة سمر ، وبعد ما يقرب من الساعة واصلنا سيرنا ، وقبل وصولنا الى السقيا توقف التمهيد الذي كنا نسير عليه بعد اليدعة .

(١) انظرها في « معجم معالم الحجاز » .

السقيا

وعلى (٢٦) كيلاً من بئر قضي وصلنا الى السقيا بأسفل القاحة وقد تقدم الحديث عنها في الرحلة الأولى من هذا الكتاب ، وكل ماجد فيها بين عامي ١٣٩٣ و ١٣٩٦ هـ هو بناء فخم ذو فناء واسع ، فيه ملاعب وله بوابه واسعة ، هذا البناء هو — فيما علمت — مدرسة لم تفتح بعد . وكانت المدرسة أثناء زيارتي لها سنة ١٣٩٣ هـ في بناء قديم رديء ويبدو أنها لازالت فيه .

هرثي وتمني

ثم واصلنا سيرنا منحدرين في وادي القاحة ، فمررنا ببئر مثيريك المتقدم ذكرها ، وعندها كان التقاء وادي الفرع ووادي القاحة مكوّنين وادي الأبواء، فسرنا في وادي الأبواء يسيراً ثم خرجنا يساراً في وادي يقال له : (السيّر) : وادي صغير لا زرع فيه ، يأخذ مياه تَمَن ، والجهات الشرقية من الطوال البيض ثم يدفع في الأبواء من طرفها الجنوبي .

وعلى عشرة أكيال مررنا بآثار المقيتلة : آثار قرية مندثرة بطرف وادي السيّر عند التقائه بتمن (تمنّي قديماً) ، وفي السيّر قريب منها آبار للسقيا ، وفي المقيتلة : آثار مبان لمحطة قديمة ، منها أثر مسجد تستطيع أن تعرف على محرابه .

وهي واقعة على الجادة التي لا تمر بودّان ، ولعلها حدثت بعد اندثار ودّان ، ثم اندثرت بسبب من الأسباب^(١) ذلك أن اندثارها ليس من جراء تحول الطريق ، ولكنه اندثار قديم فلم تبق من آثارها سوى رموس بالية .

(١) انظرها في معجم معالم الحجاز .

ومن السَّيِّرَ ظهرنا في براح ، وهو طرف ثمن من الغرب ، تظللّه
العشي جبال الطوال البيض ، وتمن منا ويسار : وسعة أرض بين الحرار
ذات مراع ومزارع عشية للبلادية من بني عمرو •

وورد في كتب المتقدمين باسم تمنى ، فقال كثير :

كأن دموع العين لما تخلّلت مخارم بيضاً من تمنّي جمالها
قبل غروباً من سميحة أنزعت بهنّ السواني واستدار محالها

ثم مررنا في ظل الطوال البيض ، وهي تسمى اليوم كما سبقت
الإشارة (طوال حمامة) ثم هبطنا في (حمامة) : تلعة كبيرة تمر بين
الطوال البيض وبين ثنية هرشي ، ويستمر سيلها الى أن يمر بآثار ودّان
ثم تدفع في الأبواء من اليسار •

وعلى (١٣) كيلاً من بئر مبيريك وصلنا ثنية هرشي ، وكان أول
ما قابلنا منها مسجد على وجه الثنية من الشمال ، ينسب أهل هذه الديار
الى رسول الله ، ﷺ ، وهو مقابل لفم الثنية بحيث لا يكاد يجيد عنه
الطريق ، وأخشى أن عبّد الطريق أن يجرف هذا الأثر ، خاصة أن
معظم منفذي الطرق ممن ليست لهم خبرة ولا حرص على مثل
هذه الآثار •

وهرشي : اسم حرة تكتنفها ثنيتان ، تسمى الكبرى ثنية هرشي ،
ويأخذها الطريق القيم ، وتسمى الاخرى هريشاء ، ولا يأخذها الا
الراجل أو خفاف المطايا ، ولذا قال الشاعر :

خذ أنف هرشي أو قفاها فانما كلا جانبي هرشي لهن طريق

ذلك أن الطريقين يفضيان الى مكان واحد • وثنية هرشي شديدة
الانحدار الى الجنوب أما في الشمال فهي تظهر في نجد مستو ، وتمتد
الحرة غرباً فتسمى حرة بيض ، وتقدم الحديث عنها • وتمتد شرقاً متصلة

بحرة الشيباء ثم حرة بني عمرو شمال حرة ذرّة ، وتبعد هرشي عن رابغ (١٨) كيلاً شمالاً شرقياً ، وكان طريق الحاج يطؤها بين السقيا والجحفة ، ثم بين السقيا ورابغ بعد اندثار الجحفة •

وفي أول عهد السيارات شقت الثنية للسيارات ، ولكنه تمهيد بدائي بأيدي العمال ، ذلك أن الآلة لم تستخدم آنذاك في بلادنا • ثم تحول طريق السيارات الى مستورة فبدر ، فهجرت الثنية وخربتها السيول ، وظهرت لنا مخيفة في انحدارها ، ولكن صعودها أكثر خوفاً ومشقة •

وتأخذها اليوم سيارات البادية في عناء لا بد منه ، ذلك أن كل من أراد الفرع والقاحة من جهات رابغ ليس أمامه الا طريقان : هذا الطريق أو طريق مستورة ثم الأبواء ، وهو طويل ، والفرق بينهما ٥٧ كيلاً ، ذلك أن المسافة من رابغ الى بئر مبيريك عن طريق هرشي = ٣١ كيلاً فقط ، وان هذا الطريق عن طريق مستورة = ٨٨ كيلاً أي مايقرب من ثلاثة أضعاف الأول •

وفي الساعة الخامسة والنصف كنا نستبق نحن والشمس الى رابغ هذه البلدة الجميلة الهادئة التي يمر بها الناس مسرعين ، وتكاد تكون في آخر قائمة التخطيط ، ولا زال ميناؤها مهجوراً ، ولا زال أهلها يستضيئون بفوانيس القاز •

رابغ

في الثامن من ذي الحجة سنة ١٣٩٦ هـ

الرحلة الرابعة

مَرَيِّين أو مَرَيِّين

في يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ شوال سنة ١٣٩٨ هـ المصادف ٢٦ أيلول سنة ١٩٧٨ م ، كنت عائداً من رحلة لي طفت بها مدن القصيم ونواحيه ، ولما وصلت الى المدينة اهتبلت الفرصة للبحث عن تلك المدينة أو الأرض الزراعية التي أكثر المتقدمون من ذكرها ، واختلفوا في تركيب اسمها ، فقالوا : مَرَيِّين ، وَيَّين ، ومَرَيِّين •

والنصوص كثيرة على هذا الموضع ، والإختلاف في اسمه متقارب ، وكذلك الاختلاف في موقعة متقارب •

١ - الاختلاف في اسمه : قال البكري في « معجم ما استعجم » :
يَّين ، وجعله خاتمة كتابه • وأورد شاهداً ليس عليه انما على إير ،
وقرنه بشرب •

وإير وشرب مكانان من نجد •

وقال ياقوت : يَّين : بالفتح ثم السكون ، وآخره نون • ثم
أورد عن ابن إسحاق ان اسمه (مَرَيِّين) فهو ههنا مضاف الى مَرَّ •
وأعتقد أن هذا وهم من ياقوت - يرحمه الله - لأن الذي في السيرة
(مَرَيِّين) مشى مَرَى •

وفي لسان العرب : (يَّين) اسم موضع •

والذي في السيرة : أله ﷺ ، في غزوة بدر ، مرّ على ثربان ،
ثم على ملل ، ثم على غميس الحمام من (مَرَيِّين) ثم على صخيرات
اليام ، ثم على السيالة • أي أن مَرَيِّين هنا مشى (مَرَى) •

وفي كتاب أبي علي الهَجَرِي : ان يَئِن كانت بلد فاكهة المدينة ، وكانت تعرف من قريب بقرية بني زيد ، فوقع بينهم وبين بني يزيد حروب ، فجلا بنو زيد عنها الى الصفراء ، وبنو يزيد الى الفرع (١) .

ما تقدم ترى أن الخلاف متقارب في هذه التسمية ، والذي أرجّحه أن اسمها كان مثنى (مَرَى) فقليل : (مَرَيَيْن) بناء على السماع ، فلزمه البناء على ذلك .

موقع مَرَيَيْن

الاسم لا يعرف اليوم ، ولتحديده لابد من أمرين :

١ - العودة الى النصوص القديمة .

٢ - المشاهدة لتطبيق النصوص . فماذا قالت النصوص في تحديده ؟

أ - سبق معنا النص الذي في السيرة بأنها تشمل غَميس الحمام ، أو هو جزء منها . وغميس الحمام لازال معروفاً مبيناً في المخطط المرفق .

ب - يقول أبو علي الهجري : عَبْشود جبل بين مدفع مَرَيَيْن ، وبين ملل ، ومَرَيَيْن طريق ، أي يسلك هناك ، وبريد مريين بطرف عبود . واعتقد أن جملة (ومريين طريق ، أي يسلك هناك) يكون صوابها (ولمريين طريق . الخ) . ومن تحديد الهَجَرِي يتضح جلياً أنها كانت بسفح جبل عبود ، حيث قال : وبريد مَرَيَيْن بطرف عبود .

ج - أما البكري فيقول : فأما الفريش ففيه أبار زيد بن الحسن ،

(١) انظر عنهم « نسب حرب » .

وبه هضبة يقال لها عُدْنة • أي أن قرية بني زيد كانت قرب عُدْنة
الموضحة في المخطط المرفق •

د - ويقول ياقوت : قال الزمخشري : يَكُنَّ عين بواد يقال له
حورتان ، وهي اليوم لبني زيد الموسوي من بني الحسن ، وقال غيره :
يَكُنَّ اسم وادٍ بين ضاحك وضويحك ، وهما جبلان أسفل الفرش •

ورغم أن حورتين قريبتان من هنا ، وأن ضاحكاً وضويحكاً غير
معروفين فإن هذه الرواية تشذ قليلاً عما سبق ، فحورتان تبعدان قرابة
خمس أميال عن المكان الذي حددنا لمَرَيَّيْن ، والذي تنطبق على
النصوص السابقة ، ومن أهمها نص ابن اسحاق بأنها بين ملل وصخيرات
اليمام ، وأن منها غميس الحمام ، وقول الهَجْرِي : وبريد مرين
بطرف عبود •

وإذا اعتبرنا الرواية في البند (د) شاذة رغم وضوحها وقوة
تحديداتها ، فإن العذر في ذلك هو عدم دقة تحديدات المتقدمين - رحمهم
الله - لعدم المشاهدة •

وتجدد الإشارة هنا إلى أن الزمخشري يروي عن الشريف عُلَيَّ بن
وهَّاس العلوي ، وهو عالم بهذه الديار • ولكن الهجري - أيضاً -
كان ينزل العقيق قريباً من هذا المكان ، واعتقد أن معرفته تعادل معرفة
الشريف عُلَيَّ • ثم أن ابن اسحاق صاحب سيرة الرسول ، ﷺ ،
يعتبر قوله حجة لقرب عهده واتسابه إلى المدينة •

سير الرحلة

سبق أن شرحت الطريق بين المدينة واملل في الرحلة الأولى ، وفي
هذا اليوم سرت على هذه الطريق إلى أن هبطت بطن ملل ، ثم فرق بي
طريق ترابي إلى الغرب ، وعلى ستمائة متر تقريباً كنت أمام بيوت شعر

لقوم من الصواعد من عوف ، فسألت رجلاً هناك بادر فاقسم
يميناً قائلاً : (والله يمين ما أكذب عليك !) فسألته عن معظم المعالم
المذكورة هنا فأرشدني إليها عدا (يمين أو مريين) فانه قال :
لا تعرف . وسألته عن ضاحك وضويحك . فقال : لا أعرف هذه
الاسماء . ثم لمحت الى يميني خرائب فتقدمت واياها اليها فإذا هي آثار
قرية تتكون من عدة أحياء صغيرة ، وكأنها كانت منازل أسر تنفرد
بنفسها ، وهي عادة القرويين هنا .

فودعت الرجل وسرت غرباً ، فجعلت حمراء أمراق يميني ،
وتعرف اليوم بالخيالات ، وجعلت عبوداً يساري ، فصعدت ريعاً ليس
سهلاً كانت تأخذه القوافل ، ومن هذا الريع أشرفت على سهل أفيح
ما كنت أتصور وجوده في هذه الديار الحجرية ، فاذا وسط السهل قوم
يحفرون بئراً ، وعلى قرابة سبعة أكيال من طريق الاسفلت وصلت الى
تلك البئر التي تحفر ، فاذا الحافر رجل من الحجلة من بني سالم من
حرب ، وسألت القوم عما أبحث عنه فلم يزيدوا على قول الصاعدي ،
الا أنهم أروني بعض الأعلام القرية رأي العين .

ومن النظر الى هذا السهل الصالح للزراعة ومن استقراء النصوص
السابقة تتأكد أن هذه (مريين) . وستحدث لاحقاً عن سبب
تسمية مريين .

غادرت أولئك الأخوة بعد أن ألحوا علي بالدعوة ، وكانت الساعة
العاشرة ، وعلى ما يقرب (٥٠٠) متر اعترضت سلسلة من البروث تقطع
هذا السهل (مريين) مكونة سداً يحكم سيله في مضيق منه ، ثم
يفرش مرة أخرى .

وصف الأرض من وسط مَرَيْنين

علوة أوسط تلك البروث فانفرش السهل بشكل دائري حولي ،
فاذا الأعلام والأودية أكثر وضوحاً ، وهي كالآتي :

١ - في الشمال : جبل صفر ، وينطقونه (سفر) ، على صوت
المنادي ، يتصل به من الشمال جبل (العَوْد) الذي يقرن مع العجوز ،
فيقال : العجوزان •

وصفر هذا كان منزل الكريم الجواد أبو عبيدة ، عبد الله بن
زيمة (١) •

يلي صفر من سفحه الشرقي سيل هذا السهل المتجه الى فرش
ملل ، يليه من الشرق حميراء تسمى ضُبَيْعَة ، تقابل صفر من مطلع
الشمس ، وتشرف على فرش ملل من مغيب الشمس •

٢ - من الجنوب : التقاء وادي الفريش الغربي بـوادي غَميس
الحمام ، والذي أراه من هنا وادي الغميس بعد الالتقاء ، ذلك أنهما
إذا التقيا سميا الغميس ، أما موضع التقائهما فتدركه غني أكم صغيرة
تتصل بعبّود من الغرب ، يلي اجتماعهما من الغرب هضبة (عُدْنة) :
ضلع أسمر أقل ارتفاعاً من عبّود ، ويناوحه من مغيب الشمس •

أما في الجنوب الشرقي فجبل عبود : أسمر بارزاً ، يليه من الجنوب
(عُبَيْيد) أصلهما واحد ولونهما واحد ، ووادي الفريش يفرق عن
(عُبَيْيد) الى فرقتين : فرقة تأخذ شرقية فتصب في ملل من أول
الفرش ، وفرقة تأخذ غربية فتصب في الغميس ثم في (مَرَيْن) •

(١) أوفينا القول عن صفر في « معجم معالم الحجاز » •

٣ - في الشرق : سلسلة جبلية أبرزها حمراء الخيالات (حمراء
أوراق قديماً) وجبل الخضراء ، يفصل بينها وبين جبل عبود ذلك الريع
الذي أتيت معه .

٤ - وفي الغرب : يسيل في هذا السهل واديان : أحدهما وادي
حزرة ، وهو الجنوبي منهما : يأتي من الفقارة ، وفيه سويقة عبد الله
ابن الحسن على بعد بضعة أكيال من هنا .

والثاني مَشْعَر : وادٍ قصير المدى يأتي من الغرب - بين حزرة
والجفر - فيصب في هذا السهل بين حزرة جنوبه ، وغفرة الردادة
شماله . وإذا مددت بصرك شمالاً غرباً رأيت العجوز ، ويسمونها مع
ما حولها (العُجْز) وهي سلسلة سمراء تحف بغفرة الردادة من
الغرب ، والغفرة بينها وبين (العَوْد) ، وتمتد هذه السلسلة مشملة الى
الجفر الذي يصب في فرش ملل بعد الحفياء . والحفياء : شمال شرقي
صفر . والجفر وادٍ زراعي لولد سَكِيم من بني سالم وغيرهم .

مواصلة السير

لم أر أثناء مراقبتي للأرض من فوق ذلك البرث الذي يتوسط
سهل (مريين) نزلاً في الأرض ولا زراعة ، وكل ما يوجد أشجار طلع
ورمث ونباتات برية ، بل لا يوجد ماء هنا ، وتلك البرث التي تحفر بلغت
ما يقرب من عشرين متراً ولم يروا الماء بعد .

هبطت من ذلك المرقب فسرت شمالاً عدلاً ، وبعد قرابة سبعة
أكيال من التقاء سيل حزرة بسيل وادي الغميس بسفح جبل صفر من
الشرق ، وعند حصاة بارزة في سفحه مشهورة هناك وجدت أثر بناء
بالحجر الأحمر الجاف (بلا مؤنة) يلي هذا البناء من الشمال جوفة في
صنف من الجبل فيها آثار لاتكاد تميز ، ولعل ذلك لقدم العهد ، ولا شك

أن هذه الحصاة كانت منزل أبي عبيدة الكريم الجواد، حيث نصت بعض المصادر على ذلك .

ثم تجاوزتها سائراً بسفح الجبل مفتشاً عن الآثار ، فكانت أكوام من الحجر تتراءى هنا وهناك ، ولكن يصعب التمييز ما اذا كانت آثار قديمة أو زرائب يتخذها الأعراب أثناء نزولهم هذه الأرض .

ومن آخر صفر عدلت الى الشمال الشرقي فرأيت بيتين من الشعر، فسنحتهما على مهل رغم دأث الأرض وانغراز عجلات السيارة من حين الى آخر ، فخرج الي شيخ عرفت منه أنه من بني عروة من جهينة . فقلت له — مازحاً — : هذه ديار جهينة ؟!

فقال: (لا والله مير جهينة تَبَّاعَة صَيِّرة) . أي ينزلون الأرض التي توافق مواشيمهم . والصيرة : المصلحة . فسألت الشيخ فلم يختلف عمن سبقه بشيء . والواقع أن أهل هذه الأرض قلما يموهون على السائل، بخلاف أهل بعض الديار الاخرى . فغادرت الشيخ الجهني وأنا أترحم له ! لأنه لا يعلم أن هذه كانت ديار جهينة ، فأزاحتها عنها حرب ، كما أزاحت كثيرين غيرها .

اتجهت شرقاً ماراً بين حمراء ضُبَيْعة يميني ، وجبال الحفي — جمع خفاة — يساري ، فهبطت مجرى سيل مريين ، ثم هبطت واياه فرش ملل من مغيب الشمس على ثلاثة أكيال من سفح جبل صَفَر ، كانت هذه كلها في نهاية مريين من الشمال ، بعد أن تأتيه من الغرب غرفة الرَدَادَّة فتصير سهلاً واحداً ، فجبل صفر وجبل العَوْد المتلاصقان كجزيرة وسط السهل ، سهل مريين جنوبهما وشرقهما ، وسهل غرفة الرَدَادَّة أو غرفة الرَدَّادي كما يسميها بعضهم ، يحيط هذا السهل بالجبلين من الغرب والشمال . جزعت وادي الفرش فتوجهت الى آخر

سفع الأسفع من الشمال الغربي ، ثم سرت فيه عائداً جنوباً بحثاً عن آثار منازل ، فلم أجد شيئاً ، ويؤسفني انني في كتابات سابقة قررت أن الاسفع هذا هو صفر ، حتى ظهر لي اليوم خطل هذا القول ، والواقع أن سفوح الاسفع لاتصلح للسكنى ، وكل ضفة ملل الشرقية ، ذلك أن جبالها صهاليج لاوجود للارض السهلة فيها،ومنافذ الهواء فيها قليلة،أما جبل صَقَر والعَوْد ونواحيهما فانك لو اخترت الاستيطان في هذه الأرض ما اخترت غيرها ، فالأرض سهل فياح أبيض نظيف ، والجبال حمر جميلة ، ومخارم الهواء مفتوحة ، والأشجار الخضراء لاتغيب عن النظر •

وفي الفرش فقتر عيون كثيرة ، وأماكن ظاهر أنها كانت مزارع فانجرفت تربتها بعد اندثار عيونها ونزوح أهلها •

ثم عدت في فج يفصل حمراء الخيالات عن حمراء ضبيعة ، وهذا الفج على صوت المنادي من جبل صَقَر ، وإذا كان لأحد مزرعة في فرش ملل ففي امكانه أن ينزل سفوح صفر ، ثم يسرح ويضوي على مزرعته من هذا الفج ، في مسافة لاتزيد على الا قليلاً عن الكيلين •

وعدت الى ذلك الأثر الذي أشرت اليه في سفع صَقَر فأردت أن أصوره ، ولكن المصورة توقفت ، ومنه خرجت جنوباً ثم عدلت غرباً فمررت بمدفع مشعر ثم عدلت جنوباً فجزعت حزة من مصبها ، فوجدت على جانبيه آثار قرية لاشك أنها سكن بعض أهل مريين ، ثم سرت في غميس الحمام فكانت الآثار كثيرة ، وكأنها مساكن أسرت انتشرت هناك ، وهي في مطاوي الجبال ، وعلى الرابي من جانبي الوادي ، وفي الثانية عشرة والنصف كنت أسير بسفع عشود من الغرب ، ثم لاءمت الطريق المعبدة كما هو مبين في المخطط ، مودعاً هذه الأرض الجميلة التي كانت

ذات مساكن ومزارع ، فاذا هي اليوم لا أنيس فيها ، وكأنها لم
تغن بالأمس •

لماذا سميت مَرَيِّن ؟

هذا النص صريح في السيرة ، وقد رجحته أنا (وهذا رأيي)
ووجهه لغة أنه مشى (مَرَى) • فأين مَرَى ؟ في أعلى وادي الفَرِيش
شعبان يسمى كل منها مَرَى : يصب أحدهما من ورقان فوق بلدة
الفريش بما يقرب من خمسة أكيال جنوباً •

ويصب الثاني مقابلاً للاول من مطلع الشمس • والذي اعتقده أن
وادي الفَرِيش كان كله يسمى (مَرَيِّن) لوجود ذينك الرافدين في
أعلاه ، ثم أطلق عليه الفريش لانقراشه واتساعه ، واسم الفريش قديم
منصوص عليه في المراجع القديمة ، ولكن قد تكون تسمية مريين أقدم
من ذلك، فلما سمي الفريش بهذا الاسم لزم اسم مريين تلك الأرض التي
تحدث عنها على البناء ، فقالوا : نزلنا مريين ، وسالت مريين • وهكذا •

واشتراك واديين أو جبلين في اسم واحد معروف عند العرب ، مثل
النخلتين ، وأبانين ، والمرختين ، بل تجاوزا ذلك فسموا القمرين (الشمس
والقمر) والعمرين (أبي بكر وعمر) رضي الله عنهما •

مكة المكرمة

في التاسع والعشرين من شوال سنة ١٣٩٨ هـ

عاتق بن غيث البلادي

الملحق الاول

طريق الهجرة

اعتقد أن قصة الهجرة لا تخفى على أحد من قراء هذا الكتاب ،
ولكن لا بأس من ايجاز شيء من ذلك •

ثبت في السيرة أن رسول الله ﷺ ، عندما أجمع الخروج من
مكة لم يخبر الا رجلين : علياً بن أبي طالب واستبقاه ليؤدي أمانات
الناس ، وأبا بكر الصديق ، وأذن له بصحبته •

ثم أن رسول الله ﷺ وأبا بكر عمدا الى غار بجبل ثور فاختفيا
فيه ثلاثة ليال • وكانت قريش قد جعلت مائة ناقة جائزة لمن يرد محمداً
عليهم • وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام طيلة مكوثهما بالغار ،
وكانا استأجرا عبد الله بن أرقط وقيل أريقط : رجلاً من بني الدئل بن
بكر من كنانة ، دليلاً لهما في الطريق ، وكانت ديار كنانة تمتد من
الظهران الى وادي الصفراء •

الطريق الى المدينة

ثم جاءهم ابن اريقط بعد ثلاث فخرجوا ، وكانوا اربعة : محمد
ﷺ ، وأبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة رضي الله عنهما ، والدليل •

فخرج بهم الدليل من أسفل مكة ثم على الساحل^(١) حتى عارض
الطريق أسفل من عسفان ، ثم سلك بهما أسفل من أمج ، ثم أجاز قديداً ،

(١) هذا نص ما في السيرة ، وانظر ما بعده •

وفي أقصى قديد نزلا على (أم معبد) امرأة من بني كعب من خزاعة .
ولم تعلم قریش مكانهم الى تلك الساعة ، وكانوا قد أمضوا ثلاث ليل ،
فسمع هاتف من الجن يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم تروحاً فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

ولما خرجا من عند أم معبد مروا في ديار بني مدلج من كنانة فعرف
بهم سُرّاقة بن مالك بن جُعشم المدلجي فأراد القبض عليهم طمعاً في
الجانزة ، فعثر به فرسه والقاه على الأرض عدة مرات ثم ساخت يدها في
الأرض ، وله مع الرسول ﷺ قصة (١) .

ثم اجاز بهم الدليل على الخرار ، ثم على ثنية المرّة ويقال (المرة
بالتخفيف) ثم سلك بهما لققاً ، ثم مدلجة لقف ، ثم مدلجة مجاح ، ثم
مرج من مجاح ، ثم مرجح من ذي العضوين ويقال العضوين ، ثم ذا
كشر ، ثم أخذ بهما على الجدادج ، ثم على الأجرد (الصواب أجيرد)
ثم سلك بهما ذا سلم من بطن أعداد مدلجت تعهن ، ثم على العبايد
أو العبايب ، ويقال العثيانة ، ثم اجاز بهما الفاجّة ، ويقال القاحه ، ثم
هبط بهما العرّج ، ثم على ثنية العائر عن يمين ركوبة ، ويقال : ثنية
العائر ، حتى هبط رئم ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف في الثاني
عشر من ربيع الأول .

(١) انظر « سيرة ابن هشام » ص ٨٩ طبعة الحلبي .

تحقيق الأماكن الواردة في ذكر الطريق

- ١ - جبل ثور : نص في السيرة وتناقل ذلك عنه الجغرافيون :
انه بأسفل مكة • وهذا خطأ ، والصواب أن جبل ثور يقع في الجنوب
العدل من المسجد الحرام على قرابة ثلاثة أكيال •
- ٢ - عسفان : بلدة عامرة ، مرت في اليوم الاول من الرحلة الاولى
من هذا الكتاب •
- ٣ - أمج : يعرف اليوم بخليص أفضنا في ذلك في الرحلة الاولى •
- ٤ - قديد : كذلك أوفيناه الحديث هناك •
- ٥ - خيمتي أم معبد : بطرف قديد من الشمال ، انظرها في أول
هذا الكتاب •
- ٦ - الخرار : هو وادي الجحفة وغدير خم ، شرق رابغ وقد مر •
- ٧ - ثنية المرة : في كثير من المراجع بتخفيف الراء كأنها مخففة من
مرأة ، ويظهر أن الصواب (المثرة) ضد الحلوة ، والتصحيح في مثل
هذه الالفاظ قديم معروف ، ذلك ان بئار المثرة معروفة اليوم بعدالخرار
مما يلي الفرع •
- ٨ - لقف : بكسر اللام ، وسكون القاف ، وآخر فاء ، وما عداه
خطأ • هذا وادي يرفد وادي الفرع من الشمال عند بئر رضوان (١) •
- ٩ - مدلجة مجاح : المدالج أربع في تلك الناحية يأخذها الطريق على
التوالي وهي على نسق واحد : مدلجة لِقَف : تجي لقفاً من الشمال
تتقاسم الماء مع مدلجة مجاح بينهما ريع يأخذه الدرب ، ومدلجة مجاح :

(١) انظر : « معجم معالم الحجاز » .

تأتي مجاًحاً من الجنوب مقابلة لمصب العصوين ، ومدلجة ثقيب تصب في (أجيرد) واجيرد شعب يصب في ثقيب فوق البستان ، وثقيب يصب في أسفل القاحة ، والقاحة تصب في الأبواء .

• ومدلجة تعهن : تصب على عين تعهن من الشمال (١) .

١٠ - مرجح وذو العضوين أو الغضوين : مرجح ، شعب يصب في مجاح من الشمال ، والعصوين كمنى عصا : شعبتان تجتمعان ثم تصبان في مجاح يطلقون عليها اليوم العصي ، جمع عصا ، وهي عادتهم في المشي .

• ويقولون العصا لكل واحدة منهما .

١١ - ذو كشر : الصواب ، ذو كَشْد : بالبدال المهملة ، وتعرف اليوم بأم كشد : تلة تسيل في وادي ثقيب من الجنوب ، مقابلة لأجيرد ، يأخذها الطريق الى القاحة .

١٢ - الأجرّد : الصواب (أجيرد) : شعب يصب في وادي ثقيب من الشمال ، اذا أخذه الطريق هبط في تعهن ثم الى السقيا في القاحة .

وهذا التصحيف في اسمه أوهم بعض الباحثين بأن المقصود جبل الأجرّد المشهور شمال غرب المدينة ، فأين ذاك من طريق الهجرة ؟

١٣ - مدلجة تعهن : سبق وصفها في المدالج (بند ٩) .

١٤ - العبايد أو العبايب ، والعشانة : لا تعرف اليوم .

١٥ - الفاجّة : الصواب (القاحة) : بالقاف والحاء المهملة ، ذلك أن الطريق من تعهن تأخذ القاحة طولاً ، والقاحة وادٍ عظيم ذو روافد

(١) انظر : « معجم معالم الحجاز » .

كبار ، ومن روافده (الفاجئة) بالفاء وتشديد الجيم ، ومن هنا جاء التصحيف بين القاحه بالقاف والحاء ، وبين الفاجه بالفاء والجيم .

١٦ - العَرَج : وادٍ كبير هو أعلى وادي غيقة ، وقد أوفيناه في الرحلة الثالثة من هذا الكتاب ، وله مخطط هناك انظره .

ولكن الغريب حقاً ان الطريق التي تمر على العرج لا تعود الى ركوبة ورثم كما سيمر معنا أن الرسول ﷺ أخذهما . فالطريق التي تخرج من القاحه على العرج تأخذ على شرف الأثاية ثم الرويثة ثم المنصرف - المسيجد اليوم - ثم على الروحاء ثم على ملل فذي الحليفة . أما طريق ركوبة أو الغائر (هما واحد) فانها تأخذ من القاحه على ريع العقنقل ثم حلقة الجي ثم الغائر (ركوبة) ثم رثم من وادي النقيع ثم عقيق الحسا الى ذي الحليفة .

١٧ - ثنية الغائر : هي ثنية ركوبة ، ولا تعرف ركوبة اليوم ، ولعل الغائر كان اسم الوادي الذي ينقض من ثنية ركوبة ، ذلك أنه غور مطبق بين الجبال ، والثابت أن الرسول ﷺ حدى به ذو البجادين في ركوبة : انظر الرحلة الثالثة في هذا الكتاب .

١٨ - بطن رثم : وادٍ يأتي من الغرب فيصب في وادي النقيع عند بئار الماشي^(١) ، وطريقه معروفة لازال الذين كانوا يسلكونها مشاة وركباً أحياء ومنهم الاستاذ عبد القدوس الانصاري ، حيث تحدث عن ذلك^(٢) .

١٩ - قباء : بلدة عامرة أصبحت من أحياء المدينة المنورة ، وهي بطرفها الجنوبي ، وبها أول مسجد أسس على التقوى^(١) .

(١) انظر « معجم معالم الحجاز » حيث البحث هناك أوفى .

(٢) انظر : « طريق الهجرة » للانصاري .

طريق الهجرة بالمشاهدة

قمت برحلات عديدة تتبعت فيها الطرق التي يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ قد سلكها ، وقد أخذت بعين الاعتبار الاعتبار التي تفرض هذه الطرق وترجح بعضها على بعض ، ومنها :

١ - انه كان في حاجة الى أقصر الطرق واسهلها .

٢ - كان يحتاج الى الطرق المستورة عن نظر العدو بعيدة عن أعين الرقباء الذين كانوا يتلهفون الى نيل تلك الجائزة التي بذلتها قريش لمن يأتي به .

٣ - كان - كأني مسافر - يجذ الطرق التي تمر بالعدود وموارد المياه ، لسقي دواب الرحلة وشرب الرفاق .

٤ - اذا اضطر أن يلائم الجادة المطروقة تعمد أن يكون ذلك بعد منتصف الليل حيث يكف القدم ويقل الطارق .

٥ - اذا ادركه الصباح وهو على هذه الجادة أو قريباً منها اختفى في مكان مستور .

٦ - يحاول قدر الامكان ان يسري في بلاد خزاة ، لأن خزاة ليست على وفاق مع قريش ، كما يحاول قدر الامكان تجنب بلاد كنانة . وهما القبيلتان القاطنتان تهامة بين مكة والفرع .

الأولى : تقطن الساحل من جنوب الليث الى وادي الصفراء وينبع ، والثانية : تسكن تهامة الداخلية كمر الظهران وعسفان وأمعج وقديد ودوران والجحفة ... الخ .

وعلى ضوء ما تقدم وبعد مشاهدة الأرض قررت ان طريقه ﷺ كان كالآتي :

خرج من جبل ثور - جنوب مكة - فاتجه غرباً جاعلاً جبل السرد يمينه وجبال لبنات يساره ، ثم انحدر في وادي ابراهيم حتى وصل روضة أم الهشيم ، ومنها عدل شمالاً عدلاً فقطع درب الحب ، قطع الجبل جاعلاً الحديدية يساره ، وتسمى اليوم الشميسي ، وجبال مكة الغربية يمينه ، ثم جزع وادي مر الظهران عند الحميمة فخرج في ثنية المزار - فجج الكريمي اليوم - جاعلاً سروعة على يساره ثم جبل ضاف ، وعلى يمينه جبل مكسر ، فلما خرج من فجج الكريمي أخذ السفوح الشرقية لجبال الخشاش جاعلها على يساره ، ووادي الصغو على يمينه ، وفيها عدود كثيرة وطريقها قصد الى عسفان ، ثم مر بقرب عسفان على مرأى منه وكان مروره ليلاً فتحاشاه وتركه يميناً وهبط الى عين هناك تسمى الغولاء ، ثم أخذ في واديا قرابة خمسة أكيال ، ثم جاءه من اليمين ريع يسمى ريع تقري فأخذه ، ثم لاءم الطريق العامة عند الكديد ، وكان لازال ليليل ، ثم سار عليها حتى وصل الدف (١٠٠) كيل من مكة ، فأدركه الصباح فلجأ الى شعب هناك عميق بين الجبال في جبل جمدان^(١) ، وفي ذلك الشعب - اليوم - شجرة يزورها الناس يقولون: انها أثر من أثاره ﷺ ، فلما جاء الليل بل كان آخره فخف طارق الطريق هبط من مكمنه فهبط أسفل أمج فأخذ في ثنية لفت (الفيت اليوم) وهذه الجادة العظمى ولكن لا محيص له منها ولا مجنب عنها ، ثم هبط قديداً فقطعه الضحى ثم ضاف أم معبد بالقرب من موقع مناة الطاغية ، ومن عندها خرج في ثنية المشلل فهبط دوران ، وكان لبني

(١) جميع الاماكن الواردة هنا محدد تحديد دقيقاً في « معجم معالم الحجاز » .

مدلج وخزاعة تتشارك فيه القبيلتان ، وهنا بصر به سراقه — وقد تقدم خبره — ثم جزع وادي كلية ، فأخذ خشوم الحرار — وهو يومه الثالث — وادركه الليل الرابع ، فسر بقرب الجحفة من شرقها على مرأى منها وليس له غير ذلك ، ولكنه مر هنا بليل ، فلما تجاوز الجحفة سار في وادي الخرار فعدل يميناً شرقاً فسر بغدير خم ثم في وادي مر (وادي رابع اليوم) ثم قبله مشرقاً حتى وصل وادٍ يقال له حياء وعنده بئر تعرف ببئر المُرّة ، ثم عدل يساراً شمالاً فصعد حرة الشياء ثم هبط على وادي الفرع فجزعه عند مصب لقف ، فسار فيه ثم أخذ المدالج بعضها وراء بعض كما وصفناها سابقاً ، واثناء مروره فيها يمر بالعصوين ومرجح وغيرها كأم كشد وأجيرد ، فلما هبط تعهن فاض معه في القاحة قبيل السقيا مما يلي مكة ، ثم قبل القاحة مصعداً ماراً بالسقيا وبئر الطلوب لا محيص له عن ذلك ، فلما وصل الى بئر الطلوب كان طريقه الصحيح يأخذ شمالاً عدلاً في شعب يسمى فيد أمام المحطة رأى العين ، ثم يهبط رأس وادي اليدعة الشرقي ، ثم يأخذ ريع العقنقل ثم يهبط وادي الحلقة ، ثم يصعد الغائر ، كل ذلك يكون ظمّاً كنظم الخرز ، وأرى القول بأنه مر بالعرج قولاً موهوماً لأن ذلك يتطلب زيادة في المسافة كبيرة وتعتنا لا لزوم له ، وإذا نظرت الى الأرض على الطبيعة عرفت أن ذلك مستحيل فعله (١) .

ومن الغائر يعدل الطريق الى الشمال الشرقي ثم يهبط رثماً فيسير فيه الى أن يهبط وادي النقيع عند بئر الماشي ، ثم يأخذ شمالاً في وادي العقيق فيمر بطرف حمراء الأسد من الشرق ثم بسفح جبل غير من الغرب ثم قباء .

(١) انظر المخطط المرفق .

الملحق رقم ٢

الطرق الرئيسية في قلب الحجاز

لقد مر معك أيها القارئ الكريم ، العديد من الطرق والدروب في الرحلات الاربع المتقدمة ، الا أنها كانت تمر متقطعة غير منتظمة ، وهنا نريد أن نوضح لك الطرق الرئيسية في هذه الأرض الطيبة المباركة ، سواء ما كان مطروقا زمن قوافل الجمال أو طرق السيارات اليوم ، فنقول وبالله التوفيق :

١ - درب الأنبياء : هذا الاسم يطلق على الجادة الرئيسية بين مكة والمدينة ، وذكر عنه ، عليه السلام أن سبعين نبياً مروا في هذا الطريق ، ولا غرو في ذلك فمنذ أن خلق الله الأرض أرسى فيها بيته العتيق ، وجعله قبلة كل المؤمنين ، الا من كفر وجحد .

يخرج هذا الطريق من مكة في عمرة التنعيم شمالاً عدلاً ، وأول مرحلة هنا هي (الجموم) على ٢٢ كيلاً من مكة ، ثم المرحلة الثانية (عسفان) وهو على ٨٠ كيلاً من مكة أيضاً ، ثم المرحلة الثالثة (الدف) على مائة كيل ، ثم (طارق قديد) على قرابة (١٢٨) كيلاً ، وهي المرحلة الرابعة ، وظلت كذلك حتى تحول الطريق من الدف الى ثول^(١) فهجرت هذه المحطة ، ثم المرحلة الخامسة (الجحفة) وهذه هجرت من زمن بعيد وتحول الطريق الى رابغ شمال غربي الجحفة ، ثم (ودهان) المرحلة السادسة ، ثم هجرت من زمن^(١) ، ثم (السقيا) في وسط القاحه ،

(١) انظر خبر ذلك في « معجم معالم الحجاز » مادة لفت وودان .

ثم (بئر الطلوب) وتعرف اليوم بالحفصة ، ثم شرف (الأثاية) ، ثم (الرويثة) ثم (المنصرف)^(١) ويعرف اليوم بالمسيجد ، أو (الروحاء) فهما متجاورتان وقد يحيط بعض الناس الروحاء وبعضهم المسجد تحاشياً للادزحام . ثم (السلالة) ثم المدينة المنورة . فهذه ثلاث عشرة مرحلة .

وقوام هذه المسافة يقدر بـ (٤٢٠) كيلاً . ثم لما جاءت السيارات صار الطريق اذا تجاوز الدف أخذ يساراً فصعد حرة البكاوية ثم أخذ في الساحل حتى يلائم طريق جدة الآتي ذكره .

٢ - الطريق بين جدة والمدينة : كان هذا الطريق ابتدع في ازمته متأخرة من عهد الجمال ، كما نلمح ذلك من شذرات متفرقة ، ويظهر أن سبب ابتداعه أن بعض حجاج البحر كان يصل قبل زمن الحج بمدة طويلة ، ولذا رغبوا أن يقوموا بزيارة الرسول ، ﷺ ، قبل الحج حتى اذا قضوا نسكهم أسرعوا الى بلادهم ، فمن ثم أخذت القوافل طريقها الى المدينة من جدة . وأول مرحلة من جدة هي (ذهبان) على مسافة خمسين كيلاً ، ثم (الدعيجية) أو (القضية) متقاربتان ، الاولى على ٩٩ كيلاً ، والثانية بعدها من الشمال على قرابة اثني عشر كيلاً ، وهي محطة رئيسية للآتي من مكة بعد تغيير الطريق كما تقدم ، ثم (صعبر) انظره في اليوم الأول من الرحلة الاولى . ثم (رابغ) على ١٥٥ كيلاً من جدة ، ثم (مستورة) على ٤٤ كيلاً من رابغ ، ثم تفرق الطريق الى ثلاث شعب ، انظرها في اليوم الثالث من الرحلة الاولى ، والى مستورة هذه طريق السيارات ، ثم تأخذ على البزواء الى (بدر) على قرابة سبعين

(١) من السقيا الى المنصرف ، انظرها في الرحلة الثالثة من هذا الكتاب .

كيلاً من شمال مستورة ، ثم تأخذ الطريق وادي الصفراء قبلاً الى المسجد حيث ثلاثم درب الأنبياء ، وبين بدر والمسيجد ٧٥ كيلاً • وطول هذه الطريق المعبدة بين مكة والمدينة (٤٦٠) كيلاً ، وبين جدة والمدينة (٤٢٥) كيلاً • كل المقاسات من قلب البلد •

٣ - درب الحاج : اذا اطلق هذا الاسم في وسط الحجاز فانما يقصد به درب الأنبياء •

٤ - درب الحَبّ : هو الطريق بين مكة وجدة ، وهو يخرج في بلدح - أسفل وادي فخ - ثم على الحديبية على قرابة ٢٢ كيلاً ، ثم (حداء) بأسفل مر الظهران على مسافة ٢٩ كيلاً ، ثم (بحرة) وهي المرحلة الاولى على مسافة ٣٦ كيلاً ، وهي المنصف بين المدينتين ، ثم (أم السلم) على مسافة ١٥ كيلاً من جدة •

وهذه الطريق مرحلتان للجمال فقط ، ومسافة ٧٣ كيلاً •

٥ - الدرب الفرعي (الشرقي) جاء اسم الفرعي لأن أهل الحجاز يسمون جهة الشرق (فرع) ذلك أن سيولهم تأتي من الشرق الى الغرب أما أهل نجد فيسمون الغرب (فرع) لنفس السبب • وهذه الطريق تأخذ من مكة على درب زبيدة المعروف بالمنقى حتى تفرق عنه من المهد (معدن بني سليم سابقاً) تخرج من مكة مطلع شمس ، فأول مرحلة عند التقاء النخلتين أو قربها ، ذلك أن هناك مناهل عديدة وقرى كثيرة فكانت المحطة تتغير على مر الزمن ، ثم (بئر البائة) بئر في مكان كان يعرف بالغدير وقربها مكة الرقة ، وقد ينقسم الحاج بينهما ، ثم الضريبة (ذات عرق) ثم (الرصن) أو أول العقيق (عقيق عشيرة) وهنا يفرق المنقى الى شعبتين : طريق البصرة يقطع العقيق متجهاً مطلع شمس ، وطريق الكوفة وبغداد يأخذ يساراً فيحط مكاناً يسمى الحفائر ، ثم

المسلح ، ثم معدن بني سليم (المهد اليوم) ثم يفترق الطريق • الدرب الفرعي يأخذ يساراً فيمر بالرحضية ، ثم الصويدرة ، فيأتي المدينة من مطلع الشمس ، بينما يستمر المنقى متجهاً صوب القصيم بالربذة ، وتعرف اليوم بالبركة ثم النقرة ، ثم وادي الرمة عند قطن •

٦ - درب الطائف : للطائف من مكة طريقان رئيسيان لا يجتمعان الا في الطائف : أولهما : يأخذ من مكة بين ثبير الأعظم وحراء ، ثم بين علي نجد ثم على حنين ثم (الزيمة) وهي المرحلة الأولى على مسافة ٤٥ كيلاً ، وهي أول نخلة اليمانية ، ثم السيل الكبير على ٨٠ كيلاً من مكة ، و٥٣ كيلاً عن الطائف ، ثم المرحلة الثالثة الطائف ، فهذا الطريق ثلاث مراحل • ومسافته ١٣٣ كيلاً •

والثاني يخرج من مكة في منى ثم مزدلفة ثم عرفة فتكون مرحلته الاولى الكر بسفح جبل كرا من الغرب، وقد تكون (شدّاد) هي المحطة وهي قبل الكر مما يلي مكة ببضعة أكيال، وشدّاد على ٣٧ كيلاً من مكة، والكر على ٤٤ كيلاً أيضاً ثم تأخذ صعوداً في جبل كرا العسر فتصل الى الطائف على ٩٠ كيلاً من مكة ، وهذه الطريق ليست للقوافل ، انما كانت طريق المصطفين على خفاف المظايا والدواب ، والرجالة • وكانت رصفت في عهود كثيرة ، وجمال أهلها كانت مدربة عليها ، فكانت اذا وصلت مكاناً لا تستطيع السير فيها على اخفافها، قالوا لها: حبوة حبوة • فتترك على ركبها وتحبو حبواً حتى تجتاز ذلك الموضع ، ثم عبد هذا الطريق في العهد السعودي فصار يتسع لثلاث أو أربع سيارات في آن واحد فأصبح الطريق الرئيسي بين مكة والطائف •

٧ - درب اليمن : ظل هذا الدرب من القدم يأخذ من مكة جنوباً فيخرج من المسفلة فيقطع وادي عرنة ثم وادي ملكان فتكون مرحلته

الأولى أبار في وادي البيضاء على مسافة (٥١) كيلاً فسميت المحطة
البيضاء ، ثم يأخذ على إدام ثم يحط السعدية في وادي يللم على (١٠٠)
كيل ، وهي ميقات أهل اليمن ، ثم مرحلته الثالثة (بئر خضراء) في وادي
مركوب على (١٣٨) كيلاً ، ثم الليث ، وهي بندر عامر على مصب
وادي الليث في البحر . وعند ما عبد طريق اليمن ترك هذا الدرب يساراً
وأخذ على الساحل فلم يمر بأية محطة مما ذكر ، ثم رأيت في رحلة الى
هناك - أهل المحطات ينتقلون بمقاهيهم الى ما يوازي مكانهم من
هذا الطريق ، ولا شك أن المحطات القديمة ستندثر لذلك .

وفي الختام أحمد من أنعم باتمام هذا الكتاب ، وأسأله السداد
والتوفيق .



المراجع

لابن هشام	السيرة النبوية
تحقيق احسان عباس	ديوان كثير عزة
جمع وتحقيق عادل سليمان جمال	شعر الأحوص
لمجموعة من الاساتذة	ايام العرب في الجاهلية
تحقيق فوزي المطوي	ديوان عمر بن أبي ربيعة
للأزرقى	تأريخ مكة
للفاسي	شفاء الغرام
لأبي الفرج الأصفهاني	الأغاني
لياقوت الحموي	معجم البلدان
للبركي	معجم ما استعجم
للمؤلف	معجم معالم الحجاز
لابن منظور	لسان العرب
للفيروز أبادي	القاموس المحيط
للسويدي	سبائك الذهب
للقلقشندي	نهاية الأدب
لعبد القدوس الانصاري	طريق الهجرة النبوية
لعبد القدوس الانصاري	آثار المدينة
للخضري	تأريخ الدولة العباسية
لياقوت الحموي	معجم الأدباء
الشريف محمد البرادعي	الدرر السنية في
للمؤلف	الأنساب الحسنية والحسينية
الطبعة السابعة	نسب حرب
للجاسر	المنجد
	بلاد ينبع

دليل الموضوعات العامة

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٦٢	قصة انكسار وادي رابع	٣	المقدمة
٦٣	صفة الأرض حول غدير خم	٧	الرحلة الأولى
٦٢	قصة انكسار وادي رابع	٨	اليوم الأول للرحلة
٦٥	غدير خم في التاريخ	٨	الزاهر
٦٩	بين رابع ومستورة	٩	سرف
٧٣	الخروج من مستورة	٩	أم المؤمنين
٧٦	اليوم الثالث للرحلة	١٠	زواج رسول الله بميمونة
٧٩	بين بئر مبريك السقيا	١٢	وصف الأرض من الجموم
٨٧	من هم جهم ؟	١٣	جغرافية مر الظهران
٩٠	الخوف من المرسل !	١٦	جو الربيع في تهامة
٩٢	اليوم الرابع للرحلة	٢٣	المنظر العام من ثنية غزال
	وصف الأرض من شقية	٢٧	مشاهدات
٩٨	الفرع	٧٢، ٢٨	افتراق الطرق
	بين الأتمة وبئر الماشي	٦٠، ٣١	ذكريات
١٠٦	وصف الأرض من ذى الحليفة	٣٥	شجرة تزار
١٠٧	بلد الحبيب	٤٢	كبرت وهانت
١٠٧	الحديث عن المدينة	٤٧	جو الربيع في ساحل الحجاز
١٠٨	موقع المدينة	٤٨	اليوم الثاني للرحلة
١١١	تطور المدينة	٤٨	وصف الأرض من صعب
١١٢	أبواب الحرم النبوي	٥١	الطريق الى كلية
	سكان المدينة وحالتهم	٥٣	وصف مدينة رابع
١١٧	الاجتماعية	٥٥	ماذا في الجحفة ؟
١١٨	أبواب المدينة	٥٦	وصف الأرض من الجحفة
١١٩	أحياء المدينة	٥٩	الجحفة جحفتان
١٢٠	الحالة الزراعية في المدينة		سبب انقسام الجحفة
١٢٢	اليوم الخامس للرحلة	٥٩	واندثارها

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٥٨	بين المسيحيين والخييف	١٢٣	سد العاقول
١٥٩	وصف الأرض من الخيف	١٢٤	الرشوة وباء قديم
١٦١	وصف الأرض من الحمراء	١٢٥	اليوم السادس للرحلة
١٦٣	وصف الأرض من الصفراء	١٢٧	السيارة تصاب بسكتة
١٦٥	اليوم الثالث عشر للرحلة	١٢٩	وصف الأرض من الفريش
١٦٥	من الواسطة الى غيقة	٢٣١	اليوم السابع للرحلة
	وصف الأرض من بثار ابن	١٣٢	حاجة العقيق الى السدود
١٦٧	حصاني	١٣٤	وصف العقيق من العلاوة
١٦٨	من تأريخنا العائم	١٣٧	اليوم الثامن للرحلة
١٧٠	اليوم الرابع عشر للرحلة		وصف الأرض من حرة
	وقد تقتل الانسان بعض	١٣٨	العوالي
١٧٠	التطب	١٣٩	الخضرة والماء في العوالي
١٧١	اليوم الخامس عشر للرحلة	١٤٢	الرواية عند البادية
١٧٣	وصف الأرض من سويقة	١٤٣	اليوم التاسع للرحلة
١٧٤	سويقة في التأريخ	١٤٣	رحلة الى الاجرد
١٧٩	وصف الأرض من السيالة	١٤٦	وصف الأرض من الملييح
١٨٠	البحث عن صخورات اليمام	١٤٧	عشاءان
١٨٢	وصف الأرض صخورات اليمام	١٤٧	القراءة بالبركة
	السيالة والصخورات في	١٤٨	اليوم العاشر للرحلة
١٨٣	التأريخ	١٤٨	رحلة الى جبل ثور
١٩٠	ختم الرحلة الاولى		وصف الأرض من ثور المدينة
١٩١	الرحلة الثانية	١٥١	شهرة جبل ثور المدينة
١٩١	بين ينبع وبدر	١٥٢	سيد الشهداء وجبل الرماة
٢٠٣	الرحلة الثالثة	١٥٣	اليوم الحادي عشر للرحلة
	من رابع الى الجار فشراف	١٥٤	اليوم الثاني عشر للرحلة
٢٠٣	الانابة	١٥٤	رحلة الى الواسطة
٢١٠	أثار الجار	١٥٦	وصف الأرض من الروحاء
		١٥٧	وصف الأرض من المسيحيين

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٤٤	موقع مريين	٢١٠	الجار مدينة تاريخية
	وصف الأرض من وسط	٢١١	الجار في التاريخ
٢٤٧	مريين	٢١٥	ماذا في السليم
٢٥١	لماذا سميت مريين ؟	٢١٦	استغلال لا رادع له
٢٥٢	الملحق الأول - طريق الهجرة	٢٢٠	بين بئار الشيخ وغيقة
٢٥٢	الطريق الى المدينة	٢٢٥	من غيقة الى المسيجيد
	تحقيق الاماكن الوارد	٢٢٥	ليلة باردة
٢٥٤	ذكرها في طريق الهجرة	٢٢٧	اليوم الثاني للرحلة الثالثة
٢٥٧	طريق الهجرة بالمشاهدة	٢٣٤	أكبر اعلام الحجاز
٢٦٠	الملحق الثاني	٢٤٣	الرحلة الرابعة
٢٦٠	الطرق الرئيسية في الحجاز	٢٤٣	مَرِّيْن أو مَرِّيْن

دليل اللوحات

مخطط تقريبي لما بين الطائف ورابع	٤٨
خريطة أثرية تقريبية للمدينة المنورة	١٢١
مخطط لبلدة الفريش وما حولها	١٢٨
مخطط لوادي العقيق	١٣٦
مخطط لموقع الجار	٢١٢
مخطط لفيفة	٢٢٣
مخطط لمحتي الروثية والاثاية	٢٣١
مخطط تقريبي لمنطقة مريين	٢٥١
مخطط تقريبي لطريق الهجرة	٢٥٦
الطرق الرئيسية في قلب الحجاز	٢٦٥

الدليل العام

٢٣٢ ، ٢٣	أبار الأثاية
٢٥١	أبانان
١٦٨ ، ١٦٥ ، ١٦٢	ابراهيم بن سلامة
١٧٤	ابراهيم بن عبد الله بن الحسن
١٠٩ ، ١٠٠	أبلى
١٨٣	ابن أذينة
٢٥٢	ابن أريقط
٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ١٨٥ ، ١٨٤	ابن اسحاق
١٦٧	ابن حصاني
٤٥	ابن طامي
٥٤	ابن عسم
٩٣	ابن قويفان
٢١٣ ، ١٨٣	ابن الكلبي
٨٨	ابن مريع
٢٣٠	ابن ملاحظ
١٧٧	ابن الملاح
٦٦	ابن المعلی
١٨٥	ابن هشام
٧٨ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٥٣	الأبواء
٢٤٠ ، ٢٣٦ ، ٢٠٦ ، ١٦٨ ، ٩٧	
٢٥٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤١	
١٠١	أبو براء
٢٥٢ ، ٢٥١ ، ٤٥	أبو بكر
١٧٥ ، ١٧٤	أبو جعفر المنصور
١٣٧ ، ١٠٨	أبو جيدة

٢٤	أبو حليفاء
١٨٤	أبو خردلة الجني
١٥	أبو الريحان
٥٨	أبو زيد الهلاني
١٢٤	أبو زيد
١٧٨	أبو الساج
١١	أبو سفيان
٢٥	أبو صخر الهذلي
٧٩ : ٨٦ : ٨٧ : ٨٩ : ٩٠ : ٩٩	أبو ضباع
١٩٣	أبو العباس اللهي
١٢٦	أبو عبدة
٢٤٧ : ٢٤٩	أبو عبدة بن زمعة
١٦١	أبو عبدة عامر بن الجراح
٢٤٤ : ٢٤٥	أبو علي الهجري
١٩٧ : ١٩٨	أبو القريير
١٤٣ : ١٠١	أبو قطيفة
١٨٨	أبو مغطاة
٢٧	أبو النغر
١٨٢ : ١٦	أبو نقوس
١٨٤	أبو هريرة
١٠٢ : ١٠٣ : ١٠٥	الأئمة
١٠٢	أئمة ابن الزبير
٢٣٢	الأناية
٤	الأثيرة
٢٢٢	أثيل
١٠٥ : ١٤١ : ١٤٦ : ٢٥٣ : ٢٥٥	الأجرد
١٦٧ : ٢٢٢	الأجيل
٢٥٣ : ٢٥٥ : ٢٥٩	أجيرد
١٥٧ : ١٨٧	الاحامدة

١١٠ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥١ ،	أحد
١٥٢	
٢١٤ ، ٢٢١	احسان عباس
١٢٤	أحمد بن محمد
٧٩	الأحوص
٢٧ ، ٣٨ ، ٣٩	الأخرم
٢٦٤	آدام
١٨٩	أدمان
٨٣ ، ٢٣٨	أدقس
٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ،	آرة
٢٠٤ ، ٢٣٤	
٢٢٢	أرابن
٢٢٣	الاراین
٧٠ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ١٥٥ ، ٢١٨	أرثد
٧٣ ، ٨٣ ، ١٨٤	الأردن
٧٣	الأزلم
١٢٦ ، ٢٥٠	الأسفع
٢٣٥	أسلم
٢٥٢	اسماء بنت أبي بكر
١٧٥ ، ١٧٧	اسماعيل بن عبد الله
٥٣ ، ٧٨ ، ١٩٥	اسماعيل بن مبيرك
١٠٤	الأسمر
١٣٧ ، ١٨٨ ، ١٩٥	الأشراف
١٧	الأشراف ذوو عمرو
١٩٦	أشراف ينبع
٢١١	أبو الأشعث
١٠٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٦ ،	الأشعر
١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٤	
١٤ ، ١٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤	الأصافر

١٩١	الأصفر
١٨٨	الجبيل الأصفر
٤٥	الأصنام
١٣ ، ١٠.٥ ، ١١.٠ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،	إضم :
١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٨٢	
٨٩ ، ٩٤	أطيب
٢٠١	أظلم
١٤	الأغراف
٦٤ ، ٦٧ ، ٩٨	الأكحل
١٥٩	الاب
١١.٠ ، ١٤٦	التمة
٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٤ ،	أم البرك
٢٢٩	
٥٧	أم التنضب
٢. ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ،	أمج
٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨	
١٧	أم جرفان
٢٣	أم الجرم
١٦١	أم حرايش
١٩٢	أم الحكيم
١٥٩ ، ١٦٠	أم ذيان
١٨٥	أم الريين
٣. ، ٢٦٢	أم السلم
١٣٧	أم عشرة
٢٢	أم عمرو
٧٩ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،	أم العيال
٢١٣	أمرؤ القيس
٢٥٥ ، ٢٥٩	أم كشند
٢٢	أملال

٧٣	أم لج
٢٥٨ ، ٢٥٣ ، ٤٥	أم معبد
٧٦	أمّنة بنت وهب
٢٥٨ ، ٨٣ ، ٨٢	أم هشيم
١٧٤	بنو أمية
١١٧ ، ٦٤ ، ٣٢ ، ٢٣ ، ١٧	الأنصار
١١	الأوثان
٢٠	أودية تهامة
٨٨ ، ٦٧ ، ٦٤ ، ٣٩	أودية الحجاز
٣٧	أودية الطائف
١٥٠ ، ١٠٩ ، ١٠٥	أودية المدينة
١١٣ ، ٤٥	الأوس
١٨٥	أولات الجيش
١٦٤	أولاد أبا الحياء
١٩٢	أويسط
٢٢٥	أهل مكة
٢٤٣	إير
٢٠٠	أيلات
٢١١ ، ٢٠٠	أيلة
٢٠١ ، ٢٠٠	أيلة الشامية
٢٠٠	أيلة اليمانية
٧٨ ، ٧١ ، ٧٠	بنو أيوب
١٩٥	الأيوبيون

ب

١١٢	باب جبريل
١١٩	الباب الجديد
١١٩	باب الجمعة
١١٩	باب الحمام

١١٢	باب الرحمة
١١٢	باب سعود
١١٢	باب السلام
٢١٥ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٤٣ .	الباب الشامي
١٤٨	
١١٢	باب الصديق
١١٩	الباب الصغير
١١٢	باب عبد العزيز
١٠٨	بئر عروة
١١٢	باب عمر
١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٥٤	باب العنبرية
١٥٤	
١١٨ ، ١١٩	باب العوالي
١١٨	باب قباء
١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢	باب الكومة
١١٢	باب عبد المجيد
١١٩	باب المجيدي
١١٩	الباب المصري
١١٢	باب النساء
٢٦٢	البائة
١٤٣ ، ١٤٤ ، ٢١٩	البتراء
١٩٩ ، ٢٠٠	البشة
٢٣٥	البجادين
٢٥٦	ذو البجادين
١٠١	بجرة
٢٠٤	بحران
٧٣ ، ٢١٠	البحر الاحمر
٢١٠	بحر الجار
٢١١	بحر القلزم

٨٦
 ٢٦٢ ، ١٣٥
 ٤٣
 ٢٣٨
 ٢٠ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨١ ،
 ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ،
 ١٦٥ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ،
 ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ،
 ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
 ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٦١

١٠١
 ٢٣ ، ٢٨
 ١٧
 ٥٥
 ١٢
 ٢٦٣ ، ١٩٩
 ٤١ ، ٢٠٣ ، ٢١٠
 ٧٣ ، ٨٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،
 ٢١٧ ، ٢٦١

٧٩ ، ٨٤
 ١٧ ، ٥٠ ، ٩١
 ٢٣٥
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٥
 ١٨٤
 ١١٠ ، ١٣٧ ، ١٣٨

١٦٦ ، ٢٢٢
 ١٣
 ١٣٣ ، ٢٦٢
 ٢٠٢

٨٥

البحرة
 بحرة
 البحول
 بخيت بن ناصر
 بدر

برام وعبود
 البرزة
 برقاء الغميم
 برقة الخرجاء
 ذوو بركات
 البركة
 البريكة
 البزواء

البستان
 بنو بشر
 بشر بن أبي خازم
 البضيع
 بطحاء ابن ازهر
 بطحان
 بعال
 بعج
 بغداد
 البقاع
 البقيع

٢٦١ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٣٦	البكاوية
١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ٢١٣ ، ٢١٥	البكري
٢٤٤ ، ٢٤٣	
٢٤ ، ٥٤ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٩	البلادية
٧٠ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢	
٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٤١	
٥١ ، ٦٠	بلادية الشام
٢٤	بلادية اليمن
١٣٣	البلاط
٢٦٢	بلدح
٢٠٢	البلدة
٩١	بلي
٢٠٢	البليدة
١٤	البوابة
١١٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٠٢	بواط
٢٢٩	البنانية
١٤	البيهة
١٦٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥	بشار ابن حصاني
٧٣ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٧	بشار الشيخ
٢٣٢	بشار الشقية
١٧	بشار عسفان
١٠٦ ، ١٣٢	بشار علي
٥٢	بشار كلية
١٠٣ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٥٦	بشار الماشي
٢٥٩	بشار المرة
٨٣ ، ١١٦	بيت المقدس
١٠٦ ، ١٣٤ ، ١٥٠ ، ١٥٤	البيداء
٢٦٢	بئر البائة
١٦٦	بئر البتراء

١٩	بئر التقلّة
١٢٨ ، ١٧٩ ، ١٨٦	بئر درويش
١٥٥	بئر الراحة
١٦٥	بئر رائق
١٧١	بئر الرتيعي
٢٥٤	بئر رضوان
١٥٥	بئر الروحاء
١٦٢	بئر سعيد
١٨٥	بئر ضبوعة
٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٦١	بئر الطلوب
١٥٨	بئر عباس
١٥٧ ، ٢٢٩ ، ١٣٢	بئر الغنم
٧٩ ، ١٠٠ ، ٢١٧	بئر القاضي
٢١٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠	بئر قيفي
٢٦ ، ١٣١ ، ١٥٤	بئر عروة
٧٩ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٥٩	بئر الماشي
٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤	بئر مبريك
٩٤ ، ١٠٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠	
٢٤٢	
١٧ ، ١٨	بئر محسن
١٧٨ ، ١٧٩	بئر مرزوق
٥٩ ، ٧٢	بئر مستورة
٩	بئر مقيت
٢٦٤	البيضاء
١٦٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١	بينة

ت

٣٤ ، ١١٠ ، ١٢٣

٣١ ، ١٨٣

تبوك
تبع اليماني

١٢٥ . ١٢٦ . ٢٤٣ . ١٧٩ . ١٨٣ .	تربان
١٨٥	
٢٣٥	الترك
١٤	تضاع
٢٥٩ . ٢٥٥ . ٨٢ . ٨١	تعين
١.١	التفامل
٢٢٣	التقوى
٦٧	تمابة
٢٤١ . ٢٤٠	تمن
٢٤١ . ٢٤٠	تمني
٢٦٠	التنعيم
٢.٤ . ١٩٢ . ١.٠ . ٨	تهامة
١٨٢ . ١٨١	التين

ث

١٥٥ . ٢٢٥ . ٨١ . ٧٣	ثافل
٢.٧ . ٢.٥ . ٧٨ . ٧٧ . ٧.	ثافل الأصفر
١٨٨ . ١٦٨ . ١٦٧ . ١٦٦ . ٧.	ثافل الأكبر
٢٢.٠ . ٢١٩ . ٢١٨ . ٢.٩ . ٢.٥	
٢٣٤ . ٢٢٢	
٨٠	الثبرة
٢٦٣	ثبر الأعظم
٢٥٥ . ٨٤ . ٨٠ . ٧٩	عقيب
١٩٧	ثما
١٨٧ . ١٥٨ . ١٥٧	الثمامي
٥٠	ثمرة
١٦	ثنايا موقدات
٤١	ثنية الرغامة
١٩٥ . ٤٤ . ٢٧	ثنية عسفان
١.٤	ثنية الفائر

٢٢ ، ٢١	ثنية غزال
٢٥٨ ، ١٥	ثنية المرار
٢٥٤ ، ٢٥٣	ثنية المرة
٦٠ ، ٤٤	ثنية المشلل
١٤٣ ، ١٤١ ، ١٢٣ ، ١١٥	ثنية الوداع
١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨	ثور المدينة
٢٥٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢ ، ١٥١ ، ٥	ثور مكة
٢٦٠ ، ٥٣ ، ٣٦	ثول

ج

١٠١ ، ٩٥	بنو جابر
٣٧	الجادة العظمى
٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٣ ، ١٩٥	الجار
٢١٨ ، ٢١٥ ، ٢١٣	
١٥٣ ، ١٤٩ ، ١٤٣ ، ١٤١	الجامعة الاسلامية
٢٥ ، ٢٤	جبال البلدية
٧١ ، ٤٨	جبال تهامة
٣٧	جبال الجوز
١٦٢	الجبال الصفر
٩٣ ، ٣٨	جبال عوف
٩٩ ، ٩٤ ، ٩٣	جبال المعرض
١٤٣	جبل حبشي
٤٩	جبل الرخام
١٥٢	جبل الرماة
١٥٢	جبل عينين
١٥ ، ١٢	جبل سدر
٢١٨ ، ١٦٨ ، ١٦٦ ، ٨٢	جبل صبح
٨٢	جبل عوف
١٤١	جبل فتو
٢٧	جبل معبد

٩
 ٤٣
 ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٤٩
 ٧٨ ، ٧٢ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٢ ، ٦٠
 ٢٦٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٤ ، ٢٠٤
 ٢٥٣
 ٢٨ ، ٢٦ ، ١٩ ، ١٥ ، ١٣ ، ٧
 ١٨٨ ، ١٦٠ ، ٥٤ ، ٣٦ ، ٣٤
 ٢٦١ ، ٢٠٦ ، ١٩٥
 ٦٩
 ١٦٢ ، ١٥٤
 ٨٠
 ١٥٠ ، ١٤٧ ، ١٣٩
 ١٥٥
 ١٤٦ ، ١١٠
 ٢٦
 ١٩٥ ، ٩١
 ٢٠
 ٣٩
 ٢١
 ١٣٣
 ٧٤
 ٢٤٨ ، ١٧١ ، ١٤٤ ، ١٢٨ ، ١٢٧
 ١٩٧
 ١٩٣ ، ١٨٢ ، ١٥٧ ، ١٠٤ ، ٩٧
 ٥١
 ١٤٣
 ١٠٧
 ١٥٤ ، ١٣٩ ، ١٣٥ ، ١٣١ ، ١٠٧
 ١٤٩

جبل النوارية

جبله

الجحفة

الجداجد

جدة

جديب الفراء

الجديد

الجراجرة

الجرف

الجرف

الجزل

الجزيرة العربية

الجزيري

جسر فيدة

بنو جشم

جمدة بن عبدة

جعفر

بنو جعفر

الجفر

الجفينة

الجلس

جليل

الجماء

جماء أم خالد

جماء تضارع

جماء عاقل

١٠٦	الجمادات
٢٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٩	جمدان
٢٥٨	
٤٣	الجمعة
١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠	الجموم
٢٦٠	
١٧٧	الجمير
١٤٩	الجندبية
٨٧ ، ٨٦	بنو جهم
١١٧ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٩٣ ، ١٩٥	جهينة
١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٤٩	
٩٩ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢٢٥	الجي
٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦	
٣٤ ، ٢٠٢	جيدة
١٤٣	جيرون
١٩	جيش الفتح

ح

٦٠	الحاج التركي
٦٠	الحاج الشامي
٥٩	الحاج المصري
٦٦	الحازمي
٣٩	حامي الظعينة
١٧٥	حائل
١١٨	الحيال
١٩٨	حبران
١٠٩	الحبس
٢١١	الحبشة
١٤٩	حبشي

٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ،
 ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ٩٥ ،
 ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ،
 ٢١٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٤ ، ٢٦٢ ،

١٩٧

٥٣ ، ٦١ ، ٦٧

١١٠

١٩٤ ، ١٩٥

١٨٧ ، ٢٤٦

٦٦

١٣

١٠

٢٥٨ ، ٢٦٢

٢٦٣

١٣

١٢ ، ١٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٣ ،

٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٧ ،

٧٤ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ٩٦ ،

١٠١ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٧١ ،

١٧٨ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٢٨ ،

٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ ،

٢٢٢

١٥٠

١١١

٧٥

١٣٥

١٣٥

٨٨ ، ١٠٤٦ ، ٢٤٢

٧٠ ، ٢٠٥ ، ٢٤١

١٦ ، ١٨

الحجاز

حج

حجر

الحجر

الحجر

الحجلة

حجة الوداع

حذاء

حدود الحرم

الحديبية

حراء

حراض

بنو حرب

حرض

حرم رسول الله

الحرم النبوي

حرة الأبواء

حرة بجرة

حرة بس

حرة بني عمرو

حرة بيض

حرة الجابرية

١٥ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٨٨ ، ١٠٠
 ١٣٥
 ٧٧
 ٣١
 ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٩ ، ٥٠
 ٦٨ ، ٦٥
 ١٦ ، ١٥
 ٦٨ ، ٦٥
 ١٥
 ٣٣ ، ٣٤ ، ٨٨
 ١٠٨ ، ١٣٨
 ٢٢ ، ٢٣
 ١٣٨
 ٢٥
 ١٦ ، ١٨
 ٥٧
 ١٣٥
 ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠
 ١٣٩
 ١٨
 ١٤٥ ، ١٤٦
 ١١٠ ، ١٣٥ ، ١٣٩
 ١٥ ، ١٦
 ٣٩
 ٢٢
 ١٠٩
 ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠
 ١٣٥
 ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٣٨

حرة الحجاز العظيمة
 حرة خاخ
 حرة الخريبة
 حرة خليص
 حرة ذرة
 حرة ذويبان
 حرة الرزن
 حرة رمحة
 حرة الروقة
 حرة بني سليم
 الحرة الشرقية
 حرة صويك
 حرة العوالي
 حرة عوبجاء
 حرة غرب
 حرة الغربة
 الحرة الغربية
 حرة قباء
 حرة قريظة
 حرة المحسنية
 حرة مدرجة
 حرة المدينة
 حرة المسهل
 حرة المشلل
 حرة موقلة
 حرة النار
 حرة تقري
 حرة النقيع
 حرة واقم

٤٨ ، ١٣٩ ، ١٥٤	حرة الوبرة
٥١ ، ٥٧ ، ٦٣	حرة الوبرية
٢٠٤	حرة هرشي
١٢٧ ، ١٥٤ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٢	حررة
١٧٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠	
١٩	حزم فيدة
١٧٧	الحسن بن الحسن
١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٨٤	بنو الحسن
٨٧	حسن بن مريع
١٦٥ ، ٢٢٢	الحسنية
١٢	ذوو حسين
١٨٤	الحسين الجعدي
٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٥	حسين بن عاتق
١٢ ، ٥٤	الحسين بن علي
٤٥ ، ٥٥ ، ٧٨	الحسين بن مبيرك
٢٤ ، ٣٠	حشاشة
٣٣	حصن خليص
٥٠	الحصينية
١٠٩	حوضي
١٠٤ ، ١٠٥	حضير
٧٨ ، ٨١ ، ١٠٤ ، ٢٣٦ ، ١٣٧	الحفاة
٢٣٥ ، ٢٦١	
٢٤٨	الحفياء
٢٦٢	الحفائر
٢٤٩	الحفي
٢٠١	حظيين
٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩	الحكناك
١٨٩	الحلق
١٥٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩	الحلقة

٢٥٦	حلقة الجبي
٧٥ ، ٢٠٥ ، ٢٤١	حمامة
٢٢	الحمى
١٠٢	حمى النقيع
١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢١٩ ، ٢٢٠	حمد الجاسر
٢٣٦	
٢٣ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩	الحمراء
١٦١ ، ١٦٧ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٩١	
١٩٢ ، ٢١١ ، ٢٢٣	
٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٢	حمراء الأسد
١٣٤ ، ١٣٥ ، ٢٥٩	
٢٤٦ ، ٢٤٨	حمراء أمراق
١٣٥	حمراء البسر
٢٤٩	حمراء ضبيعة
١٣٥ ، ١٣٩	حمراء الغرابية
١٠٥ ، ١٣٤	حمراء نمل
١٠٤ ، ١٣٥	حمر المراقيب
١٢٠ ، ١٥٢	حمزة بن عبد المطلب
٢٣ ، ٢٩ ، ١١٠	الحمض
٩١	حمود بن أخي كريمة
١٦١	حمة الهاشمي
٤٤ ، ٢٥٨	الحميمة
٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٩	الحنائية
٩٩ ، ١٠٣ ، ١٩٨	الحنو
١٦٢	الحنيطات
١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٧٣	الحوازم
١٥٨ ، ١٩٦ ، ٢٢٧	الحوراء
١٤٦ ، ٢٤٥	الحورتان
١٤٦	حورة
٤٩	الحومة
٢٥٩	حياء

خ

١٣٥	خاخ
١٨٣	الخارجي
٥٦	الخالدية
٦٣	الخائق
٧٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣	الخائع
٢٢٣	الخائمان
١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣	الخائع اليماني
١٥٦	ريع الخائع
١٥٦	وادي الخائع
١٥	خبت جدة
٩	خبيب بن عدي
٥٦ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٢٠٥ ، ٢٥٣	الخرار
٢٥٩ ، ٢٥٤	
١٥٨ ، ٢٢٣	خرص
١٢٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٧٦ ، ٧٧	الخرماء
٢٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٢٢١	الخربق
٣٧	خريق ضبع
١٩ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٦٦ ، ٢٥٧	خزاعة
٢٥٩	
٤٥	الخزرج
١٥ ، ٢٥٨	الخشاش
١٤٤ ، ١٤٥	خشب
٩٣ ، ٩٩	خشبة
٧٠ ، ٢٠٥	الخشم
١٥٧	خشمرة
٢٤٨ ، ١٥٨ ، ٢٦٤	الخضراء
٦٧	خضرة
١٨٤	الخلائق

٢٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨ ، ١٥٨ ، ٦٤
 ، ٣٣ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢
 ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٥٣ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٤
 ٢٥٤ ، ١٩.

خلص

خليص

٣٧ ، ٢٨ ، ٢٤
 ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١١.

الخليصية

الخليل

١٩٧

خمال

٧.

الخمص

١٠٩

الخنق

٢٤

الخوار

١٧٨ ، ٩٧ ، ٢٢

الخوي

٢٥٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٦

الخيالات

١١.

خيبر

١٨٧ ، ١٦٧ ، ١٥٩ ، ١٥٧

الخيف

١٥٩

خيف البرعي

١٥٩

خيف الحزامي

١٥٩

خيف بني سالم

٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٤٥ ، ٤٣

خيמתا أم معبد

د

١٦٤ ، ١٦٢

الدبة

١٩٦

ذوو دراج

، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٤ ، ٣٢ ، ١٩ ، ٦

درب الانبياء

، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ١٥٧ ، ١٥٥ ، ١٠٨

٢٦.

٨١

درب بلفي

٢٦٢ ، ١٠٨

درب الحاج

٢٦٢ ، ٢٥٨

درب الحب

١٧٣

درب الخوي

١٠٠

درب الزائر

٢٦٢

درب زبيدة

١٠٨

الدرب السلطاني

٢٦٣	درب الطائف
١٠٠	درب العويدي
١٠٤	درب الغائر
٨١	درب غيقة
٨١	درب الفرع
٢٦٢	الدرب الفرعي
٢٦٣	درب اليمن
١٧٥ ، ٣٩	دريد بن الصمة
٢٠١	دعان
١٠٧ ، ١٤	الدعيثة
١٥٤	الدعيثة
٢٦١ ، ٥٣ ، ٤١ ، ٣٧ ، ٣٦	الدعيجية
١٦٥	دعيج
٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٧٢ ، ٣٣ ، ٣١ ، ٣٠	الدف
٣١	دف خزاعة
٣١	دف زيني
٣١	دف شلية
٧٦	ددف
١٥٤	الدوداء
٢٥٧ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤١ ، ٣٩	دوران
٢٥٨	
٤١	دوقية
١٤٥ ، ١٤١	الدولة العثمانية
٢٠٨ ، ٢٢	دوة
١٩٦ ، ١٩٤	الدمناء
١٩٤	ديار جهينة
١٩٤ ، ١٦٠	ديار حرب
٩٦ ، ٥٠	ديار خزاعة
٢٣٦ ، ١٠٢ ، ٨٢	ديار عوف
٣٤	ديار قضاة
٢٥٢ ، ٩٦	ديار كنانة
١٨٤	بنو دينار

ذ

٧٥	ذات أوшал
١٨٣	ذات الجياء
١٨٥ ، ١٢٥ ، ١٠٧ ، ١٠٦	ذات الجيش
١٨٤	ذات السائق
٢٦٢	ذات عرق
٥٠	الذرا
٢٤٢	ذرة
١٦٤ ، ١٦٢	ذفران
٢٦١ ، ٢٠٣ ، ٥٣ ، ٣٤ ، ١٩	ذهبان
١٣٢ ، ١٢٥ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٣	ذو الحليفة
٢٥٦ ، ١٨٥ ، ١٥٤ ، ١٤٩ ، ١٣٣	
٥٠ ، ٤٨	ذورة
١٩٩	ذو العشيرة
١٤٥	ذو المروة
١٦٣	ذيران

ر

٤٠ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥	رابع
٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧	
٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٨٨	
١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩	
٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩	
٢٦٠ ، ٢٦١	
١١٣	رانوناء
١٨٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٧	الرايس
٢٦٣	الربذة
٢٩ ، ٣٩	ربيعة بن مكدم
١٧١	الرتعة
٢٠٩	الرتيقة
٩ ، ١٨	الرجيع
١٥٩ ، ٢٠٥ ، ٢٢٣	رحاب

١٥٤	الرحبة
١٠٩	رحرحان
٢٦٣ ، ١٠٠	الرحضية
١٥٧	رحقان
١٢٨ ، ١٢٥	الرحلة
٢٢٣ ، ٢٢٢	رحيب
٣٧	الرخمانية
٩٦	الرس
١١٧	بنو رشيد
٢٣٦ ، ٢٢٩	الرصقة
٢٦٢	الرصن
١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،	رضوي
٢١٩ ، ٢٠٠	
٤٤	الرغامة
١٨٠ ، ١٧٩	رغيبة
١٧	الرقاب
٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦	ركوبة
١٠١	رواوة
٥٧	الروايزة
٢٢٩	الروثان
١٢٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ،	الروحاء
١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ،	
٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٥٦ ، ٢٦١	
٢٣	الروقة
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ،	الروينة
٢٦١ ، ٢٥٦	
٢٨	رهاب
١٧٤	رياح المري
٧٤	الرياض
٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧	الريان
٧٠	ريع بيض
١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢	ريع عار

١٥٨ ، ١٥٧	ريح المستعجلة
٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ٩٩	ريسم
٢٢٣ ، ٢٢٢	ريمة
٤١	رين

ز

١٣٣	زاهر مولى سعيد
٨	الزاهر
٢٠٩ ، ٧٢ ، ٦٢ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٦	زبيد
١٤٨	الزبير بن العوام
٢٤٥	الزمخشري
٥٧	الزنايقة
٤٣	زيد بن ثابت
٢٤٤	زيد بن الحسن
٢٤٥ ، ٢٤٤	بنو زيد
٢٦٣	الزيمية

س

٥٩ ، ٤٧	ساحل الحجاز
٢١١	ساحل الجحفة
٨	ساحة اسلام
١٨٨ ، ٦٩	السادة
٣٥	السادة الحسينيون
١٩٢ ، ١٦٢ ، ١١٣ ، ٩٦ ، ٧٩	بنو سالم
١٨٤	سالم بن الغيب
١٨٧	سامراء
٦٧	السائرة
٦٤ ، ٤٠ ، ٣٦ ، ٢٨	ساية
٥٣ ، ٣٩	ستارة
١٥٥	سجسج
١٨٣ ، ١٥٨ ، ١٥٤	السدارة
١٣٨ ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١١١ ، ١٠٩	سد العاقول

١٦٣	السراج
٢٥٩ ، ٢٥٣ ، ٥١	سراقة بن مالك
١٠٠	السراة
٢٥٨	السرذ
١٠ ، ٩	سرف
٢٥٨	سروعة
١٣١	السري بن عبد الرحمن
٢١٥ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦	السرير
٢٢	سرير البضيع
٢٠٧	السطح
٢٦٤	السعدية
١٣٣	سعيد بن سليمان
٦٦	سعيد الصقير
١٧٥	سعيد بن عقبة
١٥٦ ، ١٥٤	سفا
٥٠ ، ٤٧	بنو السفر - السفران
١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣	السفلى
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،	السقيا
٨٢ ، ٨٦ ، ١٥٧ ، ٢٠٣ ، ٢٢٧ ،	
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ،	
٢٦٠	
٨١	سقيا مزينة
٣٤	السكران
١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ،	سكة حديد الحجاز
١٤٦ ، ١٥٠	
٢١٣	السلجة
١٩٦ ، ١٩٤	السلطان الغوري
١٤١ ، ١٥٣	سلطانة
١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٣٩ ،	سلع
١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥٠	
٧٥	سليمان بن عبد الملك
٤٨ ، ٨٤ ، ١٥٩	ولد سليم

٣٣ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ،	بنو سليم
١٠١ ، ٢٦٢	
١٩٢ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،	السليم
٢١٨	
١٦٣	سمنة
٢٤١	سميحة
١٢٩	سنام
١٩٢	السنائي
٨١	السنوية
٦٤	السوارقية
٨٤	سورية
١٦١	سوق الحمراء
٣٥	سوق خليص
١٦٢	سوق الخيف
٣٥	سوق الدف
٢١١	السويس
١٩٩ ، ٢٠٢	السويق
١٢٧ ، ١٢٤ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،	سويقة
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧	
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٤٨	سويقة عبد الله بن الحسن
٢٠٠	سويقة المدينة
١١٣	سهل بن رافع
١٠٢	السهلية
٢١٤	سهوة
١١٣	سهيل بن رافع
١٥٥ ، ١٨٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،	السيالة
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،	
١٧١ ، ١٧٣ ، ٢١١ ، ٢٤٣ ، ٢٦١ ،	
١٢٩	السيالة الشرقية
٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣	السيح
١٥٧ ، ١٥٨	سير
٢٤٠ ، ٢٤١	السير
١٣ ، ١٤ ، ١٦٣	السيل الكبير

ش

١٢٢	شارع العينية
١١٨ ، ١٠٨ ، ٥٨	الشام
١٥	الشامية
١٨	شامية بن حمادي
١٨	شامية نخلة
١٤٦	شجوى
٢٦٣	شداد
٩٧	شدخ
٥٧ ، ٦١ ، ٦٣	الشراء
٢٤٣	شرب
١٨٣	الشراء
١٥٧ ، ٢٠٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩	شرف الاثنية
٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥	
٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦١	
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣	شرف السيلة
١٠٩	شرف نجد
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٢	الشرفة
١٤	الشرقة
١٩٧	شرم ينبع
١٢٦ ، ١٩٣ ، ١٩٤	شطب
١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١	الشظفاء
١٠٩	الشظاة
٨٩ ، ٩٤ ، ٩٨	شعار
٧٩ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٩	الشعبة
١٨٤	شعبة بني عبد الله
٩٧ ، ١٥٧ ، ١٦٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠	الشفية
٢٣٧	
٨٠	شفية العرج
١٠٩	الشقرة
١٠٧ ، ١٢٥	الثلية
٢٤ ، ٢٧ ، ٣٣	شمنصر

٢٥٨	شمنصر
٢١٨ ، ١٥٥	شنائك
٢٢٠ ، ١٥٦ ، ١٥٥	شنوكة
١٤٦	شوفان
١٨٠ ، ١٥٢ ، ١٢٠	الشهداء
١٥٩ ، ٢٥٩ ، ٢٤٢ ، ٢٠٥ ، ٦٩	الشيبة
١٦٣	
٢٣ ، ١٧	الشيوخ
٦٧ ، ٦٦	الشيعة

ص

١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٥٤	الصارة
١٤٧ ، ١٢٢	صالح القين
٢١٨ ، ٢١٥ ، ١٠٩ ، ١٨٨ ، ١٦٦	بنو صبح
٢١٩	صحراء العذيب
٢١٥	الصخارنة
١٠٢ ، ٩٩	صخوى
١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧١	صخيرات اليمام
٢٤٥ ، ٢٤٣ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣	
٢٨	صدر خليص
٢٦١ ، ١٩٠ ، ٧١ ، ٥٠ ، ٤٨ ، ٤٦	صعبر
٢٥٨ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٥	الصفو
٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ١٢٦	صفر
١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٢٨ ، ٩٩ ، ٩٠	الصفراء
١٨٣ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٥٩	
٢١٩ ، ٢١٣ ، ٢٠٦ ، ١٨٩ ، ١٨٦	
٢٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠	
٢٦٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٢ ، ٢٤٤ ، ٢٣٦	
١٦١	الصفيراء
١٩٣	الصلعاء
١٤٦ ، ١١٠	الصاللة
٦٩	الصليب

٢٠٧
٩٢
١٥٤
١٩٩
٣٠ ، ٢٩
٢٠١
١٨
١٠٩
٢٦٣
٢٤٦
١٠٧
١٠٣

الصمد الأحمر
صمد أم العيال
صمد صلصل
صمد العاصي
صمد العاصي
صمد
صنعاء
الصويدة
الصويدة
الصواعد
صهلوج
الصهوة

ض

٢٤٦ ، ٢٤٥ ، ٣٥
٢٠١ ، ٢٠٠
٢٥٨ ، ١٠٢ ، ٩٩ ، ١٥
١٨٥ ، ١٢٦
٧٣
٢٥٠ ، ٢٤٧
٣٩ ، ١٨ ، ١٥
٢٦٢
١٠٩
٢٧
٢٧ ، ٢٤
٢١٥ ، ١٩٩ ، ١٨٩
١٧١ ، ١٢٧
٢٤٦ ، ٢٤٥

ضاحك
ضاس
ضاف
ضوغة
ضبة
ضبعة
ضجنان
الضربة
ضربة
ضفد
ضلع سليم
بنو ضمرة
الضنيكة
ضويحك

ط

٢٦٠ ، ٧٢ ، ٤١ ، ٣٩
١٥٥
٢٦٣ ، ١٣٥ ، ١٣

طارف قديد
طاشا
الطائف

١١٠	الطبق
١٥٦	الطرف الاحمر
١٥٤	طرف ظبية
٧٠ ، ٧٧	الطريف
٧٦	طريق الأبواء
١٥٢	طريق الأجانب
٢٦٢	طريق البصرة
١٩٨	طريق جدة
٢٢٥ ، ١٨٢ ، ٧٨ ، ٧٣ ، ٥٨ ، ٥٦	طريق الحاج
٢٤٢	
٢٨	طريق ساية
٣٧ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ٨١ ، ١٠٣ ، ١٧٩	الطريق السلطاني
١٨٠ ، ١٨١	
١١٥ ، ١٢٣ ، ١٤٦	طريق الشام
١٠٠	طريق العويدي
٧٣	طريق غيقة
٧٨ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٣٢	طريق الفرع
٧٨	طريق القاحه
١٢٣	طريق القصيم
٢٦٢	طريق الكوفة
١٩ ، ٧٣	طريق المدينة
١٦٠ ، ٢١٧	طريق مستورة
١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ١٧١	طريق مكة
٥ ، ٢٨ ، ٥١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٥٥	طريق الهجرة
٢١	طلاح
٦٩	الطلبة
٦٨ ، ٨١ ، ٢٥٩	الطلوب
١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١	الطوال البيض
٢٤١	طوال حماسة
٩٩	الطويلة
١٠١	طيء
٧٣ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١٥٣	طيبة

ظ

٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ١٦٨
٤٤ ، ٤٣ ، ٤١ ، ٤٠
٦٨ ، ٦٥ ، ٦٣ ، ٦١

ظبية
الظبية
الظهر

ع

٢٥٢
١١١
١٠٩
١٨٨ ، ١٨٧
١٠٩
١٠
٢٥٥ ، ٢٥٣
٢٠٢ ، ٢٠١
١٧٤
٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٧٥ ، ١٧٤
٢٣٦
٧٧
١٠
٩٧ ، ٩٥
٥٣
١١٨ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ٦
٢٥٦ ، ١٤١
١٦١ ، ١٦٠
١٢٤
٢٣٩ ، ٨٧ ، ٨١ ، ٧٩ ، ٧٨
١٨٣ ، ١٨١ ، ١٧٩ ، ١٧١ ، ٢٢
٢٤٤ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦
٢٥٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٥
١٠١
٢٤٧ ، ١٢٧
٨٨

عامر بن فهيرة
عاصمة الاسلام
العاقول
العالية
عالية نجد
عائشة أم المؤمنين
العبايد
عبائر
بنو العباس
عبد الله بن الحسن
عبد الله بن عمر
عبد الله بن عبد المطلب
عبد الرحمن بن ابي بكر
عبد الرحمن الجعفي
الملك عبد العزيز
عبد القدوس الانصاري
الشريف عبد المطلب
عبد الملك
العبد
عبود
عبود برام
عبيد
العبيدي

٥٨	بنو عيل
٢٢	البلاء
٤٢	عتيبة
١١٢	العثمانيون
٢٥٥ ، ٢٥٣	العتيانة
٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ١٢٦	المجوز
٢٤٧ ، ١٢٦	المجوزان
١٣ ، ١٢	العجيفاء
٢١١	عدن
٢٤٥	عدنة
٢٠٨ ، ٢٠٦	العذيب
١٩٢ ، ١٩١	العذبة
٩١	المرادات
١٠١	المرار
٢١٩ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٦٦ ، ٤	عرام بن الاصمغ
٢١٨ ، ١٦٧ ، ١٥٧ ، ٨٠ ، ٧٨	المرج
٢٣٢ ، ٢٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢١٩	
٢٥٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٤	
١٩٤	عرعور
٢٦٣	عرفة
١٥٦ ، ١٥٤ ، ١٧٩	عرق الظبية
٢٦٣	عرنة
٢٤٩	بنو عروة
٤٥	العزى
٦٠ ، ٥٧	عزور
٥٧	العزورية
٢٢٢ ، ٢٠٠ ، ١٨٩ ، ٨٥	عزة
١٦٤ ، ١٦٢	آل عزة
١٩٣	عزيزة
٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥	عسفان
٢٥٢ ، ٧٢ ، ٥٣ ، ٣٥ ، ٢٩	
٢٦٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٤	

٥٤ . ٥٣	المصوم
١.٣	عشر
١٦١	العشر
١٣٥	عشيرة
٧٥	العصص
٥٧	العصلان
٨٥	العصوان
٢٥٩ . ٢٥٥	العصوين
١٤٥	العصليب
٥.	بنو عصية
٩٧ . ٩٤	العطشان
١٣٩ . ١٣٤ . ١.٧	عظم
٢٤٩ . ٢٤٨	عقرة الرداة
٧٣	العقبة
١٦١	العقدة
٢٥٦ . ٢٣٦	العقنقل
٢٢ . ١.١ . ١.٤ . ١١.٠ . ١٣١	العقيق
١٣٢ . ١٣٣ . ١٣٤ . ١٣٥ . ١٤١	
١٤٣ . ١٥٤ . ١٨٥ . ٢٤٥ . ٢٥٩	
٣٤ . ١.٤ . ١.٥ . ٢٥٦	عقيق الحسا
١٣٥ . ١.٩	العقيق الشرقي
٢٦٢	عقيق عشيرة
٩٧ . ٩٩ . ١.٦ . ١.٨ . ١.٩	عقيق المدينة
١٣٤ . ١٣٣ . ١.٥	العلاوة
٢٦٣	العلمان
٢٩ . ٤٥ . ٦٤ . ٦٧ . ١.٦ . ١١٢	علي بن ابي طالب
١٧٤ . ١٧٨ . ٢٥٢ . ١٧٤ . ١٧٧	
٤٣	علي بن رومي
٤ . ١.٩ . ٢٤٥	الشريف علي بن وهاس
١٦١	العمارية
٢٧ . ٣٨	عمدان
٤٠ . ١٥٠ . ٢٥١	عمر بن الخطاب

٥٠	عمر بن أبي ربيعة
٤٧	عمر العفلقى
١٢٦	عمرو الهذلى
١٠٢ ، ٩٨ ، ٩٦ ، ٨٨ ، ٧٩ ، ٧٢	بنو عمرو
٢٥٣	
١٠ ، ٨	عمرة التنعيم
٨٥	عمق
٨٣	عمليط
١٦١	عمواس
١٦٢	العمور
٢٤	عمير الفهدي
١٩٣	العناب
٩٦ ، ٣٤	عنزه
٨٢ ، ٨١	عوادة العوفي
١٢٦ ، ٣٥	العواقر
١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٧ ، ١٠٨	العوالي
٢٤٧ ، ٢٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٢٥	العود
٢٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨	
١٩٨	العوصاء
١٣٨ ، ١٣٢ ، ١٠٥ ، ٨٣ ، ٧٩ ، ٥٧	عوف
٦٣	عويرة
١٩٧	عويص
١٥٤ ، ١٨٣	العويقل
٥٣	العهد السعودى
٧٤ ، ٥٩	العهد العباسى
٥٣	العهد العثمانى
١٩٦ ، ٥٣	العهد الهاشمى
١٣٤ ، ١٣٢ ، ١٠٧ ، ١٠٥ ، ١٠٤	عير
٢٥٩ ، ١٤٩ ، ١٣٩ ، ١٣٨	
١٧٥	عيسى بن موسى
١١٠	العيص
٣٦	العين

٣٦	عين الباشا
٣٦	عين ابن بزيح
٦٠	عين الجحفة
٣٦	عين خليص
٦١	عين خم
١٢	عين شمس
٣٧ : ٣٦	العين العزيزية
٢١١	عين ليل
١١٠	عينين
٢٠٧	عينونا
١٢١ : ١٢٣ : ١٤٩	العيون

غ

١٢٢ : ١٢٣ : ١٤٨ : ٢٥٢	الغاية
٢٣٤ : ٢٣٥ : ٢٣٦ : ٢٥٣ : ٢٥٦	الغائر
٢٥٩	
٥٦ : ٢٠٣	الغائضة
٦١ : ٦٣ : ٦٤ : ٦٥ : ٦٦ : ٦٨	غدير خم
٦٩ : ٢٠٤ : ٢٥٤ : ٢٥٩	
١٩١ : ٢١٤ : ٢١٦	الغرابات
١٠٦ : ١٠٧ : ١٣١ : ١٥٤	الغرابية
٢٢ : ٢٣ : ٢٦ : ٢٧ : ٥٣	غران
١٤٣ : ١٤٤ : ١٥٠	غراب
٦١ : ٦٥	الغريبة
٢٧	غزال
١٦٢ : ١٦٣ : ١٨٥	غزاة بدر
١٨٤ : ٩٩	غزاة ذات العشيرة
١٨٧ : ٢٤٣	غزوة بدر
٢٤	غزوة خيبر
٢٣ : ١٤٤	غزوة بني لحيان
١٦٨ : ٢٢٠	الفصاص
٢٥٣	ذو الفضوين أو العضوين
٢٦٢	القمير

الغميس - غميس الحمام

٢٢ ، ١٢٧ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ٢٤٣ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ،
 ٢١ ، ٢٠٨ ،
 ٥٤
 ٩٧ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
 ١٩ ، ٢٥٨ ،
 ٦٦
 ٧٣ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ،
 ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،
 ٢٣٣ ، ٢٥٦

الغميم
 الفوانم
 الغور
 الغولاء
 الفيضة
 غيقة

٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ،
 ٨٩
 ١٨٥
 ٣٤
 ١٥ ، ١٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٦٢
 ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
 ١٠٦
 ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ،
 ٢٩ ، ٣٩ ،
 ٢٢٢
 ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٣ ،
 ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
 ٤٢ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
 ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
 ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ ،
 ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٣٢ ، ١٤٢ ،
 ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٩

الفاجة
 فاطمة الزهراء
 فج الروحاء
 فج العشار
 فج الكريمي
 فج
 فخذي
 فخري باشا
 فرسان
 بنو فراس
 فراقدا
 فرش ملل

الفرع

٢٠٢ ، ٢٠١ ، ١١.	الفرعة
١٩٧	الفري
٧٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .	الفريش
١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٩ .	
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، ٢٤٤ .	
٢٤٧ ، ٢٥١	
١٤٤ ، ١٦٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ .	فعرى
٢٢٣	
١٢٥ ، ١٥٥ ، ١٧١ ، ١٨٣	الفقارة
١٤٤ ، ١٥٦ ، ١٥٩	الفقرة
٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢	الفقر
٨٤ ، ١٦١	فلسطيني
١٨١	فند
٥٠ ، ٥٢	القوارس
٣٧ ، ٢٥٨	القيث
١٧٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩	فيد
٩٨	القيفاء
١٦٦	فيف الخائعين
١٠٧ ، ١٥٠ ، ١٨٤	فيفاء الخبار

ق

٧٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،	القاحنة
٨٢ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ .	
٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٥٣ .	
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩	
٤١	قاعدة قديد
١١٣ ، ١٢٠ ، ١٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ .	قباء
١٦١	قبر أبي عبيدة
٦٤ ، ٢٠٤	القدام
٨٣	القدس
٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ .	قدس
٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٦ ، ١٢٨ .	
٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ١٥٨	

٩٩	قدس الأبيض
٩٩	قدس الأسود
٢٨ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ،	قديد
٤٨ ، ٥٣ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ،	
٢٥٨	
٣٩	القديدية
٩٩ ، ١٠٠	القرى
٢١٠ ، ٢١١	قراف
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٣٧ ، ١٣٩	قربان
٥١	قربى
١٣	قرن
٦٤ ، ١١٧ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧	قريش
٩	قرية لحيان بسرف
١٣	القشاشية
٥٨ ، ٦٠ ، ٦١	قصر علياء
١٤٣	قصر سعيد بن العاص
١٦٨ ، ١٩ ، ٢	القصيبة
٩٦ ، ١٠٩ ، ٢٤٣ ، ٢٦٣	القصيم
٣٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٧٢ ،	القضية
٢٦١	
٢٠٣ ، ٢١٣	قطاع رابغ
٢١٣	قطاع ينبع
٢٦٣	قطن
٥٧	القطيعاء
١٥ ، ١٧	القمرة
٢١١	القلزم
١٠٤	قلهي
١٥	القمي
١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٥٢	قناة
١٥	قنط
٢٧	القنعاء
١٢٩	قنور

قوز حسنى
قيال
قبي
القيم

٢٠٦
٢٠٧
٢٣٨
٣٧

ك

كتانة
كثير عزة

٢٢ ، ١٥٥ ، ٢٢٢
٢١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ١٣٧
١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٨٩ ، ١٩٢
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩
٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٤١

كرا
كراش

١٧ ، ٢٦٣
٧٣ ، ١٦٨ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩
٢٢٠

كراغ الغميم
الكر

١٨
٢٦٣

كريدم العرادي
الكديد

٩١
٢١ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٢٥٨

ذو كشد

٢٥٣ ، ٢٥٥

ذو كشر

٢٥٣ ، ٢٥٥

بنو كعب

٢٥٣

الكبة

١١٦

الكفو

١٤

كلفي

٢٠٦

كلهف

٢٠٥

كليب

٢١٣

كلية

٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٣ ، ٢٥٩

كمبتان

٩٧

كنائر

٧٠

كنانة

٣٤ ، ٥٨ ، ٦٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧

ل

١٣٥	لابتا المدينة
٤٥	اللات
٨٤	لبنان
٢٥٨	لبينات
١٤٦	اللحن
٨١	لحي جمل
١٤٣ ، ٩	بنو لحيان
٩	اللحيانية
١٩٧	لطمعان
٢٠٥	اللمبوب
٢١ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٢٥٨	لفت
٣٧	آل لفت
٣٧	لفيت
٢٥٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٨٩ ، ٨٤	لقف
١٤٦	اللق
٣٧	لقيم
١٠١	لوى برام
٢٥٧ ، ٢٦٤	الليث

م

٨٥ ، ٨٣	مافر
٢٥	مالك بن خالد
٢١٥ ، ٢١٤	مبرة
٧٨	مبيريك بن حمدي
٧٨ ، ٥٤ ، ٥٣	آل مبيريك
١٧٧	المتوكل
٢٥٠ ، ٢٤٨ ، ١٦٨	منعر
٢٥٥ ، ٨٩ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣	مجاج
١٩٥ ، ١٩٤	المجبرية
٢١٧	المحاميد
١٠١	المحرق المزني

١٨	الشريف محسن
٨٠	محسن الجراري
٩٤	المحضنة
١٠٧ ، ١٢٢ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٤٢	محمد بن ابراهيم بن سلامة
١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٦٢ ، ١٦٤	
١٦٥	
٤١	محمد الأمين
٥٤	محمد بركة بن مبيريك
١١٨	محمد الجعدي
١٢٤	محمد بن خلف
١٧٧ ، ١٧٨	محمد بن صالح العلوي
١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨	محمد بن عبد الله بن الحسن
٨٣	محمد بن عروة
٧١ ، ٧٨ ، ٢٠٥	بنو محمد
١٤٦	ولد محمد
١٠٩	المخالط
٢١٤	مختوش
١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٤٣	مخبط
٢٥٤ ، ٢٥٩	المدالج
٧٠ ، ٧٧	المدرج
٢٢	مدرج العرج
٢٣	مدركة
١٦	مدسوس
١٩٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩	بنو مدلج
٢٥٢ ، ٢٥٥	مدلجة تمهن
٢٥٢ ، ٢٥٥	مدلجة ثقيب
٢٥٢ ، ٢٥٤	مدلجة لقف
٢٥٣ ، ٥٤	مدلجة مجاح
٢٣٣	المدبراء

المدينة المنورة

٥ ، ٨ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٨ ،
٣. ، ٣١ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٧٨ ،
٧٩ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ،
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ ،
١١٧ ، ١٢٥ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ ،
١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،
١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٧ ،
٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٥٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٣

٣٥ ، ١٩٣

٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥١

٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩

١٩٣

٢٥١ ، ٢١٨

١٩٤

٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٤٣

١٤٢

٥ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،

١٧ ، ٣١ ، ٦٧ ، ١٠٢ ، ٢٥٢ ،

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢

٦٢ ، ٦٧ ، ٩٨

٢٦٤

٨٦

٤٠ ، ٤٣

٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠

٦٧ ، ٨٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١

٢٦٣

١٩٣

٣٤ ، ٩٦

١١٤ ، ١٤١

١١٥

المرابد

مرى

مرجع

مرجم

المرختان

المرخية

مر

مرزوق الصاعدي

مر الظهران

مرعيب

مركوب

المير

المريسي

مريع بن حسن

مريين

مزدلفة

مزدرد

مزينه

المساجد السبعة

مساجد المدينة

مستورة

٥٣ : ٦٩ : ٧٠ : ٧١ : ٧٢ : ٧٣ .
 ٧٤ : ٧٥ : ٧٧ : ٧٨ : ٨٠ : ٩٧ .
 ١٠٠ : ١٥٧ : ١٦٧ : ١٨٩ : ١٩٠ :
 ٢٠٥ : ٢١٧ : ٢٤٢ : ٢٦١ : ٢٦٢

١١٣	مسجد الاجابة
١١٣	مسجد بلال
١١٤ : ١١٣ : ٥٨ : ٥٦ : ٥٥	مسجد الجمعة
٨ : ١٠ : ١١ : ٢٠ : ٢٥٤	المسجد الحرام
١١٤	مسجد ذباب
١١٤	مسجد الراية
٢٣٢	مسجد رسول الله بالأثاية
٧٠	مسجد رسول الله ببيض
٥٩	مسجد رسول الله بالجحفة
٦٦	مسجد رسول الله بخم
١٨٤	مسجد رسول الله بذات الساق
٢٣٣ : ٢٣٥	مسجد رسول الله بالعرج
١٨٤	مسجد رسول الله بالصخيرات
١٨٧	مسجد رسول الله بالمنصرف
١١٥ : ١٢٢ : ١٥٢	مسجد السبق
٤٧	مسجد صغير
١١٤	مسجد عاتكة
١١٦	مسجد عروة
١١٤	مسجد الغيب
١٠٨ : ١١٥ : ١٢٠	مسجد الفمامة
١١٥	مسجد الفتاح
١١٢ : ١١٥ : ١٤٠	مسجد قباء
١١٥	مسجد القبلتين
١١٦ : ١٥٢	مسجد المستراح
١١٥	مسجد المصلى
١١٣	مسجد بني معاوية
١٠٦ : ١٠٨ : ١١٢ : ١١٣ : ١١٥	المسجد النبوي
١٢٠ : ١٢٢ : ١٣١ : ١٤٠ : ١٧٠	

١١٤	مسجد الوادي
٦٦	المسحاء
١٧	مسدوس
٣٨	مسر
١٣٨	مسرف بن عقبة
٢٢١	المسروح
٢٦٣	المسفلة
٢٦٣	السلح
٧٣ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٨٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٢	السيحيد
١٩٤ ، ١٩٥	السيحلى
١٨٤	المشرب
١٩٣	مشرفة
٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٢٥٨	المشلل
١٢١ ، ١٥٢	مشهد حمزة بن عبد المطلب
١٩٨	مسيط
٢٣	المصاييح
٥٨ ، ٧٤ ، ٢١٠ ، ٢١١	مصر
١٣٣	المصلى
٢١٣	مضاض بن عمرو الجرهمي
٨٩	المضيق
١٥٨ ، ٢٢٨	مضيق الصفراء
٩٤ ، ٩٥	مضيق الفرع
١٣	مضيق نخلة
١٨٩	مضيق ليل
١٦١	المطاوسية
٤٢ ، ٤٣	مطلق العصيمي
٥٣	مطير
٢٨	المعارج
٢٣٧	معاوية
١٧ ، ٢٣ ، ٢٤	معبد
٤١	المعتضة

٢٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١٦٣	مطدن بني سليم
١٦٨ ، ٢١٨ ، ٢٣٣	المعرج
٢٣٥	معصر
٣٧	مطل الهذلي
٦٦	معن بن أوس
٦٠	المغاربة
٧٤	المغرب
١٢٠	مغسلة
٦٧	مغينية
٩٣ ، ١٢٥ ، ١٥٤	مفرحات
١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٦ ، ٢١٥	المفرق
٢١٨	
١٤٨	المفهب
٧٧	مقبرة مكة
٧٥ ، ٢٤٠	المقيتلة
١٩٥	المقريري
١٥ ، ٢٥٨	مكسر
٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ،	مكة المكرمة
١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٩ ،	
٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ،	
٤٣ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٥ ،	
٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٩٦ ، ١٠٦ ،	
١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،	
١٦٠ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،	
١٩٥ ، ٢٠٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ،	
٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،	
٢٦٠	
٣٨	ملاقي مسر
٨٦	الملينة
٤١	ملح
٨٠ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢١٨ ،	ملف غيقة
١٩٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣	

٢٦٣	ملكان
٩٩ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،	مل
١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٨٢ ،	
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ،	
٢٥٠ ، ٢٥٦	
٨٦ ، ١٤٥ ، ١٤٦	المليليع
١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٢٢٦	المنخة
١٢٠	مناخة الحطب
١٢٠	مناخة الديرة
١٢٠	المنخة الشمالية
٩٤	المنشير
٢٦٣	منى
٤٤ ، ٤٥ ، ٢٥٨	مناة الطاغية
٢٣٣	المنبجس
٤٦	المندسة
٢٥	منشد
١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٧ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ،	المنصرف
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٥٦ ،	
٢٦١	
١٦٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩	المنصير
٢٦٢	المنقى
١٩٥	المنيزلة
١٧٥ ، ١٧٧	موسى بن عبد الله بن الحسن
١٢ ، ١٤	موقدات
٧٣	المويلح
٢٨ ، ١٠٠ ، ٢٦٣	مهد الذهب — المهد
٢١٣	المهلل
٥٨	مهيعة
١٣٥	ميطان
٩ ، ١٠	ميمونة بنت الحارث
١٩٥	ميناء ينبع
٢١٣	مية بنت المهلهل

ن

١٥٨	النازية
٢٣٨	ناصر بن بنيان
٦٨ ، ٦٢	النباة
١٩٨ ، ٢٧	نبط
١.٢ ، ٩٩	النبة
١.٩	نجار
١١٣	بنو النجار
١٨ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ١.٩ ، ١٣٣ ،	نجد
٢٦٣ ، ٢٤٣ ، ١٩١	
١٢٢ ، ١.٧	نجران
٢.١	النجيل
٢٢٢	نخال
١٤٠ ، ١٣٧	النخالة
١.٩	نخل
٢.٢	نخلي
٢٥١ ، ١٣	النخلتان
١٣	نخلة الشامية
٢٦٣ ، ١٤ ، ١٣	نخلة اليمانية
١٤٠	النخلة
١.٢	النخيل
٦٧	ندا
٣٦	نزلة السواطي
٥٥ ، ٥٤	النشمي بن طامي
٢١٨ ، ٢١٧ ، ٥٣	النصائف
٢١٦ ، ١٩٣ ، ١٩٢	نصع
٧٠ ، ٦٦ ، ١٧٨ ، ٧٠	النصيب
٢١٨	النصيلة
١٦٧ ، ٢١٨ ، ٢٩ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ،	النظيم
٢٣٣	
٨٤ ، ٧٩	نعا
٢١٦ ، ١٩٢	نعيجة العذبة

٣٠ ، ٢٥	النفر
٢٥٨	تقرى
٢٦٣	النقرة
٢٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١	تقريات
٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠١	النقيع
١٠٢ ، ١٣٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩	
٩	النوارية
٢٠٨	النوافع
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٠٣	النويبع
١٢	التهيمة

و

٢٥٨	وادي ابراهيم
٢٤	وادي امج
١٩٨	الواديين
١١	الوادي الاخضر
١٠٨	وادي بطحان
٨٨	وادي بني عمرو
٢١	وادي الجحوف
١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٩٨	وادي الحمض
١٢٧ ، ١٧١ ، ١٧٣	وادي الرمث
٢٦٣	وادي الرمة
١٣	وادي الريان
١٣	وادي الزبارة
١١	وادي الضيق
١٥٤	وادي عار
٨٩ ، ٩٤	وادي الغرب
١٣	وادي الفديرين
١١ ، ١٣	وادي فاطمة
١٩	وادي فيدة
١١٠	وادي القرى
١٣	وادي الليمون
١٣	وادي المحرم

١٢٩	وادي مرا
٢٧	وادي مسر
٩٤ ، ٨٩	وادي مكة
٩٤	وادي ملبح
٢٢	وادي المياه
٨٨	وادي النخل
٧٠ . ٧٧ : ٢.٥ : ٢.٦	وادي النهدي
١٦٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٦	واسط
١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢	الواسطة
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨	والد المؤلف
١٦٩	وتر
١٥٧ ، ٢٢٧	الوجه
٧٣ . ١١٠ : ١٦٩	وجمة
٢٢٣	ودان
٥٩ : ٧٠ : ٧٢ : ٧٤ : ٧٥ : ٧٧	ورقان
٢٤٠ : ٢٤١ : ٢٦٠	الوريق
٩٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦	الوسطة
١٥٨ ، ١٧٤ ، ٢٣٤ ، ١٣٥	الوسيط
١٦٠	الوشحاء
١.٥ ، ١.٢٥ ، ١.٣٤ ، ١.٣٢	الوطية
٥	وعر
٢٨	وعيرة
١٧ : ١٨ : ٤٦ : ٢٣٣ : ٢٣٥ : ٢٣٦	الوفيان
٢٠.١	الوهيق
١١٠ : ١٣٨ : ١٤٨ : ١٥٠	
١٢٨	
١٣١ : ١٣٢	

هـ

١٥٤ : ١٥٦	هبت
١٣ : ١٤ : ١٧	ذوو هجار
١٩٦	هداة الطائف
١٤ : ١٥ : ١٧ : ٢٠ : ٢٣	الهداة

١١٠	هدية
٩	هذيل
٥٧ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨١	هرشي
١٠٠ ، ١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٤١	
٢٤٢	
٢٤١	هرشاء
٢٤	الهضاب
١٣	هضاب لحيان
٢٤٤	الهضبة
٩٢ ، ١٤٤	هضبة أم العيال
١٤٦ ، ١٤٨	الهضبة البيضاء
١٤٤ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ٢٢٣	هضبة عيفة
٥٨	بنو هلال
٢٣٠	الهمداني
٢١١	الهند
١١٠	هوازن
١٦١	الهويشمي

ي

٨٠	ياج
٩	ياجج
٥٩ ، ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨٨ ، ١٨٣	ياقوت
١٨٤ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣	
٢٤٥	
٧٩ ، ١٠٢	اليتمة
٢١٥	بنو يحيى
٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٥	يدعا - يدعة
٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩	
١٣٨	يزيد بن معاوية
٢٤٤	
٩٣	اليسير
٢٠٦	اليعملة
١٠١	يلبن

٢٦٤	يلملم
٢١٩ ، ١٦٥	يليل
٥١ ، ٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٦٤	اليمن
١٧٧	يعوت بن المزرع
٣٥ ، ٧٣ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٧٨	ينبع
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٩	
٢٢٠ ، ٢٥٧	
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢١٠	ينبع البحر
٢١٥	
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩	ينبع النخل
٢٠١ ، ٢٠٢	
٣٩	يوم الاخرم
٢٢٥	يوم التروية
٤١	يوم الرغامة
٢٣٠	يوم شرف الأثاية
٢٩	يوم صفين
١١	يوم الفتح
٢٩	يوم الكديد
٣٨	يوم ملاقي مسر
٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٦	يسن

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - الأدب الشعبي في الحجاز : دراسة للأدب الشعبي في الحجاز مزوداً بفصول عن اللهجات والطب العربي والعادات •
- ٢ - طرائف وأمثال شعبية (من الجزيرة العربية) طبع للمرة الثانية •
- ٣ - معجم معالم الحجاز : كتاب جغرافي أدبي تاريخي ضخمة • طبع أجزاءه تباعاً • ويقع في عشرة أجزاء •
- ٤ - نسب حرب : كتاب يتحدث عن قبيلة حرب (تأريخها وأنسابها وديارها) طبع للمرة الثانية •
- ٥ - معجم قبائل الحجاز : كتاب يستقصي جميع القبائل والبطون التي سكنت الحجاز من فجر التاريخ الى يومنا هذا ، فروعها وتأريخها وديارها • ويقع في ثلاثة أجزاء •
- ٦ - على طريق الهجرة (رحلات في قلب الحجاز) وهو هذا •
- ٧ - الرحلة النجدية : رحلة في أنحاء نجد وجهات من الحجاز • تصوير للحالة الاجتماعية في تلك الجهات •
- ٨ - رحلات في بلاد العرب (في شمال الحجاز والأردن) قبائل تلك الجهات وأنسابها وديارها ، ونبد تأريخية وأدبية ومشاهدات وانطباعات وآراء • فيه ردود مركزة على ما تتوقل عن تلك البقاع وسكانها •